

الدكتور / جابر قميحة  
أستاذ الأدب العربي

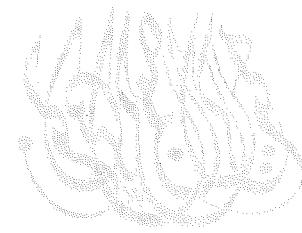
رواية: وليمة لأعشاب البحر  
في ميزانِ  
الإسلام والعقل والأدب

دار الأعتماد  
جبل عامل - لبنان - بيروت  
٢٠١٣ - طبع في بيروت - رقم ٢٠١٣ - ٦٢٤ : ٩٧٢٢٧  
٢٠١٣ - طبع في بيروت - رقم ٢٠١٣ - ٦٢٥ : ٩٧٢٢٨

**دار الأعنة**  
للطبع والنشر والتوزيع  
شارع حسين حجازى - القاهرة  
هاتف : ٧٩٤٦٠٣١ - ٧٩٥١٧٤٨ - ٧٩٤٤٧٤٨  
ص.ب : ٤٧٠ القاهرة - الرمز البريدى : ١١٥١١



لله رب العالمين  
الله اكمل الاسماء الحسنات  
الله اكمل الاسماء الحسنات  
الله اكمل الاسماء الحسنات



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مَدْخَلٌ وَتَوْطِيْةٌ

حَمْدًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى وَتَسْلِيْمًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَا بَعْدُ : فَمَا أَكْثَرَ أَخْطَاءُنَا !! وَمَا أَشْدَهَا !! وَمَا أَغْرَبَنَا حِينَما نَتَرَكُ الْخَطَايَا يَأْخُذُ مَسَارِهِ فِي طَمَانِيَّةِ عَجَبٍ حَتَّى يَسْتَفْجُلُ وَيَتَحَوَّلُ إِلَى خَطِيئَةٍ !! . وَمَا أَكْثَرَ الَّذِينَ صَرَخُوا ، وَيَصْرُخُونَ : اتَّرَكُوا الْمُلْكَ لِلْمَالِكِ .. وَذَرُوا الْأَمْوَارِ فِي طَرِيقَهَا تَقْضِي وَتَسْيِيرُ ، وَإِنْ كَانَ لَهَا خَطْرٌ فَهُوَ ضَيْلٌ يَسِيرٌ ، وَعُمْرُهُ قَصِيرٌ .. لَا تَخَافُوهُ ، وَلَا تَرَاعُوهُ !! .

فَإِذَا مَا قَرَعْنَا أَجْرَاسَ الْخَطْرِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ، أَوْ وَهْوَ فِي بَاكُورِهِ بِرَعْمٍ فِي شَجَرَةِ الشَّرِّ ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ صَاحِبَةً عَالِيَّةً (أَعْلَى مِنْ صَوْتِ الْمَعرَكَةِ) :

\* السُّكُونُ .. السُّكُونُ .. السُّكُونُ ... لَا تَقْلِقُوا النَّاسُ .. فَلِلْأَبْدَانِ وَالْعُقُولِ حَقْرُوقٌ يَجِبُ أَنْ تَرَاعَى !! ..  
\* لَكُنْ بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ .. انتَهُوا .. انتَهُوا أَيْهَا السَّادَةُ !! . وَيَائِسِيُّ الْجَوابُ : اعْتِقَالَاتُ .. وَاضْطِهَادَاتُ .. أَوْ تَقْرِيَّعَاتُ ، وَتَعْنِيَّفَاتُ ... وَاتِّهَامَاتُ لَا تَحْصَى وَلَا تَعْدُ .

\* دُعَاءُ فَتْنَةٍ !! .. رَكَابُ موجَةٍ ... سُودَاءِيُّونَ ، صَفَراَوِيُّونَ ... فِي التَّشَاؤِمِ مُغْرِقُونَ .. مُسْرَفُونَ .

\* يَا سَادَةُ ... مُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْفَرِ الشَّرِّ ؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَقُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ، وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ .  
\* لَا تَبَالُغُوا ... لَا تَسْرُفُوا عَلَيْنَا وَعَلَى أَنْفُسِكُمْ .. فَتَحْنَ أَنْقَى وَأَنْقَى مِنْكُمْ .. مُشْفَقُونَ نَحْنُ .. وَنَتَوْيِيْرُونَ نَحْنُ .. أَمَا أَنْتُمْ فَالْمُسْطَحِيْجُونَ .. الْجَاهِلُونَ .. الرَّجُعِيُّونَ .. الظَّلَامِيُّونَ .. الْمُشْقُوقُونَ !! .

\* \* ولكن الوقاية - يا سادة خير من العلاج !!  
\* \* ولماذا الوقاية ؟ إن الوقاية مكلفة .. إنها تهدى الوقت ،  
وتأكل المال .. ونحن على العلاج قادرؤن !!

فإذا ما وقع الفأس في الرأس .. الرأس المكشوف العاري شرع السادة يفكرون في العلاج .. بدءاً بإيقاف النزف ، وانهاء بالضمادات والمضادات .. وتمر الأيام والشهور ، والرأس الجريح المصمد في انتظار لطف الله ورحمته .. وتأتي التقارير مشيدة ببراعة الأطباء المعالجين ، وسهرهم المتواصل ، ومتابعتهم الخلصة ..

وما كان أغنانا عن هذه النازلة بكل أبعادها لو أنها أخذنا أحذانا ، ومنلعا فأأس العدوان من الاقتراب ، وحصتنا الرأس بخوذة الوقاية والتنجاة ، وزرعنا في العقول الوعي الشديد ، وغرستنا في القلوب الحزم الشديد ، وألغينا من قاموس حياتنا كلمة منحوتة منكوبة اسمها « معلهش » .. وسحلنا مكانها : يقظة الضمير ، والشعور بالمسؤولية ، وحب الحق والخير والجمال ، واعتنقنا - عقيدة وسلوكاً - من الحكم أعلىها وأرقها .. ومنها هذه الثالث التي تدور في فلك واحد :

- ١ - معظم النار من مستصرغ الشرر
- ٢ - الوقاية خير من العلاج ..
- ٣ - إذا نحن طامنا لكل صغيرة فلا بد يوماً أن تساغ الكبائر

أقول هذا بعد أن رأينا فأسًا تنطلق انطلاق الصاروخ من أقصى شمال الشام إلى مصر لتصيب الرأس .. بل الرعوس في « يوافيختها » .. عجنا !! يحاول الضحية أن يدفع عن رأسه حد الفأس براحة كفه العارية ، فتصيب اليد ، وتعض في الرأس فتدميه .. ويحاول بعض « أولاد البلد » - أنا رأيتهم وأعرف بعضهم - أن يساهموا في منع الفأس العضوض القاصمة ، أو التخفيف من قوة اندفاعها على الأقل .. فصالح الجنرال « الوسيم » جدًا - كبير الحرس الرئيسي - :

\* \* \* ويلكم اتركوا الفأس .. فهى مباركة المجرى والمرسى ، وظالم ابن جائز من يوقف مسيرتها .. إنها فأس عربية ، لا تفجعوا صاحبها فيها ؛ فإكرام الضيف - ولو كان فائضا ، واجب من واجبات الشهامة ، والأريحية ، والرجلة !!

(ملاحظة : أمن على توجيهه جنرالات من الحرس الرئيسي ، وإن كانوا أقصر منه قامة ، وأقل وساما ) .. وأنظر إلى الرئيس فلا أرى إلا النزف ، والدموع ، والأوجاع ، والآلام .. ولكننى أشهد - للحق دون مجاملة - أن الجنرال الرئيسي صاح فى الضحية :

\* \* \* أتصرخ ؟ ما هذا ؟ .. فضحتنا يا رجل .. تحمل ، واصبر .. فالصبر ضياء .

ساعتها تذكرت كلمة رائعة لسعد زغلول : « عجبت للذى يقول للمضروب : لا تبك ، ولا يقول للضارب : لا تضرب » !!!

ومن حق القارئ أن يسأل : هل كانت هذه هي الفأس الأولى في رأس الفكر والحكمة ، وقيم الدين والمجتمع ؟ ! معذرة .. أجيبي .. ولكن على أن أرجع إلى الوراء قليلا .. ولا ضير ولا ملامه فقد صنّفنا « التنويريون » في فصيل « الرجعيين الظالمين » !!

\* \* \* من عدة سنوات قرأت إعلاناً في الصحف المصرية عن كتاب وصف مؤلفه بأنه « رائد التنوير الديني » ، واعتقدت أننى سأجد تحت الوصف اسم جمال الدين الأفغاني .. أو محمد عبده .. أو رشيد رضا .. ولكن وجدت تحت هذا الوصف اسم المستشار محمد سعيد العشماوى .. والريادة تعنى الأولية والابتكار ، والإيمان بما هو جدير بالتقدير والاعتزاق ، والقدرة على التأثير المتاح .. وهذا يعني - إذا ما آمنا بعنطوق الإعلان - أن نسقط من حسابنا أمثال الأفغاني ..

ومحمد عبده .. ورشيد رضا .. وابن باديس .. وحسن البنا .. ومحمد عبد الله دراز .. وقرأت كتب الرجل كلها .. وأقول صادقاً: إنني حاولت أن أعيش على «بصيص من نور» في كل ما كتب في مجال الفكر .. والفقه .. والسياسة .. والمجتمع .. والتاريخ .. فعجزت .. ولم أجد إلا محاولات مرعوشاً - على درب المستشرقين - لتجريد الإسلام من طوابعه السياسية ، وعزله عن كل ما يمت للحكم والقيادة بصلة .. ويصف أصحاب دعوة «الإسلام دين ودولة» بأنهم «فجار .. أشرار .. جهال» !!

أما نظام الخلافة الإسلامية فهو - في نظره - :

« لا يختلف عن أي نظام مختلف في السطوة .. والسيطرة .. والغشومة .. والظلم .. والاستبداد .. والتنكر لحقوق الإنسان .. وتنكب حدود الله .. وهو نظام جاهلي عشوام مناف لروح الدين ، مناف لمعنى الشريعة » - « والخلافة لم تخدم الإسلام حقيقة .. بل إنها أضرت به حين ربطت العقيدة بالسياسة ، ومزجت الشريعة بنظام

الحكم »<sup>(١)</sup> .  
هذا وما زال السيد عشماوي يردد - اعتماداً على أحبار ملفقة زائفه : أن القرآن الذي بين أيدينا به كثير من الأخطاء في القواعد واللغة<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

والتزوير عنده وارد لا غضاضة فيه ، ولا عيب عليه ، ولا مانع عنده من التصدى لتفسیر القرآن بالهوى .. فقوله تعالى : «... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَثْبَتْتُ عَلَيْكُمْ بِغَمْتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ...» [المائدة : ٣] .

(١) محمد سعيد العشماوي : « الخلافة الإسلامية » (١٣ ، ٢٥) .

(٢) العشماوي : السابق (١٥١ ، ١٥٢) .

يقول العشماوى : « الآية الكريمة نزلت بعد أداء النبي ﷺ والصحابة فريضة الحج .. ومن ثم فإن المقصود بها أن الله سبحانه وتعالى أكرم المؤمنين بإكمال فرائض الدين وشعائره .. وليس المقصود بها أن الدين كان ناقصاً وكمل » وأحال العشماوى على تفسير القرطبي - طبعة دار الشعب ص ٢٠٥٩ وما بعدها <sup>(١)</sup>.

وبالرجوع إلى القرطبي نراه يقرر أن النقص وارد .. ولكن من النقص ما ليس بعيوب .. كنقصان أيام الشهر ، ونقصان صلاة المسافر ، ونقصان أيام الحيض عن المعمود ، ونقصان أيام الحمل .. فنقصان أجزاء الدين في الشرع قبل أن تلحق به الأجزاء الباقية في علم الله تعالى هذه ليست بشين ، ولا عيب <sup>(٢)</sup>. ولو قيل كانت ناقصة عمما عند الله أنه ضامه إليها ، وزائده عليها لكان ذلك صحيحاً فهكذا .. هذا في شرائع الإسلام ، وما كان شرع منها شيئاً فشيئاً إلى أن أنهى الله الدين منتهاه الذي كان له عنده <sup>(٣)</sup>.

وأتي القرطبي بوجه ثان .. وهو أن إكمال الدين يعني أنه وفقطهم للحج الذي لم يكن يكتفى عليهم من أركان الدين غيره ، فحجوا .

فاستجتمع لهم الدين أداء لأركانه ، وقياماً بفرائضه <sup>(٤)</sup>.

وهذا الوجه لا ينفي النقص بالمفهوم السابق ، وهو نقص لا يعيّب التشريع .. بل يتفق مع سنة الإسلام في التدرج التشريعي <sup>(٥)</sup>. ووضفت الأديان السابقة بهذا الوصف لا يعني الإزراء بها .. وإنما لأنها كانت أدياناً مرحلية .. كل منها لمرحلة زمنية معينة من عمر البشرية ، ثم كان الإسلام الدين الخاتم الصالح لكل زمان ومكان ، والذى أعلن رسول الله ﷺ استكماله كل عناصر البقاء والخلود في حجة الوداع بآية المائدة التي « لم ينزل الله بعدها حلالاً ولا حراماً » <sup>(٦)</sup>.

(١) سعيد العشماوى : « جوهر الإسلام » (٩٣).

(٢) « تفسير القرطبي » (٢٠٥٩). (٣) « تفسير القرطبي » (٢٠٦٠).

(٤) السابق : الصفحة نفسها.

(٥) انظر : جابر قميحة : « المدخل إلى القيم الإسلامية » (٤٢ - ٥٦).

(٦) « تفسير الجلالين » (٩٣).

وفي هذا المعنى جاء حديث رسول الله ﷺ ، وقد رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - :

«إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيئاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين »<sup>(١)</sup>.

ففي الحديث - كما يقول ابن حجر - ضرب الأمثال للتقرير للأفهام ، وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين ، وأن الله ختم به المرسلين ، وأكمل به شرائع الدين<sup>(٢)</sup>.

ومن آرائه المحرفة ما قاله في آية الحراة : «إِنَّمَا جَرَأُوا الَّذِينَ يُحَارِّئُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقْطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خَرْجٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [المائدة : ٣٣].

يقول العشماوى : وواضح من الآية وسبب تنزيلها أنها تقضى بالجزاء على من يحارب الله ورسوله ﷺ .. أى يحارب دين الله ، وشخص الرسول ﷺ .. فهى بذلك من الآيات ، المخصصة بشخص النبي ﷺ .. والنبي ﷺ وحده هو الذى يوقع الجزاء على من يحاربه ، ويحارب الله فى شخصه ، وهو الفيصل العدل فى تحديد شخص من حاربه ، وما يعتبر حربا عليه .. أما بعد النبي ﷺ ، وبعد خلفائه الراشدين .. فمن ذا يكون كذلك ؟ الخلفاء ومنهم الفاسقون .. أم الفقهاء وفيهم المغرضون ؟<sup>(٣)</sup>

وهذا يعني عمليا إلغاء حد الحراة من قائمة الحدود التى شرعها

(١) متفق عليه . وللهذه المخالى . كتاب «المناقب» . بفتح البارى بشرح صحيح البخارى «٦٤٦/٦» .

(٢) ابن حجر العسقلانى : «فتح البارى بشرح صحيح البخارى» «٦٤٦/٦» .

(٣) العشماوى : «أصول الشريعة» «١٢٩» .

الله سبحانه وتعالى ، وبعدها هب أفلام مو كوسه تدعى أن رجم الزاني الحصن ليس من الإسلام<sup>(١)</sup> .

وفي الأسواق مجموعة كبيرة من الكتب مطبوعة طباعة فاخرة جدًا لكاتب «الأهالي» اليساري «خليل عبد الكريم» وكلها تسير على نهج موضوع واحد يتمثل في الانتقاد الفاحش من ثواب الإسلام،

رسوله عليه السلام ، والصحابة .

وأكتفي بقول فقرة واحدة مما كتبه عن «مجتمع يشرب» في عهد النبي عليه السلام :

« كانت نزعة معافسة النساء لدى رجال (المجتمع اليشربى) من القوة بحيث دفعتهم إلى تحطيم الحواجز التي أقامتها (النصوص المقدسة) صراحة ، وبلا مواربة .. مثل :

من يظاهر من امرأة ثم يعتليها قبل التكبير ..

وآخر يركب زوجته وهي حاضن أو مستحاضنة ..

وثالث يطئها في نهار رمضان ..

ورابع ينكح امرأة أبيه ، أو يعاشرها دون عقدة نكاح ..

والملوك الذى يشرع فى مفاجدة جارية سиде .. وقد يحدث العكس ..

المرأة تسعى إلى أجير زوجها لি�شعها ، ويروى لها ظمأنها لعجز زوجها عن ذلك ... إلخ .

كل هؤلاء : ذكوراً وإناثاً يعلمون علم اليقين أن الفعل الذي قارفوه حرمته عليهم الشريعة التي بلغها محمد .. ولكن نزعة التلاقي بالآخر تغلبهم وتظهر لهم ، وتلك عليهم نفوسهم وعقولهم ووجوداتهم ، وتعطل ملكة التفكير السديد عليهم ، فلا يرون في «النصوص المقدسة» إلا قيوداً تحول دون انطلاقهم .. »<sup>(٢)</sup> .

(١) من هؤلاء؟ الدكتورة آمنة نصیر !!

(٢) خليل عبد الكريم : « مجتمع يشرب » (٤٣) .

وأستاذة « مسلمة » تدرس لطلابها وطالباتها في الجامعة الأمريكية بالقاهرة رواية مغربي ساقط بعنوان « الخبر الحافي » ، كلها وصف داعر بالأفاظ صريحة مكشوفة للأعمال الجنسية الشاذة القدرة في بيوت الدعارة ، ودافعت الأستاذة عن نفسها بأن « هذه هي الموجة الجديدة في الأدب ، وهي موجة يجب أن يستوعبها الطالب » !!

وذكرني ذلك بقصيدة نشرت في مجلة رسمية بعنوان « الوشم البالى » تنهج نفس النهج الساقط ، وتزيد عليه كتابة الأصوات الجنسية السريرية ، وهي أصوات محترفات الدعارة ( المكونة من الهمزة والخاء - أو الهمزة والخاء المشددة والواو )

و « سيد » من قمم « التنوير » يكتب فصولاً وفصولاً عن « جنائية الغزو الإسلامي » لمصر ، ويصف جيش عمرو بن العاص - رضي الله عنه - بأنه حملة غزو واحتلال .

ويلتقط الخيط « شاعر » تنويرى جداً ، فيصور الفتح الإسلامي لمصر بأنه « غزو همجي » ، ويشبه الفاتحين المسلمين بالهمج والجراد والغربان ، فيقول من كلام طويل :

همج ...

رمت بهم الصحاري جنة المأوى ...  
نهرّ كلابهم فيها ...  
أهـ وتجأـ في المـى قـطـاعـهـم .....  
يـشـونـ فـيـ سـحـبـ الجـراـد .....

كـأنـ وجـوهـهـمـ لـغـربـانـ .....

وـأـعـيـنـهـمـ لـذـئـبـانـ .....

وـأـرـجـلـهـمـ لـثـيـرـانـ .....

## يدوسرن البلاد

ويزرعون خرابهم في كل واد .....  
أبناء أوزوريس صاروا لليباب .....

يا أيها الرمل ارتحل .....

يا أيها الرمل ارتحل .....

واذهب لشائك يا جراد .....

أكفان

وتصف الاحتشام « بأنه ردة حضارية » !!

وكاتبة « تنويرية » تكتب مقالاً تصف فيه طالبات الجامعة

الاحتشمات ، واللائي لا يبدين شيئاً من زينتهن بأنهن « لباسات

أكفان » ! وتصف الاحتشام « بأنه ردة حضارية » !!

وآخر ما « أفرزته » الدكتورة التنويرية (ن) ما صرحت به في تحقيق

صحفي من أن « ختان الذكور » عملية وحشية مؤذية وضارة ، وتصرخ

في غضب « كيف تقطع هذه الجلدة مع أن لها فوائد متعددة؟!؟ » .

( ملاحظة : السيدة (ن) تتحدث عن ختان الذكور لا الإناث ) .

ونتويري - في برنامج تلفازي - يصف الحضارة العربية

الإسلامية أن « نصفها حضارة لواط » .

ونتويري كبير « جداً » - ينزع « تنويرياً آخر » في لقب « رائد

التنوير » - يدعو في قناة تلفازية إلى المساواة بين الذكر والأنثى في

الميراث .. فلما استوقفه مقدم البرنامج قائلاً : « ولكن هذا التحديد

من الثوابت التي جاءت بها الشريعة !! أردف قائلاً : إن الأنثى في

الجاهلية لم تكن ترث .. فبدأ محمد عليه بتحديد نصيبيها بنصف

الذكر .. أى فتح لنا الطريق ، وعلينا أن نكمل بالتسوية بين الجنسين ..

وتحدث عن الفقهاء المجتهدین بقوله : « هم رجال .. ونحن رجال ».  
ـ ملاحظة : ترى ماذا يبقى من هذا التصویری إذا وزننا بأحد  
ـ الأئمة الأربع ؟ وما رصيده من عدّة المجتهد والآیات ؟ ـ

وفي صحيفـة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٩٩٩/٦/١٦ يتـسائل  
ـ أـحمد عبد المعـطـى حـجـازـى في غـضـبـ : « ... هل نـرـيد حـقـاـ أن نـحرـرـ  
ـ عـقـولـنا من الـخـراـفةـ ، وـنـعـالـجـ نـفـوسـنا من الـخـوفـ ، وـنـعـاملـ أـجـسـادـنا بماـ  
ـ هـى جـديـرـ بهـ من اـعـتـزاـزـ وـاحـتـرامـ ؟ » .

ـ وـخـرـيرـ عـقـولـناـ ، وـاحـتـرامـ أـجـسـادـناـ فـي نـظـرـ حـجـازـىـ لـا يـتـحـقـقـ  
ـ إـلـا بـرـسـمـ الـأـجـسـادـ عـارـيةـ ، وـالـسـيـاحـ يـادـخـالـ الـمـوـدـيـلـاتـ الـعـارـيـةـ إـلـىـ  
ـ كـلـيـاتـ الـفـنـونـ لـيـرـسـمـهـ الـطـلـابـ ... بـلـ يـتـمـادـيـ أـحـمـدـ حـجـازـىـ فـيـدـعـوـ  
ـ الـفـنـانـ صـلـاحـ طـاهـرـ وـآـخـرـينـ أـنـ يـرـسـمـواـ لـهـ صـورـةـ مـنـ هـذـاـ السـوـعـ  
ـ الـعـارـىـ « حـتـىـ يـرـاهـ النـاسـ فـيـ الـوـاقـعـ ، وـرـبـماـ رـأـوـهـ عـلـىـ نـحـوـ أـفـضـلـ »  
ـ كـمـ يـقـولـ بـالـحـرـفـ الـوـاحـدـ .

ـ وـقـىـ مـجـالـ الـحـدـيـثـ عـنـ « الـفـئـوسـ فـيـ الرـعـوـسـ » ، وـعـنـ جـوـ  
ـ الـاخـتـلاـلـاتـ الـذـىـ نـعـيـشـ يـتـمـثـلـ أـمـامـاـ أـخـطـرـ جـهاـزـ إـعـلـامـيـ وـهـوـ  
ـ « الـتـلـيـفـيـزـيونـ » بـقـنـواـتـهـ الـخـتـلـفـةـ ... وـالـذـىـ اـسـطـاعـ بـنـجـاحـ فـائـقـ أـنـ يـدـمـرـ  
ـ كـشـيـرـاـ مـنـ قـيـمـاـنـ حـتـىـ أـصـبـرـ رـمـضـانـ - شـهـرـ الصـيـامـ وـالـقـرـآنـ وـالـعـبـادـةـ  
ـ وـالـقـيـامـ - مـرـتـبـاـ اـرـتـبـاطـاـ عـضـيـاـ « بـالـفـوـازـيـرـ » ... الـفـوـازـيـرـ الـتـىـ تـسـلـلتـ  
ـ إـلـىـ نـفـوسـ النـاسـ ، وـهـيـمـتـ عـلـيـهـاـ حـتـىـ أـصـبـحـتـ عـلـامـةـ مـنـ عـلـامـاتـ  
ـ التـوـقـيـتـ الـزـرـمنـيـ فـيـوـاـعـدـ اـنـنـاـ عـلـىـ الـلـقـاءـ بـعـدـ الـفـوـازـيـرـ بـسـاعـةـ أـوـ قـبـلـهاـ  
ـ سـاعـةـ ... وـهـكـذـاـ ... وـلـاـ طـالـ بـعـضـ « الـظـلـامـيـنـ » الـذـينـ نـحـنـ مـنـهـمـ  
ـ يـأـيقـافـ الـبـثـ الـتـلـفـازـيـ مـنـ الـمـغـرـبـ إـلـىـ مـاـ بـعـدـ الـعـشـاءـ بـسـاعـةـ حـتـىـ يـفـرـغـ  
ـ الـنـاسـ عـمـلـيـاـ وـذـهـنـيـاـ وـنـفـسـيـاـ لـصـلـاـةـ الـمـغـرـبـ وـالـعـشـاءـ وـالـتـراـوـيـحـ ، هـبـتـ  
ـ فـيـ وـجـوهـهـمـ الـعـاـصـفـ ، وـكـيـلـتـ لـهـمـ الـاـتـهـامـاتـ ، فـكـانـ الـإـجـبـاطـ  
ـ وـالـأـسـىـ وـالـصـمـتـ !! .

وكان نعجم أن يوجد التلذذ بهذا الهراء الخبيث ، وغيره كثير ..  
في مصر بلد الأزهر والعلم .. والدين .. والماذن .. والتاريخ العربي إلى  
أن جاءت كريمان حمزة ، وفجرت قبلة خطيرة في كتاب من تأليفها  
سمته « لله يا زمرى » كشفت فيه المستورات المنكوبة داخل  
البني الكبير .. وخلف كواليسه .. والذى يقرأ الكتاب الذى أحدث  
ضجة كبيرة يخرج بانطباع صادق مؤدah أن الخلل في السياسة  
والسلوكيات الإدارية والفنية وإغفال ثوابت الدين والأمة وكرامه  
الإنسان ومشاعر الآخرين !! كل ذلك حول هذه المؤسسة إلى « غابة  
إعلامية » لا مكان فيها للانضباط والقيم والمعايير العادلة .  
وأترك الكاتبة تعبر في كتابها بصوتها عن موقفين .. وهناك  
عشرات من أمثالها :

### ليلة القدر في مسجد أسد بن الفرات :

في ليلة القدر اعتاد الداعية عمر عبد الكافى أن يصلى الناس  
ويدعوا دعاء طويلاً .. وكان نجم الرجل قد ارتفع ارتفاعاً لا يتناسب  
مع صغر سنه .. وتدفق المصلون من كل صوب وحدب خلف هذا  
الداعية .. أنهار من البشر سدت شوارع الدقى .. وراح مخرج  
برنامجي ( الرضا والنور ) الأستاذ أحمد طه يصور لإحدى الشركات  
الخاصة هذا المشهد الفريد .

وكل هذا الاندفاع نحو داعية شاب ، قوى في إلقاءه ، قوى في  
إيمانه .. واستمتع الجميع بروح دينية عالية المستوى في هذه الليلة المباركة .  
فجر هذا النجاح قبلة أعداء النجاح .. قبلة من الحقد الأسود ..  
والغيرة العمياء .. والحسد المشئوم غطى رمادها على كل خير .. ومنع  
الرجل من الخطابة في مسجد أسد بن الفرات .. وظلم الرجل ظلم  
الحسين ، وذبحوا الداعية الإسلامي الشاب بسكنى الأمن تارة .. وسكنى  
الفتنة الطائفية أخرى .. وحرمت مصر عالماً شاباً كان يمكن بشيء من  
ذكاء السلطة استقطابه لإصلاح الضمائر الخربة ، ووقف استباحة المال  
العام .. وإعادة بناء الشخصية المصرية السوية .. والحفاظ على طهارة  
القلب .. وزرع كل القيم التي كمنحن في حاجة إليها .. ولكنها إرادة الله .

## قضية دعارة متفصلة وجاهزة :

كنت سعيدة قريرة العين بالعمل كنائب رئيس مجلس إدارة إحدى الصحف الخاصة .. وبينما كنت جالسة إذ دخل علينا شاب قدمه لي رئيس التحرير على أنه ضابط في أمن الدولة .. ودار بيبي وبين هذا الضابط حديث حول الدكتور عمر عبد الكافي .. حاول فيه الضابط إلهاق تهمة إفساد العلاقة بين المسلمين والمسيحيين ، وضرب الوحدة الوطنية بالشيخ عمر ... وحاولت بدوري إقناعه أن أي مسلم دارس لأبسط مبادئ الدين لا يمكن أن يقوم بذلك ... وأن علاقة المسلم بأخيه القبطي علاقة يجب أن تقوم على حسن المعاملة .. ورحت أذكر له بعض الأحاديث الشريفة .

قال رسول الله ﷺ : « من آذى لي ذمياً فأنا خصمه يوم القيمة ،

ومن كنت خصمه خصمته » .  
وهكذا نرى أن رسول الله ﷺ سمي أهل الكتاب بأهله الذمة ليضعهم في ذمته .. أي في عنقه .. ثم في عنق المسلمين بعد ذلك .  
إذن فمحال أن يقوم أي داعية إسلامي بالدعوة إلى الفتنة الطائفية ولكن الذي يفعل ذلك يكون إنساناً جاهلاً جهلاً تماماً بحقائق الدين .. أليس الله هو القائل في سورة المائدة : « لَتَحْدِثَنَّ أَشَدَّ النَّاسَ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْيَهُودِ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجْدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوْدَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لِلَّذِينَ قَاتَلُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ \* وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَي الرَّسُولِ تَرَىٰ أَغْيَانِهِمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْثِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ \* وَمَا لَنَا لَا تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَلَطَمَّعَ أَن يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ \* فَأَنَّابُهُمُ اللَّهُ بِمَا قَاتَلُوا بِجَنَاحَتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَازُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُخْسِنِينَ » [ المائدة : ٨٢ - ٨٥ ]

قلمل الرجل في مقعده وأخذ نفسي عميقاً وقال متاجسراً بوقاحة  
لما أرها في حياتي : انظرى بقى يا مدام كرييان ... بقى عمر عبد الكافى هذا إن لم  
تبسه جريمة ضرب الوحدة الوطنية فهناك قضية دعاية جاهزة ومتفصلة  
عليه هيلبسها فوراً ... احنا موش عايزين له أثر .. أى أثر ...  
صعقتنى الكلمات المنحطة ... ودارت بي الحجرة ، ثم انسحبت  
خارجة من المكتب مبهوتة من شدة الفجور والظلم ... وقلت في نفسي :  
هل يمكن إلحاقي مثل هذه التهمة برجل أكثر ما يميزه فرط الحياة ...  
فماذا يمكن أن يلحق بي أنا شخصياً عند اللزوم ؟

لا أعرف ما الذي أصابنى غير أنى كرهت عملى في هذا المكتب  
الذى يتعامل مع مثل هذا النوع من البشر ، واشمأزت نفسي تماماً  
وكرهت التعاون مع رئيس التحرير الشاب الصغير ابن أحد أئمة  
المساجد الذى تربطنى به وبأسرته صلات عميقة من المودة والثقة ...  
ترك العمل في هذه الجريدة نهائياً دون أن أغرب عن السبب ..  
إذ إن الحديث على هذا المستوى يذكرنى بوحشية الموساد ... وعبر أكرز  
القوى في عهد عبد الناصر وتجاسرهم على الإخوان المسلمين ...  
وصدق رسول الله ﷺ حين قال : « إن الفتى ليتكلم بالكلمة من  
مساخط الله لا يلقى لها بالاً يهُرُّ بها في النار سبعين خريفاً »<sup>(١)</sup> .

كان هذا هو الموقف المأساوي الأول ، وهو لا يحتاج إلى تعليق ،  
ونترك الكاتبة لتقديم لنا الموقف المأساوي الثاني بكلماتها في كتابها :

على جستي إذاعة « العشرة المشرون بالجنة » :  
انغلقت الأبواب أمامى .. فشيخ الأزهر اعتذر لأن له برنامجاً  
خاصاً .. ومفتي الجمهورية يظهر بصفة يومية في جميع القنوات ..  
وأنا أبحث عن الجديد الشيق .. يبقى الدكتور أحمد شلبى أستاذ

(١) كرييان حمرة : « الله يازمرى » (١١٨ - ١٢١) .

التاريخ .. ماذا يمكن أن أسجله معه يوماً في رمضان ؟ أشار على زوجي المهندس سامي القاضى بكتاب « العشرة المبشرون بالجنة » .. وكان الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الشريف الأسبق - رضى الله عنه - وأرضاه قد أثاره وتحدث عنه وهو « العشرة المبشرون بالجنة » الذين جاء ذكرهم في حديث شريف ، قال عليه السلام : « أبو بكر في الجنة .. وعمر في الجنة .. وعثمان في الجنة .. وعلى في الجنة .. وطلحة في الجنة .. والزبير في الجنة .. وسعد بن أبي وقاص في الجنة .. وسعيد بن زيد في الجنة .. وعبد الرحمن بن عوف في الجنة .. وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة » .

كما أن الدكتور أحمد شلبي هو مؤلف كتاب « العشرة المبشرون بالجنة » .. اتصلت بالدكتور شلبي الذى رحب بالفكرة وبدأت المذاكرة والتحصيل واشترت « العقريات » للقاد ، وكتاب « العشرة المبشرون بالجنة » للأستاذ عبد اللطيف عاشور الذى يكتب بأسلوب صوفي محبب لدى الجماهير ، وأن الدكتور أحمد شلبي يكتب بأسلوب أكاديمى بحث .. وخلطت بين الاتجاهات الثلاثة .. بالإضافة إلى خواتيم الحلقات من كتاب « الخلية » ورحا ننتقى أجمل الأماكن للتسجيل حتى أنى سافرت فى رحلة نيلية على الباخرة بين الأقصر وأسوان وسجلت مع الدكتور أحمد شلبي على ظهر الباخرة وهى تجوب نيل مصر .. ودفعت ثمن التذاكر من جيبي ولم أتجاوز على طلب المبلغ المدفوع من التليفزيون .. إذ إن رئيس التليفزيون يرى بأريحيته أن البرامج الدينية لا تسجل إلا في الاستديو لا حاجة لها بالجمال ولا الأبهة .. وتم تسجيل ثلاثة حلقة جاءت على مستوى طيب والحمد لله .

أخبرت السيدة سهير الإتربي بإتمام العمل والمنتج ومراجعة الرقابة .. فسعت لوضع البرنامج فى وقت جيد ..

جن جنون رئيس التليفزيون .. صاح صارخاً : على جشتي إذاعة « العشرة المبشرون بالجنة » ! ودارت أحاديث كثيرة يندى لها الجبين بين رئيس التليفزيون ونائب رئيس القناة الثانية .. الذى راح بدوره

يوصل لي كلمة بكلمة .. وإليك أيها القارئ الكريم أسلوب رجل مسئول في التليفزيون .. قال رئيس التليفزيون :  
ـ العشرة المشرون بالجنة !! ولماذا عشرة ؟  
ـ لماذا لا يكونون اثنين .. أو ثلاثة .. أو خمسة من أين تأتى لها رقم عشرة !!

العشرة من أيام الرسول ﷺ !! لماذا .. مفيش واحد من اليومين دول ببشر بالجنة .. واحد من السلطة مثلًا .. يعني عاطف صدقى (١) موش مالى عينيها !؟ ولا صفت الشريف موش من المشررين بالجنة !؟ الست كريمان موش ذكية بالمرة كانت تختار اثنين من الماضى ... واثنين من الحاضر ... لا ... لا ... لا والله لن تذاع الحلقات ... على جشتى .

ـ ده حتى الصحفى (فلان) قال للوزير : إن العشرة المشررين بالجنة كلهم إرهابين ..... لا يمكن !!!  
ومنعت الحلقات ... وأسقط فى يدى ... وطار بي زوجى إلى الغرفة حيث أمضيت العشرة الأوائل في رمضان في Grand Hotel  
نائمة على ظهرى ودموعى لا تجف .. وأرفع الأمر لله .

« اللهم حل هذه العقدة ! وأزل هذه العسرة ولقنى حسن الميسور !  
ولقنى سوء المقدور ، وارزقنى حسن الطلب ! وقنى سوء المنقلب ! اللهم  
حُجّت حاجتى ! وعُدّت فاقتى ! ووسيلتى انقطاع صلتى ! شفيعى  
دموعى ! ورأس مالى احتياجى ! وعجزى كنزى ! اللهم قطرة من  
بحارك تروينى ! وذرة من عفوك تكفينى ! علمك بحالى يعني عن  
سؤالى يا أرحم الراحمين » (٢) .

ـ وهذه الشواهد ، وتلك الجاذبات تمثل غماذج ، بل إشارات قليلة جداً لغיוرض من السلع الفاسدة التي يتعجر بها التلويزيون في سوق الفكر والأدب ، في مصر ، والوطن العربي .

(١) كان عاطف صدقى رئيساً للوزراء آنذاك .

(٢) « الله يازمرى » ( ١٢٤ - ١٢٧ ) .

والذى يقرأ إصدارات وزارة الثقافة فى عهد الوزير فاروق حسنى يرى سللاً من « الإبداعات » الشعرية والقصصية تلطم القيم الدينية والخلقية والأدب العامة والذوق الجمالى ، وકأن ذلك ناجم عن خطة موضوعة لتدمير هذه القيم ، ولا تبالي ، ويكون الخطأ خطيئة إذا كان فى عمل نقدى من عمل الوعى الذى لاحظ فيه للأحلام والتحليلات والتهويات ، وكل - أو أغلب - هذه الأعمال الصادرة عن وزارة الثقافة تضع الدين مقابل العلم .. أى تضع التفكير الدينى مقابل ديمىًا ذمىًا للتفكير العلمى المستنير ، وتحت يدى آخر إصدارات وزارة الثقافة النقدية<sup>(١)</sup> ، وهو يصفق لكتب ساقطة .. موضوعاً .. وفيما .. وفكرياً بالمعايير النقدية الحصيفة - بصرف النظر عن قيمتها الدينية ، موقفها من الدين ، وهذه الكتب هي : « الإسلام وأصول الحكم » لعلى عبد الرزاق ، وكتاب « في الشعر الجاهلى » لطه حسين ، وكتاب « مقدمة في فقه اللغة العربية » للويس عوض ، وكتاب « الأبياء في القرآن الكريم » لأحمد صبحى منصور ، ورواية : « مسافة في عقل رجل » لعلاء حامد .

وعن هذه الكتب يقول الكاتب : « إنها كتب تخاطب العقل ، أى أنها تستخدم لغة العلم ، أو تخاطب الوجدان وحاسة التفهّم لدى الإنسان .. وبذلك يكون مفهوماً هجوم المؤسسات الدينية عليها ، وهى مؤسسات لا تستخدم إلا لغة الدين »<sup>(٢)</sup> .

واكتشف - من كلام الكاتب نفسه - أنه لم يقرأ هذه الكتب التي صفق لها وهل ؟ فهو يذهب إلى أن الأزهر كان وراء مصادرة كتاب « الإسلام وأصول الحكم » لعلى عبد الرزاق « مجرد أنه ذكر أن النبي محمدًا عليه السلام عندما حكم في المدينة كملك ، حكومة تقوم على ذات الأساس الذى كان موجوداً لدى القبائل العربية في عهد ما قبل الإسلام »<sup>(٣)</sup> . ويحمل الكاتب استقاء هذه « المعلومة » على كتاب على عبد الرزاق ، وكتاب : « الخلافة الإسلامية » لسعيد العشماوى .

(١) وهو كتاب : « أنساق القيم في الإبداع المصرى » لطلعت رضوان : سلسلة

كتابات نقدية رقم ١٠٣ - مايو ٢٠٠٠ .

(٢) طلت رضوان : السابق ( ٣٠ ) . (٣) السابق ( ٢٩ ) .

وبالرجوع إلى الكتابين نجد أنهما يذكرون نقىض ما ذكره الكاتب : فعلى عبد الرزاق يورد قول الرسول ﷺ لرجل اعتدى في حضرته : « هون عليك .. فإنى لست بملك ولا جبار .. وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بحكة ». ويعلق بقوله : فذلك صريح في أنه عليه لم يكن ملكاً ، ولم يطلب الملك ، ولا توجهت نفسه - عليه الصلاة والسلام - إليه <sup>(١)</sup>.

ويقول سعيد العشماوى عن النبي ﷺ في المدينة أنه لم يحكم الناس أصلًا - كملك أو أمير أو رئيس أو سلطان ، وإنما حكمهم عرضاً كبى من الله ورسوله ﷺ إلى الناس <sup>(٢)</sup>.

والأمثلة التي عرضناها لا يمكن أن تتناسب للفكر السوى ، ولا للفن النظيف ، كما لا يمكن أن تتناسب للحرية البناءة الراقة .. فالحرية بلا ضوابط من القيم السامية والوعي الرشيد تحول إلى فوضوية مدمرة .

فالفن السوى لا يهمل من المراحيض والمستنقعات ، والشذوذ والسفاهة ، ولكنه يثلب البعض الصادق ، والتطلعات الإنسانية في ظل القيم الرفيعة ، خلوصاً إلى بناء مجتمع سليم ناهض .

ومن الخلل النفسي والتخطيط والتناقض أننا - نحن الظالميين - كلما نقدنا « الإفرازات » اللاأخلاقية ، واللاأدبية - التي المعنا إلى بعضها - هاج التشویريون ، واعتبروا نقدنا عدواً على حرية المفكر والأديب في الإبداع . وإنى لأتساءل : إذا كان من حق الأديب أن يتمتع بحرية الإبداع .. أليس من حقنا أن نتمتع بحرية النقد ؟

إذا ما ظهر وانكشف ما في دعواهم من خلل وتناقض ، لوحروا بورقة أخرى وصرخوا : هذا تطرف .. وإرهاب فكري .. ولم أصدق

(١) « الإسلام وأصول الحكم » (١٥٠، ١٥١) .

(٢) « الخلافة الإسلامية » (٩٠) .. ومن غرائب ما رأيت أن الكاتب طلعت رضوان يكتب في ثبت مراجعه : القرآن الكريم . ويكتب بجايده أكثر من طبعة منها طبعة الأزهر ، وطبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف . أقول : هذا غريب لأن القرآن يحال عليه برقم الآيات لا الصفحات .

عنيى وأنا أقرأ للسيد رئيس هيئة قصور الثقافة عندما سُئل عن الدوافع وراء حملة النقاد لرواية « وليمة لأعشاب البحر » التى قامت الهيئة بطبعها ونشرها بأن هؤلاء مجموعة « فشلت فى أن تحكم بالقوة والسلاح ، فأرادت أن تحكم حركتنا ، ولا أعتقد أن المسألة تخرج عن هذا الإطار » ص ٧ من أخبار الأدب ٢٠٠٠/٥/٧

وفي العبارة إيحاء واضح بإثارة السلطة التنفيذية واستعدادها على هؤلاء النقاد أو « مجموعة القوة والسلاح » يؤكّد هذا المعنى ما ذكره السيد رئيس القصور في رده (الغاص بالأخطاء النحوية واللغوية لا المطبعية) والمشور في صحيفة الشعب في ٢٠٠٠/٥/٢ ، يقول :

« لكن هناك بعض الجماعات الأصولية السياسية والثقافية دأبت على تهويل ما تطن أنه خطأ في محاولة لإثارة البلبلة ، وفرض هيمنتها ، وترويع المسؤولين والمشففين والمدعين بحيث يظل المجتمع أسير (يقصد أسيراً) لتلك الصورة التي يروجون لها ، ويعملون ضمن شبكة واسعة منظمة للسيطرة على مقدرات حياتنا الثقافية » .

ويقول : « ولعل مقال محمد عباس في الشعب أبلغ دليل على المنهج الإقصائي والانتقامي الذي يقوم به البعض في محاولة تصوير أنفسهم بأنهم هم وحدهم حماة الأديان والمتحدثين (يقصد المتحدثون) باسم الله جل جلاله على الأرض » ، ويتحدث عن الدكتور محمد عباس ويصفه بأنه « ليس ناقداً أدبياً ، بل هو رجل يكتب في موضوعات عامة لإشعال الحرائق ، ومقالاته السابقة التي يهاجم فيها كل المسؤولين بعصر والنشورة بالشعب وعلى رأسهم رئيس الدولة توضح الغرض المستتر الذي يهدف إليه » .

ومرة أخرى نرى في كلام « رئيس الهيئة » استعداد ، واستعداد للسلطة التنفيذية وعلى رأسها رئيس الجمهورية . وهذا يدل على شعور أكيد بضعف موقف الدين يدافعون عن رواية « حيدر » . يدل على ذلك تصويره لنقادي الرواية بأنهم يستمدون إلى جماعات أصولية وثقافية .. وهذا كذب بواح ، فمن الناقدين والناقضين قضاة ومحامون وأساتذة في الجامعات لا علاقة لهم بأى تنظيم أو تيار أصولي .. ومن هؤلاء الأستاذ فاروق جوبدة الذى كتب في الأهرام بتاريخ ٢٠٠٠/٥/٧

مقالاً قوياً جداً .. جداً .. بعنوان «الثقافة الجادة» نسف فيه بحق وعقلانية «الحيدرية والحيدريين» المدافعين عن «أدب المراحيض»، وقد وجدت صعوبة كبيرة في اختيار بعض فقرات منه، فكله من أوله إلى آخره جدير بالشر على أوسع نطاق .. وأكتفى منه بالقطوف الآتية:

«.. ما هو الهدف من نشر رواية سورية لحيدر حيدر من ميزانية أجهزتنا الثقافية؟ وكيف تصدر من أموال تخص خجوع مصر وقرها وشبابها المطحون؟ ..».

«... إن هذه الكتابات تعتمد تماماً على حديث الغائز، حيث لا أسلوب.. ولا فكر.. ولا هدف.. ولا قيمة.. وهي أبعد مما تكون عن جماليات الفن والإبداع.. هناك فرق كبير بين فنون تؤكّد قيم الجمال حتى لو قدمت غاذج سلوكية قبيحة، وفنون أخرى تروج القبح وتدعى إليه».

«لو خرج رجل مجنون إلى الشارع، ووقف عاريًا في ميدان التحرير فإن الشرطة سوف تلقى القبض عليه، ويعاقبه القانون.. فماذا عن هؤلاء الذين يمارسون العرى في الكتابة، ويجدون من ينشر لهم، ويدافع عنهم، ويعطيهم الأموال من جيوب الشعب الغلبان؟».

«... لو أن شخصاً قرر الآن أن يطبع كتاباً، وأنحن على أبواب الانتخابات البرلمانية، وأن يثار فيه من الحزب الوطني ويشوه رموزه.. هل يجد في أجهزة الثقافة من ينشر له هذا الكتاب؟».

ويضيف رئيس الهيئة الدكتور محمد عباس بأنه «ليس ناقداً أدبياً»، و كنت أتفى أن يعرف لنا «الناقد الأديب» من وجهة نظره وأنا أقول : بل هو أديب وناقد من الطراز الأول بكل المقاييس .. فالرجل له قصص وروايات لها قيمتها الفكرية والفنية ، وله نهج جديد في

كتابة «المقال»، وقد رأيت بعض أساتذة الأدب في إحدى الجامعات العربية يصف محمد عباس بأنه رائد «فن المقال الدرامي»، ويقدم نماذج من هذا الفن لطلابه كمادة دراسية ضمن منهج «الفنون التشكيلية في العصر الحديث»، ولا يستطيع منصف أن يذكر أن محمد عباس معروف مشهور على مستوى الوطن والأمة العربية والإسلامية، وجاليات العرب وال المسلمين في أوروبا وأمريكا من سنوات كتابته شديد المراس، تمييز النهج والأسلوب .. يقصد بكتاباته وجه الله ومصلحة الوطن، ونصرة الإسلام .. ومن عجب أن يكتب أحد الصحفيين مقالاً طويلاً - ضمن منظومة الهجوم الضارى على محمد عباس - عنوانه «محمد عباس لا هدف له إلا الشهرة» أخبار الأدب : ٢٠٠٠/٥/٧ -

ص ١٨ ، وأنا أعلم علم اليقين أن الرجل زاهد في الشهرة ، يتهرب دائمًا من الأضواء ، ويرفض كل دعوات القنوات التلفازية الفضائية .. منها دعوة وجهت إليه في رمضان الماضي للظهور في برنامج «الاتجاه المعاكس» بقناة الجزيرة ، وآخرها دعوة للظهور في نفس القناة في برنامج «المشهد الثقافي» . ولو أراد الرجل الشهرة والجاه والنفوذ ، وبهارج الحياة وزخارفها لأحني رأسه ، ولو قليلاً ، وسایر الاتجاه السائد:

واتهام محمد عباس بحرصه على التهبيج والإثارة ، وإشعال الحرائق .. الاتهام ساقط .. لأن شعبنا يا سيدي - مسلميه ومسيحييه - شعب متدين بطبيعته ، وهو يتحرك ويتصدى بصورة عفوية لكل من يخدش دينه .. فالرجل الأمي الجاهل قد يسب أحدهم أباه ، فلا يرد الإهانة عفواً وتسامحاً ، ولكن إذا سب دينه هاج وماج ، وتكون معركة قد تسيل فيها دماء ..

وأذكر في هذا المقام - في عهد السادات - بعد حصولنا على درجة الدكتوراه دعينا في عيد العلم لخلف احتفاء وتكريم للحاصلين على هذه الدرجة في مبني أمانة الحزب الوطني على شاطئ النيل ، وحضر الحفل الرئيس السادات وزوجته ، واستضافوا في الحفل رجلاً جاوز الثمانين قيل لنا : إنه الأستاذ الذي كان يدرس مادة «الرياضيات»

في المرحلة الثانوية للطالب محمد أنور السادات .. بدأ الرجل بالحديث من المنصة مخاطبًا سيدة مصر الأولى ، وكان ضمن ما قال : « .. لقد خلق الله الجمال وقسمه لصفين ، فحصلت نصفه الأول ، وزع نصفه الثاني على بقية نساء العالمين .. ». وظهر الامتعاض على الوجوه والغضب ، بسبب هذا النفاق الرخيص ، وبدأ « الأستاذ » يتحدث عن السادات بقوله : « إن في خلق السموات والسماءات لآيات القوم يعلوون » ، فانتفضوا الحاضرون ، وصرخوا في صوت واحد : « انزل يا منافق !! ». انزل يا فاجر !!

حركة عفوية تلقائية ، ظهرت - والله - كأنما اشتق عليها ، وتدرب الحاضرون عليها من أيام ، وأغلب من حضر هذه الواقعة ما زالوا أحياء منهم : الدكتور أحمد أمين مصطفى الأستاذ بكلية الألسن .. والدكتور عبد اللطيف عامر رئيس قسم الشريعة بجامعة الزقازيق .. والدكتور عبد الرؤوف أبو السعد عميد كلية التربية بدمياط .. وكان ضمن الثنائيين أستاذة مسيحيون .. ويحمد للسادات أنه كلف من يهمس في أذن الرجل وبالبعد عن « منطقة المقدسات » في حديثه .. فاعتذر الرجل . ( مع ملاحظة أن الدكتور محمد عباس لم يكن في هذا الحفل ) .. فشعبنا بطبيعته شعب متدين ، سليم الفطرة .. فمصر - كما يقول الأستاذ فاروق جويدة - « عشقت الأديان قبل أن تظهر فيها الأديان .. وهي التي احتضنت كل رسالات السماء من التوراة والإنجيل والقرآن ، وهي التي أكرمت العائلة المقدسة ، وحفظت للإسلام دوره وتاريخه ». الأهرام ٢٠٠٥/٧/٢٠

ومن مصر خرجت الجيوش لتحقيق أعظم التصاريين في التاريخ : على الصليبيين في ( جطين ) .. وعلى التتار في ( عين جالوت ) .. وبالنصر في المعركة الأخيرة التي كان شعارها : « وإسلامه » أنقذت مصر « أوروبا » من التدمير التتاري ، فلولا هزيمتهم لانطلقا إلى « مضيق جبل طارق » ، ثم شمالاً إلى أوروبا ليحكموا الحلقة بعد الوصول إلى آسيا الصغرى .

ويحمل الحاملون على محمد عباس - لأنه كشف سوأة « أدباء المراحيض »، ويتهمونه بالتهويل .. والتضخيم .. والتهيج .. والخطابية .. والعاطفية .. والتطرف .. وأقول : إنها عملية إسقاط رخيصة ، فمهما جمّر الرجل هم أقرب الناس إلى هذه الصفات والسلوكيات . ولنفتح ص ٢٢ من روز اليوسف (٢٠٠٥/٦) وفي صدر الصفحة نقرأ ما يأتي : أشرس حملة إرهاب فكري تشهدها مصر - إهدار دم وزير الثقافة، ومبدع سورى ، وأربعة مثقفين مصريين .. إعلان الجهاد المقدس ضد « وليمة لأعشاب البحر » هدفه أن نصبح وليمة للمتطرفين .. الروايات لا تقرأ بأسلوب « جوباز »<sup>(١)</sup> النازى ، ولا بطريقة وكلاء الله على الأرض - لم تشهد مصر إرهاباً فكرياً منذ عدة سنوات مثل الذى شهدته الأسبوعين الماضيين - فتاوى تكفير بالجملة لا تحتاج إلا الضغط على الزناد - بيانات إهدار دم كافية لتفجير آلاف الألغام أقيمت عمداً في ساحتنا الثقافية والفكرية لحرق الجميع دون تفرقة - مقاصل (!!) لاجتثاث الرعوس ، وقطع الرقاب داخل محاكم التفتيش الحديثة - انتصر الخوف ، وسيطر الفزع، وسد الرعب ، وأصبحنا نقف في طابور إعدام ننتظر دورنا .... » (ص ٢٢) .

ومن هذا التهويل كثير ... وكثير ... يشدق إلى عصر المقاصل وسجن الباستيل والدماء في ميادين باريس أيام الثورة الفرنسية .. وهذا هو التطرف الحقيقي .. والدولة تحارب ما تسميه بالطرف الديني الذي تعتبره رجعية ، وردة حضارية ، وتدميراً للوطن .. ولكن ما زأى المسؤولين في « التطرف اللا ديني » .. التطرف الإنكارى الذي يتعامل أصحابه مع الإسلام كأنه « مشط كبريت » يحرقونه عوداً عوداً ويلقون به ، فلا يبقى منه إلا « الغطاء الخارجى » الذي لا يغنى ، ولا يشبع من جوع ... وقد أصبح الهجوم على الإسلام ونبيه عليه صلوات الله وآله وسلامه وكتابه وقيمه العليا هو أقرب طريق وأسهله لتحقيق الشهرة والجد والمال .

(١) جوباز : هو وزير الإعلام في عهد هتلر .

والذين دافعوا عن هذه الرواية سلكوا مسالك متعددة :

- ١ - أحدهم دافع عنه بمقولة أن الرجل ذو حلق رفيع ، وله نضاله المعروف ، وأعمال فنية أخرى رائعة .  
( وهو دفاع واه لأنه دفاع خارج الموضوع ، وصفاته هذه تشدد من تجريم العمل فحسنات الأبرار سيئات المقربين )
- ٢ - وبعضهم دافع بمقولة « حرية الفن » فمن حق المبدع أن يقول ما يشاء .

( وهو رأى هدام لأن الحرية بكل أشكالها لها قيود وضوابط ..  
وإلا أصبحت فوضوية مدمرة .. فمثلاً حرية العمل مكفولة بنص الدستور ، ولكنها مقيدة بقيود وضوابط ثقيلة منها : احترام قانون العمل ،  
وألا تكون مادة التجارة محظمة كالمخدرات التي يعمل بها ... إلخ .  
على أن الذين ينادون بحرية المبدع يعتبرون نقدنا للإبداع المريض  
إرهاباً فكريّاً !! ) . معتبرةً لهم أننا نكتب باللغة العربية

٣ - وبعضهم يبرئ « حيدر » بأن هذه العبارات إنما جاءت على  
أسنة بعض شخصيات الرواية وليس الروائي مسؤولاً - بالضرورة -  
عن حوار شخصياته ، أو يكون هذا الحوار مثلاً لرأيه هو .. إنما هو  
متلزم في ذلك بواقعية التصوير .

والتهافت هنا واضح .. لأن الروائي مخترع هذه الشخصيات  
وأسلوبها في التعبير . كما أن « الواقعية » لا تعني تسجيل الواقع ونقله  
كما هو .. وإلا ما كانت الرواية رواية ، ولا الفن فنًا .. لأن الواقعية  
تعني مصداقية التصوير ، وتصفية الواقع ، وتنقيته بوجود الفنان  
الواعي ، وعقله الفعال .

والنقاد يجمعون على هذا الحكم .. وهي مسألة سبعة إليها فيما  
بعد بشيء من التفصيل إن شاء الله .

٤ - وبعضهم يدافع عن الرواية بالإحالـة على شهادات سابقة  
كتبت من شهور أو سنوات بتقديرها والثناء عليها .. كالدكتور على  
الراعي رحمة الله .  
( وهذه الإحالـة تؤدي بضعف موقف الحيلين . على أن هذه الآراء

لاتلزمـنا .. وهـى فـي ذاتـها تحـتمـل البـعـد بـل النـقـض ، كـمـا أنها لا تـبرـئ  
الـروـاـيـة ماـفـيهـا مـن عـبـارـات هـابـطـة سـافـلـة ) .

ثـم أـقـول : إـنـا لـو حـكـمـنـا - بـعـيـداً عـن الدـين - الـحدـ الأـدـنـى مـن  
« الـذـوقـ السـوـى » ماـسـتـسـاغـ الـفـاظـ « الـخـراء » وـمـا دـارـ فـي فـلـكـهـا .. ثـم  
أـسـأـلـ ماـسـرـ إـصـرـارـ الكـاتـبـ عـلـى هـذـهـ الـعـبـارـاتـ ، وـهـلـ تـأـثـرـ الـرـوـاـيـةـ فـيـاـ  
وـمـوـضـوـعـيـاـ لـوـ أـسـقـطـتـ مـنـ الـرـوـاـيـةـ أـوـ اـسـتـبـدـلـ بـهـاـ غـيرـهـاـ ؟

\* \* \*

وـأـذـكـرـ الـقـارـئـ - عـلـى سـيـلـ الـإـلـمـاعـ - بـعـضـ مـاـ قـدـمـهـ التـسـوـيـرـيـونـ  
عـلـى مـائـدـتـهـمـ :

١ - لـاـعـلـاقـ لـلـإـسـلـامـ بـالـسـيـاسـةـ ، وـنـظـامـ الـخـلـافـةـ الرـاشـدـةـ نـظـامـ

جـاهـلـيـ فـاسـدـ !

٢ - فـيـ الـقـرـآنـ آـيـاتـ أـدـخـلـ عـلـيـهـاـ تـحـرـيفـ ، وـهـوـ لـاـ يـخـلـوـ مـنـ  
الـأـخـطـاءـ الـلـغـوـيـةـ وـالـنـحـوـيـةـ .

٣ - التـشـكـيـكـ فـيـ الـحـدـودـ الـإـسـلـامـيـةـ ، وـالـدـعـوـةـ إـلـىـ رـفـعـهـاـ  
أـوـ بـعـضـهـاـ مـنـ الـشـرـيـعـةـ .

٤ - سـقـوطـ أـجـهـزةـ الـإـلـمـاعـ - وـخـصـوصـاـ التـلـفـازـ - فـيـماـ حـرـمـ اللـهـ  
بـالـإـسـاءـةـ إـلـىـ الـدـينـ بـالـعـرـوـضـ الـلـاـ أـخـلـاقـيـةـ ، وـالـرـقـصـ الـعـارـىـ ، وـالـفـواـزـيـرـ ،  
وـحـرـمـانـ أـصـحـابـ «ـ الرـأـيـ الـآـخـرـ » ، وـخـصـوصـاـ الـإـسـلـامـيـنـ مـنـ التـعـبـيرـ  
عـنـ آـرـائـهـمـ .. فـالـمـسيـطـرـوـنـ عـلـىـ هـذـهـ الـأـجـهـزةـ وـالـقـنـوـنـاتـ مـنـ عـتـةـ  
الـعـلـمـانـيـنـ وـالـيـسـارـيـنـ .

٥ - مجـتمـعـ الـمـدـيـنـةـ أـيـامـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ صـلـلـلـهـ عـلـيـهـ وـهـيـاـ  
وـانـهـيـارـ حـلـقـيـ .

٦ - أـدـبـ الـفـراـشـ وـالـدـعـارـةـ - قـصـصـاـ وـشـعـرـاـ - يـثـلـ جـوـهـرـ  
الـتـبـجـيدـ وـالـوـعـيـ الـرـاقـيـ .. وـبـعـضـهـ تـسـرـبـ لـيـكـونـ مـادـةـ درـاسـيـةـ جـامـعـيـةـ .

٧ - فـتـحـ الـمـسـلـمـيـنـ لـمـصـرـ كـانـ غـرـزاـ هـمـجـيـاـ وـحـشـيـاـ .

٨ - التـحـشـمـ وـالـحـجـابـ تـخـلـفـ وـرـجـعـيـةـ ، وـرـدـةـ حـضـارـيـةـ !!

٩ - في ختان الذكور ضرر .. ووحشية .. ويجب تحريره .

١٠ - الحضارة العربية الإسلامية حضارة لواط .

١١ - ثابت الشريعة في الميراث وغيره يجب أن يتتطور وتتغير .

١٢ - احترام العقل والجسد لا يتحقق إلا بالسماح برسوم الأجساد عارية في كليات الفنون كمادة دراسية لارتقاء الفن .

١٣ - الإساءة إلى ذات الله والدين ووصف القرآن بأنه «خراء» عمل فني رفيع علينا احترامه وعدم التعرض له !! .  
وغير ذلك كثير ... وكثير جدًا .

\* \* \*

كانت هذه بعض مظاهر الخلل الفكري والثقافي والأدبي الذي نعيشه ابتداء من العقدين الأخيرين بصفة خاصة ... لا صوت - له اعتبار - إلا الصوت الحكومي .. والعلماني .. واليساري . أما الصوت الإسلامي فخافت .. أو مخنوقة .. أو من نوع .. أو ممنوع .. تراكمات نفسية ثقيلة عنيفة كانت تتجدد ، وتزداد وتكثف .. الإحباط .. أو اليأس .. أو الغضب الدفين .. مشاعر تجذرت .. وترسخت في النفوس .

ثم جاءت « وليمة لأعشاب البحر » ، لتنكأ الجراح ، وتوقظ ما نام ، وتزيح الرماد عن ومض نار أوشك أن يكون له ضرام .. فكانت مظاهرات ومؤتمرات واحتجاجات . ولم يتهدأ المسؤولون في وزارة الثقافة للمشكلة بوعى وتفهم ، وواقعية ومصداقية ، وتابعهم الصحف القومية ، وبعض صحف المعارضة ، وأصرروا على التمادي في الباطل والتطرف ، مدعين أن الرواية ليس فيها ما يخدش الإسلام والخلق .. بل زاد تقاديمهم قاديمًا فأدعوا أن الرواية تؤدي للإسلام خدمات جليلة (!! ) .

\* \* \*

وعلى أية حال عكفت على قراءة الرواية قراءة متأنية فاحصة ، ورأيت أن من حق الإسلام على والأدب أن أقدم فيها دراسة موضوعية منصفة ، آمل أن تكون وافية بالغرض ، وجعلت الدراسة قسمين :

القسم الأول : عنوانه : « مع الرواية دينًا وأدبًا ».  
والقسم الثاني : عنوانه : « الرواية بين التحدى والتصدى ».  
ولا أفضل القول في المقصود بهذه القسمين .. فالقارئ على  
إدراك ذلك قديم .. ثم إنني ذيلت الكتاب « بوائق » مختلطة استكمالاً  
للفائدة ...  
وأخيراً أدعوا الله أن أكون قد وفقت فيما خلصت إليه من  
أحكام .. إنه نعم الولي ونعم النصير .  
د. جابر قميحة

ربيع الآخر ١٤٢١

بوليتو ٢٠٠٠

الجية . الأورمان

رمز بريدي ١٢٦١٢

ص . ب ٢٤١

طبعة رقم ١ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ٢ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ٣ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ٤ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ٥ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ٦ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ٧ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ٨ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ٩ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ١٠ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ١١ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ١٢ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ١٣ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ١٤ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ١٥ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ١٦ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ١٧ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ١٨ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ١٩ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ٢٠ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ٢١ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ٢٢ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ٢٣ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

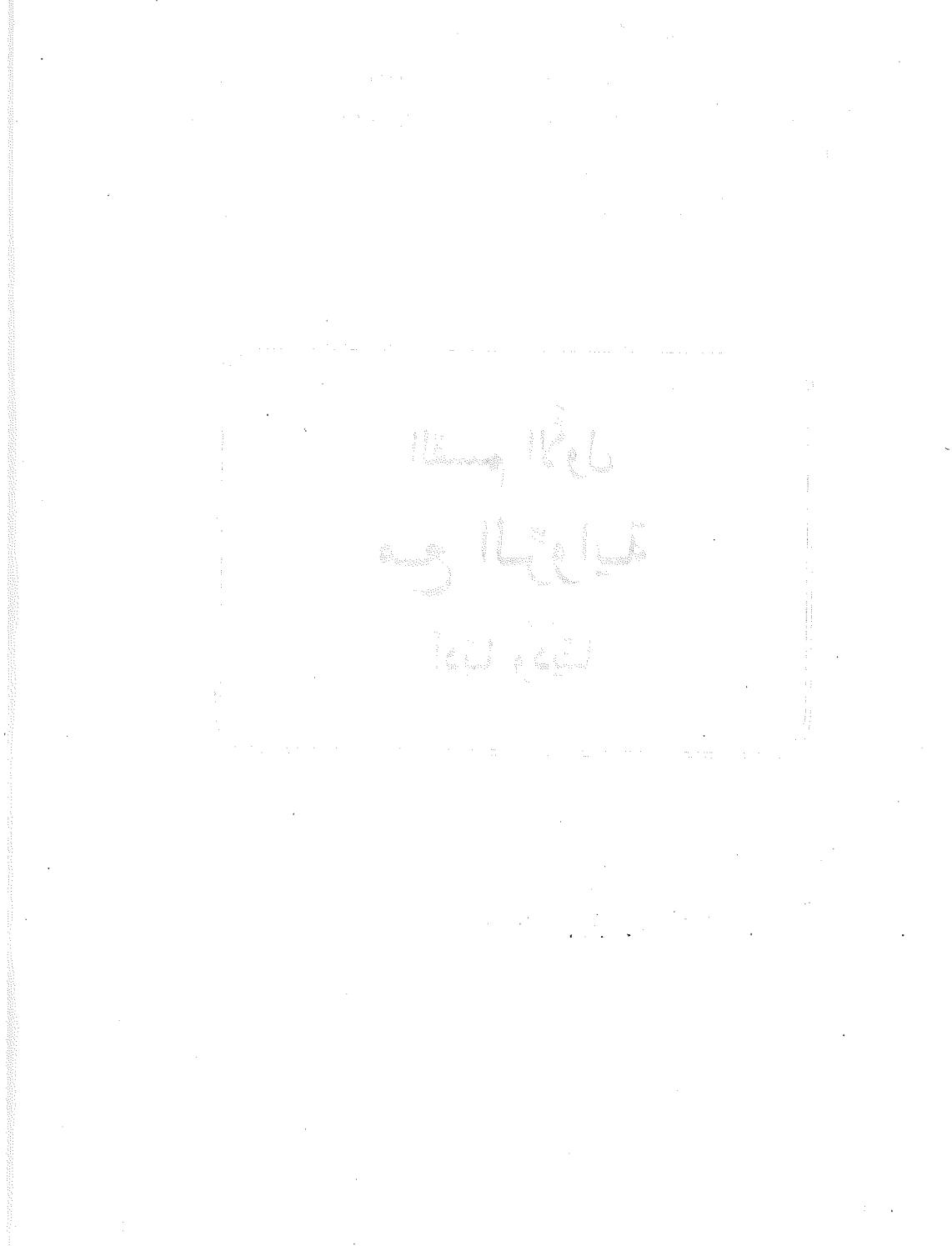
طبعة رقم ٢٤ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ٢٥ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ٢٦ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

طبعة رقم ٢٧ .. طبعة شهادية .. طبعة مطبوعة .. طبعة مطبوعة

القسم الأول  
مع الرواية  
أدبًا ودينيًا



## عرض الرواية

ـ « وليمة لأعشاب البحر » لحيدر حيدر ، أعطاها كاتبها هذا العنوان لأن بطل الرواية .. أو واحداً من أهم أبطالها ، وهو « مهدي جواد » انسحب من الحياة بعد معاناة طويلة ، ووقع وتجارب مرة قاسية ، وألقى بنفسه منتحرًا ، ليكون طعاماً أو « وليمة لأعشاب البحر » .

وتدور أحداث الرواية في العراق والجزائر .. وإن كان حضور الأخير أظهر وأكثر امتداداً في الظاهر على الأقل .. والأحداث منها التاريخي الحقيقي .. ومنها الروائي المخترع ومنها ما يرى مباشرة .. ومنها ما يستحضر بالتذكر وأسلوب الاسترجاع أو الاجترار وهو ما يسمى بالـ (Flash Back) .. وهذا ما حرم الأحداث « التدفق التصعيدي » المنتظم ، الذي يجعل خط المنطق الروائي متافقاً وموازياً للمنطق الزمانى من البداية إلى النهاية ، بدون « تقاطعات » أو « مقاطعات » .

قسم الكاتب روايته ثمانية فصول .. عناوينها بالترتيب : ( الخريف - الشتاء - الربيع - الأهوار - الحب - نشيد الموت - ظهور اللوبياثان - الصيف ) .

والمساحة الزمانية في الرواية تستغرق عهد عبد الكريم قاسم في العراق ، وأبو مدين في الجزائر ، ويطلق عليه في الرواية ( بوخروبة ) . يفجع الماركسيون في حكم « الزعيم الأوحد » ، فيلجمون إلى تشكيل التنظيمات المسلحة ، وتبدأ المواجهة - أو المواجهات - المسلحة غير المتكافئة .. وأشهرها وأشدتها كانت في مستنقعات « الهور » حيث سقط الرفاق صرعى ، « وتهاوي من بقي منهم في الشوارع والأزقة والأقبية برصاص كواتم الصوت والبلطات القاطعة ، وضاغطات الكونكريت التي تنهش الرأس بين مخالبها ، وسائر مستحدثات القتل المستوردة ، وينجو من ينجو هارباً عبر فجاج الأرض » <sup>(١)</sup> .

(١) « وليمة » ( ٤١٣ ) .

وأهم من هرب من هذه المجزرة ، ومن جحيم الإرهاب الذى شنه الزعيم الأول على الشعب العراقي شخصيات محوريات هما : مهدى جواد ، ومهيار الباهلى اللذان يمما شطر الجزائر بعد أن استقلت بعشر سنين .. فاستقبلتهما مدينة « بونة » الجزائرية الساحلية .. جاءا ، والتقيا على غير اتفاق أو ميعاد مأخوذين بعزم بلد المليون شهيد ، ويجمع بينهما المذهبية الماركسية ، وصدمة الهزيمة والانكسار ، ومعاناة التعذيب في السجون والمعتقلات ، والطموح إلى التغيير الشامل ، وفقاً لأحلام الأيديولوجية التي يعتقدان .

ويلتقي جواد بالفتاة الجزائرية « آسيا لخضير » أمّام مدرسة القديس أو غسطين الثانوية ، واتفقا على أن يعلمها اللغة العربية في دروس منزلية خاصة ، ويصبح الدرس وسيلة ومفتاحاً للقاء والسهر والخروج والمتنة .

ويحاول مهيار الباهلى أن يعيش عن الهزيمة الساحقة التي نزلت بالماركسيين في العراق فيواصل جهوده متصلًا بالثوريين الجزائريين .. ولكنه لم يجد الاستجابة المأمولة .. فالشعب الجزائري - بعد الاستقلال ، وتحت وطأة الحكم الوطني الشمولي - يعيش جوًّا من الخوف ، وانعدام الوزن والثقة .

ويلتقي مهيار بـ « فلة بوعناب » ، وينزل في بنسيون هذه التي كانت مجاهدة قدية ، وترى له الوضع السيئ الصادم في جزائر ما بعد الاستقلال « ... الدنيا فرضي ، والبلاد بلا قوانين ولا مؤسسات ، والصراعات محتدمة داخل جبهة التحرير التي تحولت إلى حزب مخلوط : يمين ويسار ووسط .. عسكر .. وتجار .. وإقطاع .. وفلاحون .. ومشققون .. مخلوطة عجيبة وغريبة !! <sup>(١)</sup> .

الثورة الوطنية انتهت ، والرجال صاروا في موقع السلطة والمسؤولية .. وهانحن اللواتي قاتلن في الجبال والمدن نتحول إلى الخدمات المنزلية : جميلة بورحيد تزوجت من محاميها ، وهاجرت معه .. جميلة بوعزة دخلت في النسيان .. أنا مع آلاف النساء صرنا إلى ما يشبه المؤسسات أو الزوجات الصامتات المطبيات للرجال <sup>(٢)</sup> .

(٢) المرجع السابق (٨٣) .

(١) « الوليمة » (٨٢) .

وتغدو المسيرة في اتجاهها الطويل منظومة مكشوفة من المواقف الجنسية الحادة المستغرقة في الارتواء الالامشروع والشهر والخمر ، مرتبطة بالطبيعة غالباً ، وخصوصاً طبيعة البحر والشاطئ ، في صور تختلط فيها الرومانسية بالسريالية .

ونواجه في الرواية صورة أخرى من صور الاستلاب هو الاستلاب الاجتماعي - من وجهة نظر «آسيا لحضر» - حين يتزوج أو .. «يستولى» «يزيد ولد الحاج» على أمها «لا لا فضيلة» بعد استشهاد أبيها «سى العربي» برصاص الفرنسيين ، ويحاول الزوج الجديد أن يحكم الأسرة كلها : زوجته لا لا فضيلة ، وأسيا ، وشقيقتها منار وشقيقها رابع . إنه بيت سى العربي يحتفل برب الأسرة الجديد يزيد ولد الحاج «ولي النعمة ، منقذ الأسرة من الفقر واليتم والشرد في أعقاب استقلال الوطن .. الرجل الأمى ، تاجر المارشى نوار ، المالك عشرين مليوناً من الدنانير ، يتحرك ، ويفكر بمستوى ملكيته »<sup>(١)</sup> .

ولكن هذه السلطة لم تمنع آسيا من الثورة في وجهه ، وبسبه بأقدع السباب مما أصابه بالجزع ، ودفعه إلى الهرب بعد أن شعر بانهيار كبرياته ، وربما بالندم لأنه تسبب في إثارة آسيا ، إذ سب الأم وبناتها ، ووصفهن بصفة لا أخلاقية .

التوتر الحاد هو السمة النفسية العصابية التي تسيطر على سلوكيات الجميع وتوجهاتهم ، وهو نتيجة طبيعية لمجموعة الإخفاقات المتلاحقة المخصوصة على كل المستويات : إخفاق المجتمع الجزائري في تحقيق مطامعه في الاستقرار والتوازن بعد الاستقلال ، وانكسار الماركسيين في العراق ، وسحقهم ، ثم إخفاقهم في فتح «أسواق» دعوية لهم في الجزائر .

واقتنت بعض الشخصيات القيادية بذنب شعورهم بالخيبة والإحباط في الخمر والنساء .. ومنهم من رأى الحل في الانتحار كما فعل «عطشان ضيوي» القائد العسكري عضو الحزب الشيوعي العراقي الذي ألقى بنفسه منتحرًا من الطابق الخامس بأحد الفنادق بمدينة بون بألمانيا<sup>(٢)</sup> .

(١) «الوليمة» (٦١٨) .

٤٦٩

(٢) المرجع السابق (٤٦٩) .

ويحاول مهدى جواد الانتحار بقطع شريانه ، ثم يغمد لفافته المشتعلة فى الجرح ، ويروح فى غيبوبة كان من الممكن أن يكون فيها نهايته لو لا إنقاذ مهيار الباهلى له .

وإذا كانت هذه المحاولة قد أخفقت فإن الأخرى والأخيرة قد نجحت ، فترى مهدى جواد « ... يخطو نحو البحر ، على الرمل يتعرى ، ثم يصعد صخرة ، يتنفس بعمق الهواء الرطب ، وباندفاعة طائر يقذف جسده فى البحر »<sup>(١)</sup> . وبهذا المشهد المأسوى تنتهى الرواية .

\* \* \*

---

(١) « الوليمة » ( ٧٩٠ ) .

## البناءُ الفنِّي

بين يدي هذا المبحث قد يكون من الفائدة الإشارة إلى عدة حقائق تتعلق بالرواية .. منها الشكلي .. ومنها الموضوعي .. وهي في مجموعها تتلخص فيما يأتي :

١ - أن كتابة الرواية استغرقت عدة سنوات .. أى أن حيدر حيدر كتبها على فترات متقطعة ما بين الشام ، والجزائر ، وبيروت ، وقبرص .. وذلك باعتراف كاتبها .

٢ - أن الرواية حين ظهرت ظلت متنوعة من دخول أغلب البلاد العربية لمدة اثنى عشر عاماً - باعتراف المؤلف - وهذا يعني أنه كان هناك إجماع شبه تام على مستوى الفكر العربي - على خروج الرواية على المفاهيم والمسلمات الفكرية والعقدية<sup>(١)</sup> .

٣ - صفحات الرواية في طبعتها الأولى سنة ١٩٨٣ ( ولم يذكر فيها بلد الطبع ، ولا الدار الطابعة ) بلغت ٣٧٨ صفحة بالحروف الصغيرة .. أما طبعة وزارة الثقافة المصرية فبلغت ٦٩٠ صفحة بحروف أكبر .

والطبعان متماثلان حتى في علامات الترقيم التي لم يستخدم الكاتب منها إلا : النقطة دائمًا .. وعلامة الاستفهام والتعجب أحياناً .. ونادراً ما يستعمل الفاصلة . ومن يقرأها يشعر بأنها مصابة بتضخم فادح غير حميد ، وسبب ذلك التكرار والإسهاب إلى درجة الغلو في وصف مظاهر الطبيعة وأبعاد البيئة ، ومواقف بعض الشخصيات ، وكذلك الحقائق الواقع والتقارير التاريخية المطولة .. وهو مأخذ سجله على الرواية من ناصروها ، ووقفوا في صفحها<sup>(٢)</sup> ولو حذفنا ما فيها من تورمات لجاءت في نصف حجمها الحالى .

(١) وهذا اعترف به حيدر في حديثه مع الصحافية أمينة طلعت . ( أخبار الأدب ٢٠٠٠/٥/٧ ) .

(٢) انظر : « الرواية في الوطن العربي : نماذج مختارة » للدكتور على الرايعي عن ( أخبار الأدب

٢٠٠٠/٥/٧ . )

٤ - والرواية سياسية في المقام الأول ، وتنجح - كروايات الحداثة وما بعد الحداثة .. إلى تعرية الواقع الراهن ، وهزّه والكشف عن منطقه<sup>(١)</sup> وهي تبرز التجربة الشيوعية في العراق ، وتهاجم القوى البرجوازية في العراق والجزائر بصفة خاصة ، مع الاستشراف المتند إلى « المجتمع الأفضل » في ظل الأيديولوجية الشيوعية ، والنظر إلى الكفاح المسلح كطريقة مثلى .. بل منهج وحيد لتحقيق « أول كميونية عربية »<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

والرواية - كما هو معروف - فن نثرى خيالى طولى .. أو قصة طويلة تجتمع فيها عدة عناصر في وقت واحد مثل السرد .. والوصف .. والأحداث .. والشخصيات .. والحوار .. والمغزى .. وكل ذلك في بناء فنى له قيمته الفكرية وقيمته الجمالية ، وقيمته الشعرية ..

وليس هناك موضوعات تختص بها الرواية .. بل إن الحياة بما فيها ، ومن فيها ، في ماضيها ، وحاضرها ، ومستقبلها المتخيّل تتسع لمنح الرواية موضوعاتها ، وعلى أساس هذه الموضوعات يقسم النقاد الرواية إلى أنواع : سياسية .. اجتماعية .. تاريخية .. نفسية .. إلخ<sup>(٣)</sup> .

والحرية التي تتمتع بها الرواية في أن تطول كما تشاء ، وتتسع جوانبها وأطرافها كما تشاء ، تهيئ لها أن تتناول موضوعها من أول نقطة ، وأن تلم بجميع ملابساته وجزئياته ، وألا تقتصر على عدد محدود من الشخصيات والأحداث ، وألا تقف دون حادثة خارجية أو خالجة داخلية .. وهذا ما يؤهل القصة لأن تتولى

(١) انظر في ذلك : عابد بخزندر : رواية ما بعد الحداثة (٦٧) ، وإن جاء ذلك بأشكال لرفضها.

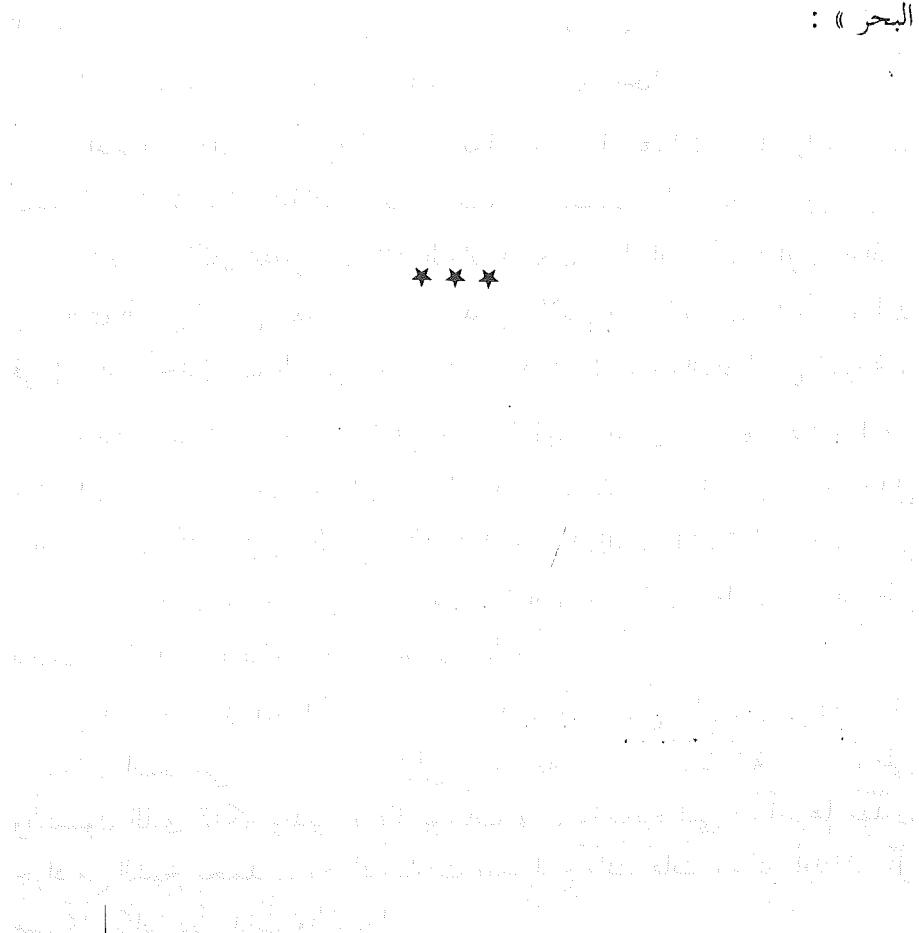
(٢) محمود أمين العالم : رواية عن الأوضاع الفاسدة : نشيد الثورة العربية المجهضة.

( دراسة بمجلة أخبار الأدب ٢٠٠٥/٧ ) .

(٣) انظر : الدكتور محمد عنانى « الأدب وفنونه » (١٢٤) ، ومجدى وهبة « معجم مصطلحات الأدب » (٣٥٤) ، ولمعرفة أنواع الرواية واتجاهاتها انظر الصفحات : ( ٤٨٥ - ٢٢ - ٥١٣ - ٣٧١ - ٤٢٦ - ٥٦٢ - ٦٠٥ ) .

التعبير الكامل عن التجربة الشعرية التي تختارها أيّاً كانت طبيعتها ولونها ،  
ومجالها في الزمن أو في الشعور<sup>(١)</sup> .

والرواية عمل فني متكملاً ، وله عناصره التي تشكل هذا العمل ، وتعدد هذه العناصر إنما هو تعدد صناعي لأن هذه العناصر لا قيمة لها إلا بقدر وجودها في العمل القصصي منصهرة فيه ، يتفاعل بعضها مع بعضها الآخر .. فهناك البيئة أو المكان والزمان ، والأحداث والواقع والشخصيات والحبكة والسرد وال الحوار . ولنا مع هذه العناصر وقوفات في نطاق الرواية الحيدرية : « وليمة لأعشاب البحر » :



(١) سيد قطب : النقد الأدبي .. أصوله ومتاهجه (٧٦) .

## أولاً : البيئة

المعروف أن الأحداث تقع بفعل الشخص ، ولا بد للأحداث والشخص من بيئة مكانية وزمانية تمارس فيها وجودها .. وبذلك يبدو جو من الواقعية على العمل القصصي .. ليس هذا فحسب .. فللبيئة دور دينامي فاعل في الأشخاص والأحداث وال موجودات ، وفي إبراز بعض الملامح النفسية للشخصيات ، فتعلق الشخصية بمكان معين ذي مواصفات مفتوحة أو موحشة يكون له تأثيره ودلاته على طبيعة الشخصية .. وللنقد كلام كثير في هذا المجال .

والمساحة المكانية في هذه الرواية موقعان أو وطنان هما : العراق والجزائر .. فهما المكانان المباشران اللذان تحركت فيهما الشخصيات والأحداث ، ويمكن أن نطلق عليهما «المكان الفعلى» .. لأن الرواية اتسعت لمساحات مكانية أوسع آماداً ، وتستغرق الوطن العربي كله .. ولكن بالذكر والاسترجاع Flash back .. وذلك في إشارات يحاول بها الكاتب خدمة المضمون الفكري ، والبناء الفنى للرواية .

وكان حظ البيئة الجزائرية أوفى من حظ البيئة العراقية .. وجاء ذلك طبعياً لا افتعال فيه .. لأن بيئة العراق مرتبطة بأزمة الإخفاق والانكسار .. وبالقابل كانت بيئة الجزائر مرتبطة بالأمل والاستشراف ، والتطلعات الآملة إلى تحقيق ما لم يتحقق بالحركة الخاسرة وغير المتكافئة مع قوات عبد الكريم قاسم .. وإن ظل للعراق مكانها في منطقة التذكر والتحرك النفسي .

وداخل هذه المساحة المكانية الشاسعة واسمها الجغرافي : الجزائر .. كان هناك مساحات أصغر هي - بالمعنى التنازلي - «دونة» المدينة الساحلية ، والشواطئ والبنيسون الذى تملكه وتديره «فلة بوعناب» .. والحجرة التى استأجرها مهدى جواد من الشيخ محمد .. وهناك البارات والشوارع والمتنيزهات ، وكل أولئك مثلّ مسرحاً مكانياً للأحداث والأشخاص .

وعلى مدار الرواية كلها نرى غرام الكاتب بالبحر لا يعادله غرامه بأى مكان

آخر .. فهو يشدني إليه بأسلوب رومانسي - صوفي أحياناً - أخذ آخر حتى ليحس المرء أنه لا ينقصه إلا الوزن والقافية حتى يصير شعراً .. وظاهرة التشخيص من أمبر ملامحه ، مع قدرة على التحرير والتلوين والإلتفاق في مشاهده التي يرسمها للطبيعة .. يقول في صباح مدينة « بورنا » :

« صباحات أفريقيا عذبة رغم بروتها القاسية ، فجر حزين وغامض كأسرار الغابات ، يحمل في هبوب ريحه رواج مفعمة بالباري ، وشفوف البحر .

إن العموض الذي يوشى غلاف المدينة ، يطوقها بشفافية الأسى والصمت ..

هذه الموسيقى الموجة بالأسرار تتجلى تحت الفجر الرطب حيوية وشوقاً .

العمال وال فلاحون والطلبة ، وهذه الطيور الصائحة عبر الغابات ، وفوق مياه

البحر توقد لها شمس بونة فتتدفق بكل دينامية أفريقيا العذراء .

وصباحات هذه القارة المضاء والخضراء تقول شيئاً متناقضًا يصل متبع الدهشة .. ما أغذب هذه القارة ، وما أقصى الإقامة هنا !! هذا ما يحسه الغرباء بعد وقت <sup>(١)</sup> .

وتتجلى شاعرية الكاتب وهو ينتقل ذهنياً إلى مساحة مكانية أخرى تختلف عن السابقة تماماً إنها « مكانية » الأهوار المنطقية السبخة الطينية في العراق حيث

دارت المعركة بين فصيل شيعي وقوات عبد الكريم قاسم بمصفحاته ، ومدافعته ،

وطيرانه ، والحركة في هذه المساحة قوية متلاحقة ، عالية النبرة :

« تحت سطوة الهجوم تجلى القتال التراجعي داخل هذا الحقل المغناطيسي

شبيهاً بالانقاذ داخل دورات بحرية ، بدؤوا تحت الشفق الزعفراني المرشوم

بالوحل كأنما يدورون ببطء داخل رحم غرينى اندفعوا للاحتماء به كأطفال

مهددين ، لكنه كان يبتلعهم على مهل كلما أوغلوا في أعماقه .. في لحظة مفلترة

من نطاق الوعي تراءى لهم . كأن شيطاناً سحيرياً مغمطاً تشكل من نداء الحياة والموت

والطفولة ، وجنيات النهر والغابات ، والضباب ، ووهادات الأرض ، نهض من

أعماق الطمي ، وراح يسبحهم إلى جوفه ... » <sup>(٢)</sup> .

فالملكان في الطرح السابق لم يكن مجرد ساحة للمعركة ، لكنه تحول بقوسته

(١) « الوليمة » (١٤٦) .

(٢) « الوليمة » (٤٠٦) .

إلى رمز للغدر الذي قام بابتلاع المناضلين دونما رحمة أو تساهل .. وكأنه هو والحكام الطغاة وجهان لعملة واحدة .

\* \* \*

وفي مقام الحديث عن المكان الروائي نلاحظ أنه يمثل غالباً طرفاً لازماً في ثنائية يمكن أن نسميتها « ثنائية المكان والجسد » ونقصد المكان بمفهومه الواسع الذي يصدق على البحر والشاطئ والبيت والحجرة والسرير والكازين ... إلخ ، ويعنى بالجسد الجنس بدرجاته المختلفة ، وما تعلق به من مظاهر السقوط المختلفة كشرب الخمر .

فوصف البحر - بصفة خاصة - لا يأتي إلا متلبساً مشاهد جنسية ، أو مواقف شاذة في أغلب الأحيان .

وهذه الازدواجية تواجهنا من أول صفحة استهل بها الكاتب روايته في حديثه عن شاطئ مدينة بونة الجزائرية « وكان صباحاً مضيئاً ، في سماء صاحبة ، النوارس وهي تخفق بدت كأنها تعلن عن غبائها بذلك الطيران الأبيض الواهن . وفوق الأعشاب وأوراق الدغل كان الندى يتلألأ تحت شمس خريفية ..... ولم تلتفت . سبقته خافقة بذراعيها كجناحى طائر في فضاء أبيض .. السرعة والريح رفعتا تنورتها الخضراء فبدا كالرخام فخذادها الناصعان المكتنزان ... » (١) .

وعلى نحو أشد حدة يكثـر المؤلف من مشاهد هذه الثنائية في مرجـية تحكمها الغريزة البهيمـية ، والمزاج الشاذ ، وبصورة تثير التقزـز والملاـلة ، مع محاولات ادعـائية مخـالطة لرفع طبـيعة هذه الثنـائية بـردهـا إلى طـوابع إنسـانية جـذرـية ، يـصبح الخـروج عـلـيـها خـروجـاً عـلـى الأـصـل ، فـيلـجاً المؤـلـف لـتـبـيرـ السـلـوكـ الشـاذـ - إـلـى خـلقـ اـنتـماءـ مـفـتـعلـ إـلـى الـبسـاطـةـ الـإـنسـانـيـةـ الـأـوـلـيـ ، وـالـمـاخـضـنـ الـطـفـوليـ الـطـاهـرـةـ .. فـعلـى شـاطـئـ بـونـةـ » يـخـرـجـ مـهـدـيـ منـ الحـقـيـقـةـ الـبـيـرـةـ وـالـسـانـدـوـتـشـ وـالـفـوـاـكـهـ وـالـرـادـيوـ ... يـنـضـوـ ثـيـابـهـ ، هـىـ الـأـخـرىـ تـعـرـىـ ، أـحـدـهـماـ يـسـبـقـ الـآـخـرـ إـلـى الـبـحـرـ ، صـرـخـةـ أـوـ شـتـيمـةـ ، ثـمـ يـصـطـفـقـ الـبـحـرـ ، وـيـنـخـصـ تـحـتـ انـغـمـارـ الـجـسـدـيـنـ .... وـلـكـنـهـماـ هـنـا

(١) « الوليمة (٩) .

يلعبان لعبة الطفولة في غياب الأبوين .. الأطفال هما يخلعان القماط الأول للنهد .. إنهم يطهران من دنس التربية المقدسة ، والعائلة المقدسة في أملاح البحر <sup>(١)</sup>.

... كانت الفتاة والرجل والبحر الآن بعيدين عن المدينة في تلك المساحة من العراء ، ابتدوا يمرحان كطفلين خارج قوس الحصار <sup>(٢)</sup>.

كان حظ البيئة الجزائرية في الرواية أوفى في حظ البيئة العراقية بالمعيار الكمي وبالمعيار الكيفي إذا قصرنا هذا المعيار على الجانب العاطفي .. إذ نجد استجابة المؤلف وتجاوبيه مع بيئـة الجزائر وخصوصـاً البحر أقوى وأشد توهجاً ، ولكنه كان أقوى تأثـيراً ، وأعـمـرـ بالـصـدـاقـيـةـ الفـنـيـةـ فيـ عـرـضـ مـيـدانـ مـعـرـكـةـ الـأـهـوـارـ مـسـتـغـلـاًـ كلـ طـاقـاتـ المـكـانـ الطـيـنـيـ الخـنـونـ ،ـ مـبـرـزاًـ قـوـةـ التـفـاعـلـ بـيـنـ المـكـانـ وـالـشـخـوصـ ،ـ وـوـقـائـعـ التـلـاحـمـ وـتـطـورـهـ مـنـ نـصـ مـبـدـئـيـ عـاجـلـ إـلـىـ انـكـسـارـ رـهـيبـ ،ـ مـرـوـزاًـ بـعـانـةـ الـجـراحـ وـالـدـمـ وـاـنـسـحـابـ الـبـقـيـةـ الـقـلـيلـ اـعـتـمـادـاًـ عـلـىـ إـمـكـانـاتـ المـكـانـ الـفـقـيرـ ،ـ وـكـانـ «ـلـزـمـنـ»ـ -ـ ضـوـءـ وـظـلـامـاًـ ..ـ فـجـراًـ ..ـ وـلـيـلاًـ -ـ دورـهـ الـفـاعـلـ فـيـ الـحـرـكـةـ الـمـكـامـلـةـ لـهـذـهـ الـعـنـاصـرـ الـمـتـلـاحـمـةـ .ـ

ولـاـ كـذـلـكـ فـيـ بـيـئـةـ الـجـزـائـرـ أوـ بـوـنـةـ بـصـفـةـ خـاصـةـ ،ـ وـيـرـجـعـ ذـلـكـ إـلـىـ أـسـبـابـ مـتـعـدـدـةـ أـهـمـهـاـ :

١ - الإصرار على إقحام الجنس في أغلب المشاهد ( البحر - البنسيون - المنزل - الحجرة ... إلخ ) ، وكأنه مقصود لذاته ، أو كأن المؤلف لم يرسم أبعاد المكان إلا ليدب عليه الجنس الساقط ومتعلقاته من خمر وعربدة وشنوذ .

٢ - إغراف الوصف في تعليقات وتخريجات فلسفية ترهق المعرض ، وتحمد العناصر الجمالية ، وتشمل حركة القارئ نفسياً حلول الذهنية الباحثة محل شعوره المأسور أو المستجيب ، فيضييع النفسي أمام العقلي القهري .

(١) «ـ الـولـيمـةـ »ـ (٦٣٢ـ)ـ .ـ

(٢) «ـ الـولـيمـةـ »ـ (١٣ـ)ـ ،ـ وـانـظـرـ كـذـلـكـ الصـفـحـاتـ :ـ (٤٩ـ،ـ ٤٦٦ـ،ـ ٢٢٦ـ،ـ ٦٠٨ـ)ـ .ـ وـكـانـ بـنـسـيـونـ «ـ فـلـةـ بـوـعـنـابـ»ـ مـرـعـيـ مـنـ مـرـاعـيـ الـجـنـسـ .ـ وـلـهـاـ فـيـ تـبـرـيرـ ذـلـكـ مـنـطـقـ غـرـبـ سـاقـطـ .ـ

انظرـ :ـ (ـالـروـاـيـةـ ،ـ ٣٢٣ـ،ـ ٣٢٤ـ)ـ .ـ

٣ - التكرار الذى يقتل الطرافة ، وقد يدفع القارئ إلى سوء الظن بالمؤلف ،  
واتهامه بفقر مكتنوزه من قدرة الابتكار ، وإمكانات المغایرة والتنويع .

كما نرى فى المشهددين التاليين :

- استيحاش البحر والشجر ورطوبة الرمل .. أفق مديد أحضر فضى أسود ،  
وملايين الجن وراء الخليج المظلم تستحم فى غمرة الزبد ، ووحشية الخلجان  
الصخرية <sup>(١)</sup> .

- عذرية العالم عبر أصواتهم وهديرهم افتضت بكارته .. ملايين من الجن  
والأبالسة هبطة من كوكب غامض من أين أتوا ، وكيف اكتشفوا هذه البقاع  
المنسية ... <sup>(٢)</sup> .

والمعروف أن المكان فى العمل الروائى تختلف أبعاده ودللاته وإيحاءاته  
باختلاف وضعه فى سياقات الرواية تبعًا للشخصيات المرتبطة به ، والأحداث الواقع  
عليه ، وتبين آخر تختلف حقيقته الوجدانية باختلاف الأحداث والشخصيات  
والماقون والزمن . أما ثبوت أبعاده فى صورة واحدة فيعني إدخاله فى باب العلم ،  
وعزله عن عالم الأدب .

لكن الصورة المكانية فى رواية حيدر تكاد تكون ثابتة وخصوصاً صورة البحر  
المكررة مرات ومرات فى تصاعيف الرواية ليس بينها ملامح فارقة .. العناصر  
واحدة : الماء .. الرمل .. النوارس .. الأعشاب .. الجن .. المردة .. التعرى ..  
الجنس .. الجنس العارم الراعن !! .

أما الصبغة النفسية أو الفنية الخاصة المميزة بين البحر هنا .. فى هذا الموقف ..  
والبحر هناك فى موقف آخر فهى ناصبة أو ميتة حتى أن القارئ يستطيع أن يبدل  
أوضاعيات البحر بإحلال بعضها محل بعضها الآخر دون أن يترتب على ذلك أى  
خلل فنى .. وفي هذا المقام نذكر القارئ بكلمة أحد كبار الققاد « لو أن ألف شاعر  
نظموا فى الربيع شعرًا ، فلا قيمة لما نظم إن لم نكن أمام ألف ربيع » .

\* \* \*

(١) « الوليمة » (٤٥٧) .

(٢) « الوليمة » (٦٣٤) ، وانظر الصفحتان : (٥٦٠ ، ٦٣٢ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧) .

والزمان هو الجناح الثاني للبيئة ، والمقصود به - في إيجاز شديد وبعيداً عن التنظيرات والجدليةات - الفترة الزمنية التي وقعت فيها أحداث الرواية وتحركت شخصيتها .. وهو تحديد علمي حاد .. ولكن لا يقوم الفن الروائي بدونه « فالحدث من حيث هو يجب أن يتسم بالزمنية ، والزمن من حيث هو يجب أن يتصف بالتاريخية في أي شكل من أشكالها .. وإذا كان الروائيون الجدد يرفضون بإصرار تاريخية الأحداث ، وواقعية الشخصيات في أي عمل من الأعمال السردية فإنهم لا يستطيعون أن ينكروا بأن إبداعاتهم الروائية - مهما تحاول التملص من الزمن ، والتنكب عن سبيله ، فإنها واقعة تحت وطأته . فالزمن إذن ضرب من التاريخ ، والتاريخ هو أيضاً في حقيقته ضرب من الزمن .. فهما متداخلان .. بل هما شيء واحد <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

فإذا ما آمنا بأن الرواية لا تدور إلا في مكان وزمان - على اختلاف نقدى معروف في التعريف والتحديد - واجهنا في رواية حيدر نوعين من الزمان هما :

- ١ - الزمان التاريخي .
- ٢ - الزمان النفسي .

والزمان التاريخي في الرواية هو الشريحة الزمنية التي وقعت فيها أحداث الرواية ، وتحركت فيها شخصيتها وانعكست تأثيراتها على الموجودات والمجتمع والأفراد والقيم السائدة .

والزمان التاريخي للرواية - كما أشرنا من قبل - يتمثل في سنوات عهد عبد الكري姆 قاسم حاكم العراق ، وعهد أبو مدين في الجزائر .. وهم عهدان يلتقيان في إجهاض تطلعات جماهير الشعبين العراقي والجزائري إلى تحقيق الآمال في نشوء مجتمعات الاشتراكية الحقيقة .. ومن ثم فجعت الشعوب في قادتها الثوريين الذين خيبوا آمالها .

والزمان التاريخي جاء بانتقال من التفصيلات الحديثة والتسجيلية والأيديولوجية

(١) « مرتاض : « في نظرية الرواية » ( ٢١٠ ) .

والسياسية مما ينال من فنية الرواية .. وهذا الزمن في الروايةأخذ وضعيتين :

١ - وضعية الاستقلال أو الانعزال في فصول أو فصل كامل مستقل في الرواية كما ظهر في فصل «نشيد الموت»<sup>(١)</sup> وهو الفصل الذي عرض في تفصيل لمعركة الأهوار بين الماركسيين وقوات الحكومة العراقية .

٢ - وضعية التجزئ والتوزيع .. فالمؤلف يوظف بعض الواقع الجزئية على موضع في الرواية .. وغالباً ما يكون ذلك عن طريق التذكرة ، ولو على سبيل الإجمال والإلماع وكانت تجربة الأهوار هي أكثر الواقع إلحاحاً على الذاكرة بحرارتها ، وشدايدها .. فهي تقفز إلى عقليات الشخصوص في سنوات حياتهم بالجزائر<sup>(٢)</sup> .

وهذا الإثقال التاريخي من أهم المآخذ التي تسجل على الرواية حتى في نظر من ناصروها ، وأعلوا من شأنها مثل الدكتور على الرايعي ومحمود أمين العالم .. يقول الدكتور على الرايعي : « فإذا ما انتقلت الرواية إلى الأحداث الثورية في العراق ، وجدنا الحيوية تنقص نقصاً ملحوظاً إزاء إصرار حيدر حيدر على أن يورد ثبتاً تاريخياً بحقيقة ما حدث ، يكتبه فإذا به أشبه ما يكون بالتقارير السياسية التي يدججها أمناء الأحزاب أو قادة اللجان الرئيسية .. إن هذا الجزء من الرواية يستفيض ويعترض السياق الروائي .. ورغم جهود الكاتب لتخليصه من رقة التقريرية فإنه يبقى قريباً منها إلى حد واضح<sup>(٣)</sup> .

وكذلك محمود أمين العالم يأخذ عليها : ما يغلب عليها في بعض صفحاتها وفقراتها من الطابع التسجيلي السياسي .. بل التاريخي السياسي الذي يشير أحياناً إلى واقعها المرجع بأحداثه وأشخاصه الحقيقيين بأسمائهم<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

(١) «الوليمة» (٣٥٥ - ٤٠٩) .

(٢) انظر : (الوليمة : ٥٥٤ - ٥٧٣ - ٦٣٧ - ٦٣٩) .

(٣) الدكتور على الرايعي : «الرواية في الوطن العربي» عن مجلة «أخبار الأدب» - العدد ٣٥٦ - ٢٠٠٠/٥/٧ .

(٤) محمود أمين العالم «نشيد الثورة المجهضة» مجلة «أخبار الأدب» - العدد السادس .

أما الزمن النفسي : فهو الزمن الذي يزداد طوله على النفس في حال الشدة والضيق والكرب ، ويقل طوله عن مداه الحقيقي على هذه النفس ، حتى لكان الأسبوع يوم ، واليوم ساعة ، وال الساعة مجرد لحظة من الزمن في أحوال السعادة والغضارة والنعيم<sup>(١)</sup>.

ويكن التعرف على هذا الزمن النفسي في الرواية بالنظر إلى الأحداث ، ومعرفة طبيعتها ، وطبيعة تفاعل الشخصية وهذا يحتاج لمبحث طويل مستقل .

\* \* \*

ولكنا نقف وقفة غير طويلة أمام الأزمنة الثلاثة في العربية ، ومكان كل منها في الرواية ، وهي أزمنة الماضي والحاضر (المضارع) ، والمستقبل .. وهو يكون قريباً إذا أصقت السين بالفعل في أوله ، ويكون بعيداً إذا سبق الفعل بـ « سوف » ، ويدل الفعل كذلك على المستقبل إذا كان مضارعاً سبقة أو الحق به من الأسماء أو الأفعال ما يدل على المستقبل مثل : غداً - فيما بعد - في الأسبوع القادم ... إلخ .

والأصل في العمل الروائي أن يكون الفعل الماضي هو الآلية المثالية للتعبير عن الحكاية .. وهذا وضع طبيعي لأن الرواوى أو المؤلف - بعمله الروائى - يقدم تجربة عاشها ، ومعاناة مرّ بها .. فالتعبير بالماضى عن « تجربة » مضت هو التوفيق الوحيد بين المعيش والتعبير عن واقعه وأبعاده وآثاره ومتعلقاته .

ولكن القاعدة ليست على إطلاقها .. فهى لو صحت - إلى حد كبير - في السرد ، نجدتها لا تطرد في الوصف والحوار مثلاً .. ويرد المضارع كثيراً في الوصف . وقد يأتي في السرد تعبيراً عن الماضي لاستحضار المشهد ، والإيحاء بأنه إن غاب عن الرؤية .. فهو لم يغب عن المشاعر والضمير .

ويستخدم الفعل للمستقبل في حالات النطلع والاستشراف أو ما يمكن أن نسميه « سبق ما قبل الحدث » وذلك بتقديم جزئية - على سبيل التنبؤ - من حدث يقع مستقبلاً . ومن ذلك على سبيل التمثال :

(١) الدكتور مرتاض : « في نظرية الرواية » (٢٠٨) .

- فيما بعد سيسأله الرجل الغريب : أى ذنب ارتكبت ؟ أهناك التباس  
في الأشياء ؟<sup>(١)</sup>

- فيما بعد سيقول عنه أحد أصدقائه الإنجليز بعد أن سمع بغيابه الطويل :  
كان خالد مزيجاً من « جيفارا » و « دانتون »<sup>(٢)</sup>.

- عندما سيتحدث عن ذلك التبدل الخلوي والهجران ستقول له ...<sup>(٣)</sup>.  
وقد يتلبس الحاضر بالمستقبل في عبارة واحدة .. مثل : آنذاك ، أو فيما بعد ،  
سيعصي عليهما معرفة المواطن أو الكهوف<sup>(٤)</sup> :

وقد تتلبس الأزمنة الثلاثة كما نرى في العبارة التالية :

- وكان ينتظر وهو جريح لا يقوى على الحركة .. أخيراً قدموا .. جروه  
كالكلب ، وقالوا : ظفرنا بك إذن يا ابن الفاسقة ، وقال : هذا حقيقي .. وقالوا له :  
إنك خنزير لا تساوى فلساً .. وقال : هذا صحيح ، وقالوا له : إنك لن تكون بعد  
الآن ، وقال : إنني لأشتحق أن أكون بعد الآن<sup>(٥)</sup>.

ونلاحظ أن الإحالات المستقبلية للأفعال ، والتي تمثل وعداً بالعودة إليها  
فيما بعد بصيغة الماضي لا يقف عندها الرواى مرة أخرى .. وكأنه حدث وقع  
وانتهى .. وإن عبر عنه بصيغة المستقبل ، ودلالة ذلك تأكيد الواقع ، وهو ملمح  
من ملامح التجديد في الفن الروائى .. غير أن للقرآن في هذا المجال آيات بينات ..  
مثل قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ الشَّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ الَّتِي كَانُوا  
عَلَيْهَا ...﴾ [ البقرة : ١٤٢ ] ، وقوله تعالى : ﴿سَيَهْزِمُ الْجَفْنُ وَيُؤْلَوْنَ الدُّبُرُ﴾ .  
[ القمر : ٤٥ ]

واللحظة الأكثروضوحاً هي التداخل الزمني - كما بينا آنفاً - مع التحرر  
من الترتيب الزمني الذي يتفق مع منطقية الأحداث . الواقع أن من الصعب - إن  
لم يكن من المستحيل - أن يتوافر هذا الترتيب بفهمه الحاد للرواية ؛ فيكتفى

(١) « الوليمة » ( ١١١ ) .

(٢) « الوليمة » ( ٢٤٢ ) .

(٣) « الوليمة » ( ٣٤٤ ) .

(٤) « الوليمة » ( ٥٢٣ ) .

(٥) « الوليمة » ( ١٦٩ ) .

- كما يقول « تودروف » أن يوجد أكثر من شخص واحد حتى يصبح هذا الترتيب المثالى أبعد ما يكون عن القصة « الطبيعية » . والسبب في ذلك هو أنه علينا للحفاظ على ذلك الترتيب أن نقفز عند كل جملة من شخص إلى آخر لنقول ما كان يفعله هذا الشخص الثانى فى تلك الأثناء .. ذلك أن القصة نادراً ما تكون بسيطة .. فهى غالباً ما تضم عدة خيوط ، ولا تلتقي هذه الخيوط إلا عند لحظة ما<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

---

(١) « طرائق تحليل السرد الأدبي » (٤٢) .

## ثانيًا : الحَدَث

الواقع أو الأحداث في الرواية هي مجموع الأفعال الصادرة من الشخصيات ، وترتبط بها برابطة السببية .. ومن ثم يجب أن تكون متفاعلة مع الشخصيات ، ومتداخلة بعضها مع بعضها الآخر ، ومتداخلة مع بيئة الرواية .. وللأحداث - كما هو معروف - دورها الكاشف لطابع البيئة ، وأبعاد الشخصيات وتحقيق المغزى الذي يحرص الكاتب الروائي على تحقيقه ، وعليها تعتمد الحبكة التي عَرَفَها فورستر بأنها مجموعة من الحوادث مرتبة ترتيباً زمنياً يقع التأكيد فيها على الأسباب والنتائج <sup>(١)</sup> .

وتعتمد الروايات البوليسية على الحبكة التي تجعل اهتمامها الأول تسلسل الأحداث تسلسلاً يشد القارئ ، ويتجذبه من البداية للنهاية .

أما النوع الثاني من الحبكة فهو الذي يعتمد على الشخصيات ، وما ينجم عنها من أفعال ، وما يدور في صدورها من عواطف يجعلها الكاتب محور الرواية ، ولا يأتي الحدث هنا لذاته بل لتفسير الشخصيات التي تسسيطر على الأحداث وتحركها حسب رغبتها وخطتها <sup>(٢)</sup> .

ولعل النوع الثاني من الحبكة هو الأقرب إلى رواية حيدر مع تحفظات نعرض لها فيما بعد .. فالذي يهمنا الآن هو التعرف على نوع الأحداث وأبعادها ومكانها في السرد الروائي وجوداً وتفاعلًا .

\* \* \*

يتوزع الرواية نوعان من الأحداث هما :

١ - أحداث تاريخية حقيقة .

٢ - أحداث متخيلة .

(١) « أركان القصة » ( ١٠٥ ) .

(٢) انظر : ( عزيزة مریدن : القصة والرواية ٤٢ ) .

والحدث التاريخي المورى في الرواية هو نهوض مجموعات شيوعية ماركسية بالكفاح المسلح في معركة في الأهوار بالعراق ضد قوات عبد الكريم قاسم ، وكانت معركة خاسرة انتهت بالهزيمة الساحقة للماركسيين : قتل .. وأسر .. واعتقال .. وتعذيب رهيب .. وتشرد .. وهروب .. وملامحات بالعيون والصنائع والعملاء .. وظل هذا الحدث التاريخي هو الحدث الأساسي المورى الذي لم تقطع امتداداته إلى مناحي الرواية من أولها إلى آخرها على سبيل التذكر والاسترجاع ، وفي إطار هذا الحدث تعقد اجتماعات ، وتدور مناقشات وحوارات أيديولوجية ثقيلة دميمة ، وترتب على هذا الإقحام الكثيف :

١ - إصابة الرواية بتضخم غير حميد لولاه لانخفض حجمها إلى نصف ما هي عليه .. مع ملاحظة أن الكاتب قد وظف الاسترجاع الذهني في تكرار كثير من المشاهد التاريخية والتخيلة .

٢ - إضعاف الطابع الدرامي للرواية ، وتفتير القيم الشعورية والتعبيرية فيها .. إذ بدت هذه التاريختيات كالعضو الغريب داخل الجسم .

وهذا ما تنبه إليه الدكتور على الراعي في الدراسة التي كتبها عن الرواية .. وفيها يقول :

إذا ما انتقلت الرواية إلى الأحداث الثورية في العراق ، وجدنا الحيوية تنقص نقصاً ملحوظاً إزاء إصرار حيدر حيدر على أن يورد ثيناً تاريخياً بحقيقة ما حدث ، يكتبه فإذا به أشبه ما يكون بالتقارير السياسية التي يدججها أمناء الأحزاب أو قادة اللجان الرئيسية .. إن هذا الجزء من الرواية يستفيض ويعتبر في السياق الروائي ». (١).

وكذلك أخذ محمود أمين العالم على الرواية أنه : « غالب على بعض صفحاتها وفقراتها الطابع التسجيلي السياسي .. بل

(١) « رواية سياسية تشوق إلى نهضة العرب ». دراسة الدكتور على الراعي في « أخبار الأدب »

التاريخي السياسي الذى يشير أحياناً إلى واقعها المرجع بأحداثه وأشخاصه الحقيقين بأسمائهم<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

ومن هذا المحور التاريخي انطلق الكاتب - فى استطراد - إلى فرعيات تاريخية مقطوعة الصلة - أو على الأقل ضعيفة الصلة - بمعرضه التاريخي المحوري، فرعيات تاريخية أو تارىخسطورية فى ثرثرة أسلوبية بلا كوابح .. فمن استطراداته - وما أكثرها !! - « .. امتداد لا يحده البصر من البردى والقصب والماء يعود لأزمنة قديمة تبدأ من نهاية القرن الخامس الميلادى فى عصر « قوباذ الأول » ملك الساسانيين .. فوق هذا الامتداد الأخضر الساكن ، والشبيه بحيوان خرافى من ديناصورات العصور الأولى ، يعيش بشر شبه مفصولين عن عالم اليابسة .. مخلوقات فصلتها مئات الأعوام ، وسطوح الماء والبردى عن نبض الزمن الآخر ...<sup>(٢)</sup> .

وقال الرواة : وفي عصر قوباذ بعد ملايين السنين من الخلق الأول كانت السدود متعددة على طول ساحل دجلة والفرات ، وكان الساسانيون يرونون سهوبهم من بحيرات الماء ...<sup>(٣)</sup> .

ثم يقفز الكاتب إلى كربلاء ، وقبر على بن أبي طالب - رضى الله عنه - في النجف الأشرف ، والحسين والعباس - رضى الله عنهمما - في كربلاء ، وموسى الكاظم في الكاظمية ، وعلى الرضا في مدينة مشهد<sup>(٤)</sup> .

ثم يخلص إلى الحديث عن تاريخ ظهور أول بؤرة ماركسية مقاتلة في النصف الثاني من القرن العشرين ، وكان ظهورها في أهوار العوينة والغموكه والحمار<sup>(٥)</sup> .  
بعدها يتتحدث عن الخوارج والشيعة والرذنج والقرامطة وثورة العشرين<sup>(٦)</sup> ، ثم عن العهد الملكي ، والثورات التي قامت به ، ثم عن انتفاضة الـ (٥٦) الشيعية ...<sup>(٧)</sup> ، ثم يهروء إلى الأهوار التي يعيش فيها آلاف البشر الهاشميون

(١) « نشيد الثورة العربية المجهضة » . دراسة لحمد أمين العالم ، في المرجع السابق .

(٢) « الوليمة » (٢٥٢) .

(٣) « الوليمة » (٢٥٣) .

(٤) « الوليمة » (٢٥٤) .

(٥) « الوليمة » (٢٥٥) .

(٦) « الوليمة » (٢٥٦) .

(٧) « الوليمة » (٢٥٦) .

حياة بائسة منحطة تذكر بعصور ما قبل التاريخ<sup>(١)</sup>. ويستعرض تاريخ تأسيس القواعد المسلحة سرًّا بعد تكريس خط آب الانقسامي .. الخط الذي كرسه القيادة العائد من موسكو في أعقاب فشل انقلاب سليم فخرى ، وإعدام السكرتير العام سلام عادل<sup>(٢)</sup> . ولا مانع من أن يورد نص التقرير الذي كتبه الرفيق منير أحمد عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، ونشره في مجلة قضايا السلم والاشراكية في ك ١٩٦٤ :

« إن النضال من أجل الطريق الارسمالي يحتم علينا إعادة النظر في برامجنا في ميادين النشاط الجماهيري .. كان الحزب الشيوعي العراقي يعتقد في الماضي بأن إقامة حكم شعبي تحت قيادة الطبقة العاملة هو شرط جوهري لتحقيق الإصلاحات الجذرية و ... و ... إلخ<sup>(٣)</sup> .

وغير ذلك كثير .. وكثير مما يسive إلى البناء الفنى للرواية ، بل إنه لا يخدم الحقيقة العلمية - على فرض صحته - لأنه سيق في رواية . والرواية لا تصلح أن تكون مرجعًا علميًّا . وربما رجع ذلك الإغراف إلى تعاطف الكاتب مع الأيديولوجية الماركسية في خطها المسلح ، وحماسته المتوجهة لهذا الاتجاه ضد خط اللجنة المركزية للحزب .. الخط التحريفي التصفوى .. والتعبير عن هذا - كما يقول محمود أمين العالم - لا يتم على لسان بعض شخصياتها فحسب .. وإنما في النسيج السردي للرواية كذلك ، وهو لا يقف عند حدود التبني الأيديولوجي لوجهة النظر هذه .. بل قد يتورط أحيانًا فيسوق أقاويل باطلة ، ويلبسها ثوب الحقائق مثل « ومن موسكو حرض الأب الروحي خروشوف العزيز قيادة الحزب على ضرورة حل الحزب الشيوعي العراقي أسوة بالحزب في مصر<sup>(٤)</sup> .

وخلال هذه المانيرات في العلاقة بين الواقع التاريخي والرواية تمثل فيما يأتي :

١ - يجب أن تكون محدودة قليلة العدد حتى لا تحول الرواية - لغزارة ما تضم من وقائع - إلى تاريخ .

(١) « الوليمة » ( ٢٥٧ ) .

(٢) « الوليمة » ( ٢٥٨ ) .

(٣) « الوليمة » ( ٢٥٩ ) .

(٤) محمود أمين العالم . مرجع سابق .

- ٢ - أن يكون لها مكانها الطبيعي في السياق الروائي دون إفحام أو افتعال .
- ٣ - أن يكتفى بالإشارة أو الإلماع إلى الواقعية إذا كان في ذلك الكفاية .
- ٤ - أن تطوع الواقع للمنطق الفني الروائي حتى لا تبدو عضواً غريباً في بنية النسيج السردي ، ولا مانع - استجابة لهذا المقتضى الفني ، من إحداث بعض التغييرات أو التحريرات في الواقع - وخصوصاً الشانوين منها - على ألا يصطدم ذلك بالسلمات العقلية والسنن الكونية ، والقيم الدينية .

\* \* \*

والواقع التاريخية في الرواية ، وخصوصاً تلك التي تغطي « المرحلة العراقية » لم يطوعها الكاتب التطوير الفني المطلوب حتى تتوافق مع السرد الدرامي في الرواية .. بل جاءت كأنها مقصودة لذاتها .. ومن السهل عزلها عن المسار الروائي ، والاكتفاء بالإشارة إليها ، او الحديث عنها في إيجاز مقتصر متلاحمه مع العناصر الفنية الأخرى .. وذلك كان هو الأوفق والأنسب للعمل الروائي .

وقد حاول الكاتب أن يdim التواصل النفسي بين هذه الأحداث ، وشخصيات الرواية ، وخصوصاً مهدي جواد بآليتين :

#### الأولى : التذكر والاسترجاع Flash back

والثانية : اليوميات التي كان يسجلها مهدي جواد أحياناً ، وهي قليلة جداً إذا نظرنا إلى كم المواقف من ناحية ، وحجم الرواية من ناحية أخرى .

والافتعال ظاهر في هذه اليوميات ، كما أنها تفتقر إلى أن تخلص كل منها « بالملمح » الفارق موضوعياً وفنياً ، حتى تكون مناسبة لمكانها في نسيج السرد الروائي .

\* \* \*

وفي الرواية وقائع وحقائق تاريخية مرتبطة بالبيئة الجزائرية التي هرب إليها « مهدي جواد » و « مهيار الباهلي » وغيرهما من الماركسيين .. ولعل من أهم هذه « الحقائق » انحراف المجاهدين الثوريين بعد الاستقلال ، وقيام حكومة جزائرية

عاصرت أحداث الرواية فيها عهد « هوارى بومدين » الذى لم ينهج النهج الماركسي الحاد .. وهنا نجد الكاتب متجرداً من الحياد ، مجندًا كل قواه وآلياته من سرد وحوار وشخصيات لتشويه صورة المجاهدين والثوريين .. وكانت « فلة بوعناب » هي البوق القوى الصاخ الذى دأب على ترديد هذا التشويه بصفة دائمة :

- فالشعب من البسطاء والفقراء والمجاهدين لم يجنوا من الحروب غير حصاد النبذ والجوع .. لهذا هم الآن حاقدون <sup>(١)</sup>.

- وضباط الجيش ، وأمناء الحزب ، ورجال الدولة الماسكون بزمام الحكم ، والثوريون القدامى ، والمجاهدون ، والشهداء - قبل أن يستشهدوا كان لهم لياليهم الحمراء مع « فلة بوعناب » <sup>(٢)</sup>.

- الثورة الوطنية انتهت .. الرجال صاروا في موقع السلطة والمسؤولية .. وهانحن اللواتى قاتلن فى الجبال والمدن نتحول إلى الخدمات المنزالية : جميلة بوحيرد تزوجت من محاميها ، وهاجرت معه .. جميلة بوعزه دخلت فى النسيان .. أنا مع آلاف النساء صرنا إلى ما يشبه المؤسسات أو الزوجات الصامتات المطيعات للرجال <sup>(٣)</sup>.

والكاتب قد ألح على هذا المعنى إلحاحاً شديداً - لا في الحوار فحسب .. ولكن في السرد كذلك .. وكأنه حقيقة واضحة لا يعتورها الشك .. والأغرب من ذلك أن يورد تبريراً أبشع لهذا الانهيار الجنسي بالنظر إليه كمعادل موضوعي « للجمهورية » التي لم تتحقق في الواقع الجزائري <sup>(٤)</sup>.

والأحكام السابقة مخالفة لواقع الجزائر ، وهى تتضمن تعميمات خطيرة ، وكلها تعطى انطباعات بأن الشعب الجزائري كله - بما فيهم أبطال الجهاد - شعب غارق في الزنى والدعارة ..

وكيف تكون الدولة مسؤولة عن زواج جميلة بوحيرد بمحاميها ، واعتزال

(١) « الوليمة » ( ١٢٦ ) .

(٢) « الوليمة » ( ١٨١ ) .

(٣) « الوليمة » ( ١٨٣ ) .

(٤) انظر : ( الوليمة ) ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

جميلة بوعزة المجتمع ، واحترافآلاف النساء البغاء ! إنه تصوير ساقط لا يتفق مع واقع الشعب الجزائري المسلم .

\* \* \*

وأهم الأحداث المخترعة أو الخيالية في البيئة الجزائرية تنبئ أو تتعكس من مجموعة من العلاقات بين الشخصيات الروائية . وهي :

- علاقة آسيا بهدى جواد .
- علاقة فلة بهيار الباهلي .
- علاقة يزيد ولد الحاج بـ « لا لا فضيلة » .
- علاقة فلة بالآخرين .

وكلها علاقات يحكمها الجنس العاتي على اختلاف درجاته ، وليس فيه صورة مشروعة ماعدا علاقة يزيد بـ « لا لا فضيلة » .. فقد كانت مبنية على الزواج .. وإن ظهر في الرواية شهوانياً أكولاً مغرماً بمتاع الحياة من أذن الأطعمة والأشربة وأغلى الملابس والرياش .

\* \* \*

والأحداث بصفة عامة كانت تمضي بطبيعة متناثبة ، تفتقر إلى التنويع والإيماء ، وكثير منها مكرر مع تغير الزمان والمكان في نطاق البيئة الواحدة .. ومن عجب أن نرى وقائع البيئة العراقية - وهي في أغلبها تاريخية واقعية بالمفهوم العلمي - أكثر تجددًا وتدفقاً من الواقع في البيئة الجزائرية ، مع أنه كان فيها من الفضائع ما يسمح بحرية الحركة الفنية في نطاق الأحداث والأشخاص .. ولكن الكاتب كانت مشغلته بالطرح الأيديولوجي عرضًا وإدانة أكثر من مشغلته بالجانب الفني ، كما أن إيقحام الجنس في أغلب المواقف أرهق الكاتب وأرهق الرواية فكريًا وأسلوبًا .. وذلك بافتعال واضح لا يخطئه النظر .

\* \* \*

وتطبيع الواقع والأحداث ، وضعف التفاعل بينها ترب عليه نصوص الصراع

حتى لا يكاد القارئ يشعر بوجوده إلا سطحيًا ، وفي مواطن محددة كالصراع بين أبناء « لا لا فضيلة » - وآسيا بصفة خاصة - وبين يزيد ولد الحاج زوجها .. وكذلك بين الماركسيين المهاجرين من العراق والسلطة الجزائرية ، وبين آسيا ومهدى جواد ولا لا فضيلة وأسرتها وبين الشيخ محمد .. إلا أن ذلك كلّه كان « خارجيًّا » يفتقر إلى تعميق .

وربما كان الصراع النفسي الداخلي الوحيد في نفس مهيار الباهلي بين ديمومة الرفاء للماركسيّة ودماء رفقاء المراقة في الأهوار ، والانهيار الجنسي على يد فلة بوعناب ، وانتصر الأخير ، ولم يعد مهيار تبريرًا فلسفياً له .

\* \* \*

وكان الجميع يتحرّكون وكأنهم أسرى للفلسفة الوجودية التي ترى أن كل فرد عالم بذاته يضع لنفسه أخلاقه وأدابه وعقائده وآراءه<sup>(١)</sup> . وهو الحكم فيما يأتي ، فليس لأحد من المجتمع أن يحدد له مفاهيمه أو أخلاقه أو تقاليده ، أو عقائده أو تصرفاته أو سلوكه<sup>(٢)</sup> . وإيجاد الذات وتأكيد الإنسان الفرد لوجوده الذاتي - في نظر سارتر - لا يتحقق إلا بإطلاق العنان لرغباته وشهواته .. وتعترف سيمون دى بوفوار - صديقة سارتر بأن من طبيعتها أن تخنج دائمًا إلى لذائذ الجسد<sup>(٣)</sup> . وقد صرحت آسيا بأنها مثلها الأعلى .

والانسحاب من الحياة بالانتحار أمر محمود في الوجودية .. لأنّه يعني احتجاجًا عمليًّا على عبئية الوجود ، والاعتراف بأن الحياة لا تستحق أن تعاش<sup>(٤)</sup> . وهذا ما انتهى إليه مهدى جواد .. لم يواصل مسيرته « النضالية » ولكن واصل السير إلى البحر وألقى بنفسه فيه ليكون وليمة لأعشابه .. وهو - ولا شك - حل انهزامي لا مبرر له ، وخصوصًا أن مهدى ورفاقه لم يتعرضوا في الجزائر لبعض ما تعرضوا له في العراق من قتل ومطاردات واعتقالات .

(١) عباس العقاد « بين الكتب والناس » (٢٥) .

(٢) محمد قطب « جاهلية القرن العشرين » (١٩٢) .

(٣) صالح الشامي « الظاهره الجمالية في الإسلام » (٥٢) .

(٤) انظر : ( الدكتور مصطفى غالب : سارتر والوجودية ٧٨ ، ٧٩ ) .

## ثالثاً : الشخصيات

إذا كانت الرواية تعبيراً فنياً عن أفكار وقضايا أو أيديولوجية معينة يعتنقها الكاتب فهي من ناحية أخرى - كما يقول النقاد - معرض لأشخاص جدد يقابلهم القارئ ليتعرف عليهم ، ويتفهم دورهم ، ويحدد موقفهم .. ومن هنا تأتي أهمية فن رسم الشخصية في الرواية .. وهو ما يسمى بالتشخيص :

(١) Characterization

وابتداء نقرر أن الشخصية يجب أن يكون لها كيانها المميز ، وطابعها الخاص المستقل ، وأبعادها الفارقة التي تحول بينها وبين الذوبان في الشخصيات الروائية الأخرى مهما توافرت ملامح شبهية بينها وبين غيرها من هذه الشخصيات .. كما أنها مستقلة كذلك عن شخصية المبدع .. وإن كانت روحه تعكس على سماتها على اختلاف درجة هذا الانعكاس الذي قد يكون من القوة بحيث يتحول إلى لون حاد من التلبس بشخصية البطل أو إحدى الشخصيات الحورية .

« كما يجب أن يكون للشخصية وجودها الإيجابي في الرواية .. بمعنى أن يؤمن القارئ أن وجود هذه الشخصية كان ضرورة من ضرورات العمل الفني .. فالعقل لا يستطيع أن تكون الشخصية مجرد كائن يردد كلمات رتيبة »<sup>(٢)</sup> .

والشخصية الروائية ليست كائناً مسطحاً ذا مساحة مبسوتة ممتدة .. بل هي كائن حتى له جوانب وأعمق وأبعد .. وهذه الجوانب ، أو هذه الأبعاد تمثل في ثلاثة هي :

- ١ - الجانب الخارجي - أو البرانى - ويشمل الصورة الحسية ، والمظهر العام ، والسلوك الظاهري للشخصية .
- ٢ - الجانب الداخلى - الجوانى - ويشمل الملامح والأحوال النفسية والفكيرية .

(١) انظر : ( عز الدين اسماعيل : الأدب وفنونه ١٥٢ - ١٥٤ ) .

Styan : The Elements of Drama P. 165. (٢)

٣ - الجانب الاجتماعي : ويشمل المركز الذي تشغله الشخصية في المجتمع ، وظروفيها الاجتماعية بوجه عام ، وطبيعة العلاقات التي تربطها بمن حولها<sup>(١)</sup>.  
 ولا يعني هذا التقسيم أن هذه الأبعاد والجوانب متباعدة ، أو منفصلة ، لأن الجانب الخارجي المادي إنما هو مرآة يعكس عليها العمق الداخلي ، والشخصية ببعديها الخارجي والداخلي يكون لها دائمًا مركزها واتصالها بدائرة المجتمع العام .. والشخصية - مهما كانت موعدها في الانعزالية - لا يمكن أن تنفصل عن هذه الدائرة .. بل يبقى لها اتصال بها على نحو من الأنياء .

\* \* \*

والرواية التقليدية كانت تهتم بإبراز الأبعاد الثلاثة للشخصية .. ولكن الرواية الحديثة أخذت تتخلى من هذا الإسار ، فهي لا تغير الجانب الخارجي أو الجسми أى اهتمام إلا بقدر ما يخدم القصة .. ومن جهة أخرى لم يعد بطل الرواية مثاليًا في سلوكه ، وقدرته على تخفي الصناع .. بل إن المذهب الماركسي رفض فكرة البطل من أساسها ، وأحل محلها أناطًا للشخصية من الطبقة المتوسطة أو الفقيرة لها تأثيرها القوى في المجتمع ومجريات الأمور<sup>(٢)</sup>.

وتؤسساً على أهمية الأدوار التي تؤديها الشخصيات ومقدار وجودها الفاعل في الرواية قسمت إلى شخصيات رئيسية أو محورية ، وشخصيات ثانوية . وعلى أساس توقفها وتحركها وتطورها إلى شخصيات مسطحة أو جامدة أو نمطية ، وشخصيات نامية أو متطرفة أو مدورة<sup>(٣)</sup>.

وتفضيل نوع على نوع ، أو الاستغناء بنوع عن نوع ينطلق من منطلق غالط ؛ لأنه يغفل المقتضيات الفنية للعمل الروائي الذي يستلزم في موقف أو موقف معينة شخصية ثانوية ، أو شخصية مسطحة لا يعني عنها شخصية رئيسية أو نامية .. فلكل عمل متطلباته وحساباته الخاصة .

(١) انظر : (حسين قباني : فن كتابة القصة ٧٠ ، ٧٢) .

(٢) انظر : (الدكتور أبو شريفة : مدخل إلى تحليل النص الأدبي ١٢٣ ، ١٣٤) .

(٣) انظر هذه التقسيمات بتوسيع في : (أ.م. فورستر : أركان القصة ٨٣ - ١٠١) .

والوسائل الفنية التي تمكنا من التعرف على طبيعة الشخصية وأبعادها أهمها :

١ - الوصف أو السرد المباشر .. وهو ما يقدمه المؤلف في تقريرية صريحة مباشرة .

٢ - منطوقات الشخصية ذاتها في بوج مباشر ، أو اعتراف صريح ، أو مونولوج ، أو حوار خارجي تطرح فيه ذاتها ، أو يحمل دلالات على ملامحها غير مباشرة ، يتوصل إليها بالتمعن والتحليل .

٣ - منطوقات الآخرين ، وما تحمله من شهادات ، وآراء ، وما تعبّر عنه في الموقف المختلفة .

٤ - معطيات الأحداث والواقع من إشارات ودلالات ، وطبيعة العلائق التي تربطها بالشخصيات .

\* \* \*

والدراسة القبلية لشخصية كاتب الرواية ، ومسيرته ، وتوجهه الفكري والأيديولوجي يعتبر عند بعض النقاد مصدراً من مصادر التعرف على أبعاد شخصياته .. ونرى أنه - واقعياً - يلقى بعض الإضاءات على مساحات في الشخصيات غير الواضحة .. ولكنّه يبقى مصدراً استئناسياً احتياطياً قد لا يرقى إلى قوة الدليل الحاسم .

ومن الباحثين والنقاد الذين يجندون مدارس علم النفس ومعارفه في الدراسات الأدبية من يرى أن العكس هو الأدل والأقوى ، ويحاولون استخلاص أبعاد شخصية المبدع ، ومسيرة حياته من آثاره الأدبية .

\* \* \*

وفي الرواية أربع شخصيات رئيسية تفرض وجودها على مساحات الرواية : اثنان عراقيتان هما : مهدى جواد ، ومهيار الباھلى .. واثنتان جزائريان هما : فلة بوعناب ، وآسيا لحضر .. وهذه الشخصيات الأربع يجمع بينها الشعور الحاد بالهزيمة والانكسار أمام قوى دكتاتورية حاكمة عاتية سرت ثورات الشعوب ،

وامتصت نخاعها .. وإن تأرجحت هذه الشخصيات ما بين تطلعات آملة ،  
ومثبطات مقعدة .

مهند جواد في نقاط برقية سريعة : شيوعي ضليع ، مسكون بالأيديولوجية  
الماركسيّة بعد انكسار الشيوعيين عسكرياً في الأهوار ، وتعرضهم لمذبحة عاتية  
بعد الانكسار على أيدي أجهزة عبد الكريم قاسم ، يتسلل هارباً إلى الجزائر ، يعمل  
بالتدريس ، ويكون لقاوه الدائم بتلميذه آسيا لحضر ، يستشعر في عمق صدمة  
أخرى ، وهي أن رجال الثورة الجزائرية بعد أن تولوا حكم الجزائر أضاعوا كل شيء :  
مكاسب الثورة .. مبادئ الكفاح والتزاماته .. كيان الإنسان الجزائري وأحلامه في  
حياة حرة كريمه .

يدفن همومه وأماله المقهورة في الخمر والجنس والهجوم على مواريث الدين  
والآمة ، وقيم الماضي .. ولكن الشعور بالإحباط أقوى من تماستكه النفسي والعقلاني ،  
فيحاول الانتحار بقطع شريانه ، وتخفق المحاولة بتدخل الآخرين ، وينتهي به الأمر  
إلى الانسحاب والانتحار بإلقائه نفسه في البحر ليكون طعاماً لأعشاب البحر .

وامتلاوه إلى درجة التشبع بالأيديولوجية الشيوعية لم يترك في قلبه أية مساحة  
تنسع حتى للحد الأدنى من الإيمان .. وهو لا يخفى هذا الانسلاخ من التراث ،  
والمرور من الدين .. بل يصرح ويتحدث « عن تحطيم الأوثان التي أقامها الآباء  
 والأجداد ، وضرورة الانفصال عن الدين .. والله .. والأخلاق .. والتقاليد ..  
 والأزماء الموجلة .. والجننة والجحيم الخرافيين .. وطاعة أولى الأمر والوالدين ..  
 والزواج المبارك بالشرع ، وسائر الأكاذيب والطقوس التي رسمتها دهور الكذب <sup>(١)</sup> .  
 وهذا الانسحاق العقدي جعله مخلوقاً فارغاً ، أو مفرغاً ضائعاً محكوماً  
 باليسار كما يقول عن نفسه : « إنني يائس الآن ، وممزروع من أعلى علينا إلى  
 أسفل سافلين ، ولا أرى سوى الأسود والوحش والموت » <sup>(٢)</sup> .

ويصبح الموت انتحاراً محصلة طبيعية مثل هذه الشخصية التي لا تملك  
الحسناة الإيمانية وهي تخوض معرتك الحياة .

\* \* \*

(٢) « الوليمة » ( ٥٧٠ ) .

(١) « الوليمة » ( ٣٤٨ ) .

أما مهيار الباهلى فهو مناضل ماركسي عراقي كذلك ، ورفيق مهدى جواد فى التجربة الفاشلة للثورة الشيوعية المسلحة .. ولكنـه يختلف عن مهدى جواد فى أنه لم يفقد بعد إيمانـه بالثورة ، جاء إلى الجزائر مثل مهدى بعد فشـل هذه التجربـة ، وما زال يحلم بشـورة جديدة يقودـها من أهـوار العـراق حتى جـبال أطلـس ، مع أنه خـرج من مـعركة الأـهـوار الخـائـبة مصـابـاً بـرصـاصـتين إـحدـاهـما دـخلـتـ منـ الإـلـيـة .. وعمل بالـتـدـريـسـ فيـ الجـزاـئـرـ زـاهـداـ فيـ النـسـاءـ .

ولـكـنهـ استـسلـمـ آخرـ الـأـمـرـ لـجـسـدـ فـلـةـ .. معـ أنهـ ظـلـ مـدـةـ طـوـيلـةـ طـاهـراـ بـعـدـ رـيـتهـ ، زـاهـداـ فيـ المـرأـةـ .. وـلـمـ طـلـبـتـ مـنـهـ السـلـطـاتـ الجـزاـئـرـيـةـ مـغـادـرـةـ الجـزاـئـرـ «ـ لـخـطـورـتـهـ » لـمـ يـلـجـأـ إـلـىـ الـانـتـحـارـ - كـمـاـ فعلـ مـهـدىـ - بلـ ظـلـ أـمـرـهـ فيـ الرـوـاـيـةـ مـعـلـقاـ غـيرـ مـعـلـومـ ، وـغـيرـ مـحـسـومـ .

والـرـوـاـيـةـ تـقـدـمـ لـنـاـ اـبـتـداءـ فـيـ أـسـلـوبـ روـمـانـسـيـ صـوـفـيـ صـورـةـ مـهـيـارـ الـبـاهـلـىـ فـيـ نـقـائـهـ السـلـالـىـ ، وـطـهـرـهـ العـقـدـىـ ، وـإـصـارـاهـ الشـورـىـ ... كـانـ «ـ بـصـراـوـيـاـ » مـنـ سـلـالـةـ الفـرـاتـ الـأـوـسـطـ ، وـبـاهـلـيـنـ الـقـدـامـيـ ، وـالـحسـينـ بنـ عـلـىـ - رـضـىـ اللـهـ عـنـهـمـاـ - ، السـلـالـةـ الـتـىـ حـمـلـتـ دـمـهـاـ عـلـىـ كـفـهـاـ ، وـكـفـنـهـاـ الـأـيـضـ فـوـقـ جـسـدـهـاـ ، وـسـارـتـ إـلـىـ حـفـتـهـاـ .. فـلـمـ يـنـتـصـرـ سـوـىـ مـوـتهاـ ، وـيـوـمـ خـاطـرـ مـعـ خـالـدـ أـحـمـدـ زـكـىـ وـمـجـمـوعـةـ الـأـهـوارـ حـرـبـ الـعـصـابـاتـ الـخـاسـرـةـ كـانـ يـتوـهمـ أـنـهـ يـوـاصـلـ مـيرـاثـ الـخـسـارـاتـ الدـامـيـةـ ، وـالـأـمـشـلـاتـ الـتـىـ تـتـرـاكـمـ لـتـشـكـلـ ذاتـ صـبـاحـ أوـ مـسـاءـ الـصـرـخـةـ الـتـىـ تـخـتـرـنـهاـ الـقـرـونـ الـقـدـيـةـ ، لـتـدـوـىـ فـيـ الـقـرـنـ الـعـشـرـينـ أوـ الـثـلـاثـيـنـ أوـ الـخـمـسـيـنـ هـادـمـةـ جـدـرـانـ زـمـنـ الـاستـبـدـادـ وـالـجـوـعـ وـالـإـبـادـةـ الـجـمـاعـيـةـ لـشـعـوبـ قـهـرـتـ ، وـاسـتـذـلـتـ ، ثـمـ مـاـلـيـشـتـ أـنـ دـفـنـتـ تـحـتـ السـطـوـةـ الـوـحـشـيـةـ لـلـخـلـفـاءـ وـالـأـمـرـاءـ الـخـلـعـاءـ وـالـجـنـرـالـاتـ الدـمـىـ ، وـالـأـحزـابـ الـمـسـتـذـلـةـ وـالـرـاكـعـةـ<sup>(١)</sup>.

ويـظـلـ يـحـلـمـ : لوـ كـانـ لـدـىـ خـمـسـةـ ثـورـيـنـ مـنـ نـفـطـ أـبـيـ ذـرـ ، وـعـلـىـ بـنـ مـحـمـدـ ، وـحـمـدانـ قـرـمـطـ لـأـلـهـيـتـ هـذـهـ الـدـنـيـاـ الـعـرـبـيـةـ بـالـحـرـاقـ<sup>(٢)</sup>.

وـأـيـدـيـوـلـوـجـيـتـهـ عـنـدـهـ أـهـمـ مـاـ فـيـ حـيـاتـهـ .. وـهـيـ مـقـدـمةـ عـنـدـهـ عـلـىـ المـرأـةـ ، وـمـاـ يـكـنـ أـنـ تـنـسـهـ مـنـ مـتـعـ وـمـلـاذـ ، حـتـىـ المـرأـةـ فـيـ نـطـاقـهـاـ الـشـرـعـيـ الـمـشـروعـ .. يـكـادـ

(١) «ـ الـولـيـمةـ » (ـ ٣٢ـ ) (ـ ٢١٠ـ ).

(٢) «ـ الـولـيـمةـ » (ـ ٣٢ـ ) (ـ ٢١٠ـ ).

مهدى جواد ينفجر غيظاً حين يتراءى له بؤس عالم يهيم عليه مهيار الباهلى ..  
هذا العقل المخض الذى خطب يوماً فتاة جميلة عندما كان طالباً فى جامعة بغداد ..  
وفى ليلة مقمرة كانوا يسيران على ضفاف دجلة فى شارع أبي نواس ، والريح  
رخاء ، وبىلاً عن الحب والليل الشفاف انطلق يثرث لها عن المادة التاريخية ، ناسيا  
نفسه وجسده والليل والخطيبة .. هكذا استمر يهلوس وحيداً بين الشجر والصمت  
بعد أن تركته الفتاة الجميلة عائدة إلى بيتها .. يومها لم يلعن السياسة والفلسفة ..  
إنما صَبَّ جام غضبه على تفاهة النساء ، وغبائهن اللا محدود (١) .

وكثيراً ما حدث صديقه مهدى جواد حول ضرورة التحرر من استعباد  
الجسد .. ويحدثه عن العبودية الامتثالية للمرأة : عبودية الشهوة (٢) .

وذات ليلة .. الليلة التى سمتها فلة بوعناب أو مهيار أو كلاهما : الليلة الثانية  
بعد الألف كسرت فلة خط الطهارة المهيارية فكانت ليلة الضجة الأولى التى  
تواصل حبها حتى الصباح .. فلة المعطرة الخزينة لجرح مهيار ، والساهرة عليه بحنان  
أمومى ، ومهيار الخطمة أحلامه ، والملقى غريباً جريحاً في وطن الثورات  
المقدورة (٣) .

وتنتصر فلة بوعناب مناضلة الأمس ، وموس اليوم على مهيار الباهلى الذى  
كان - إلى أن حلت هذه الليلة - مثال الطهر والنقاء .

\* \* \*

وفلة بوعناب هي صاحبة « البنسيون » الذى نزل فيه مهيار الباهلى .. كانت  
مجاهدة من المجاهدات ضد المستعمر الفرنسي في الجبال ، ثم كانت صدمة  
الاستقلال التي قلبت ميزان حياتها « الشورة الوطنية انتهت .. والرجال صاروا في  
موقع السلطة والمسؤولية .. وها نحن اللواتي قاتلن في الجبال والمدن نتحول إلى  
الخدمات المنزلية : جميلة بوحيرد تزوجت من محاميها ، وهاجرت معه .. جميلة  
بوعزة دخلت في النسيان .. أنا مع آلاف النساء صرنا إلى ما يشبه الموسسات

(١) « الوليمة » (٥٩٨) .

(٢) « الوليمة » (٥٩٦) .

(٣) « الوليمة » (٥٨٩) .

أو الزوجات الصامتات المطيعات للرجال .. انتهى دورنا الاستثنائي ، فاستدرنا إلى  
وظيفتنا الأساسية<sup>(١)</sup> .

الخمر والسهر والجنس الشائع مع كل الجنسيات ، والاستهانة بالآخرين والقيم  
والآديان .. هذه هي قائمة أخلاقياتها ، أو مفاتيح شخصيتها .. ومن الخطأ تبرير  
ذلك بصدقتها في الثوار الذين حكموا وطنها بعد الاستقلال ، فكانوا مثلًا ضارياً  
سيئاً .. وحشًا أكل كل شيء ، ولم يعط شيئاً ، لأن ذلك قد يبرر سلوكًا انحرافيًا  
آخر كاغتيال المسؤولين ، أو السطو على أموالهم .. ولا تعليل لهذا الانحراف  
الجنسى البشع إلا « آفة النهم البهيمى » الحسيس .. وقد يكون وراءه طابع سادى  
حاد ، يجد المتعة في « إسقاط » الآخرين في مستنقع الجنس .

وقد يؤيد ذلك حرصها على تشويه صفة المجاهدين الأصلاء .. تقول فلة :

« في الجبل غاب أصدقاء كثيرون ، ولم يعودوا .. أصدقاء قاتلت معهم ،  
وضاجعتهم في الكهوف .. أنت لا تعرف عذوبة الجنس في لحظة الحرب .. في  
لحظة الموت .. عندما يموت المقاتل بعد استراحة هائنة مع امرأة لا يأسى على  
شيء .. لقد أخذ الجسد ، وأعطي ، ثم نام مرتاحًا<sup>(٢)</sup> .

ثم تقدم تبريرًا أغرب لحرصها على مزاولة الجنس بإفراط وإسراف مع أشخاص  
متعدد الجنسية والقدرات .. يظهر ذلك في الحوار التالي بينها وبين مهدي جواد :

- اسمع .. سأقول لك شيئاً خاصًا عنا : نحن نشتهرى الفرنسي ، والجزائرى  
والعربى معًا .. هل تستطيع أن تتكهنن لماذا ؟  
- لا ، تكهنن لنا .

( ترمى وَدعها ثم تخط في الرمل !! ) .

- هو صوت الدم المبدد .. أو الشهوة .. أو العبث .. أو رغبة الاستبدال .. آ ..  
هذا ما تقوله .. ولكن .. أنا أسألك : الجميل .. والغريب .. والغني .. والذكي ..  
وال GAMER .. والشهوى .. والفنان .. والشجاع والقوى .. هل يحتازها كلها رجل  
واحد ؟

(١) « الوليمة » ( ١٨٣ ) .

(٢) « الوليمة » ( ١٨٥ ) .

(٣) « الوليمة » ( ٣٢٤ ) .

- لا ، طبعاً .

- الجزائرية في بلادنا تكلم بهذه الجمهورية المفقودة من الرجال .. من أجل ذلك تخون إذا كان البحث عن تلك الجمهورية يسمى خيانة .

- هذا .. ماذا تسميه فلة ؟

- بحث مشروع عن الحق الطبيعي .. حق أم لا<sup>(١)</sup> ؟

وهذا الكلام يعني - بمنطق فلة على ما فيه من غموض - أن مزاولة الجنس مع جنسيات متعددة ، وأصحاب قدرات متنوعة إقامة مشروع جمهورية تسودها الأخلاق الطبيعية الأولى .. وهي أصيلة في نظرها ، متجلدة في الطياع ، وسلوكها الجنسي الحاد يعيد الأمور إلى وضعها الاستحقاقى العادل .. فكأن قيامها باعتناق الجنس واحتضانه سلوكاً يتحقق - ولو حكماً وتخيلاً - معادلاً موضوعياً للجمهورية التي كانت منشودة مرجوة على أيدي الثوريين .. ولكن خاب فيهم الأمل ، وتحطممت المطامح .

إن شخصية فلة بوعناب تمثل أعلى الأصوات وأقواها في عالم الجنس المنهوم ، والخمر والعبث والاستهتار ، والوقاحة والتبرج ، وكان لها من قوة التأثير ما مكّنها من شد مهياز الباهلي من عالمه الأيديولوجي المثالى الذى لامكان للمرأة فيه ، والذى لا يشغله إلا التفكير فى الثورة إلى عالمها الجنسي المفتوح ، في ليلة أصابته فيها الحمى العاتية التى أشرفت به على الهالك ، فقدمت جسدها إليه ، فلما انفكـت أزمته المرضية والنفسية - ولو إلى حين - اعتقاد أن الترياق كان في هذا الجسد ، واعتقد .. بل صرـح أن هذا منها كان تصحيـة وافتـداء عظـيـماً جـيلـاً .

والشخصية الرابعة هي شخصية آسيا لخضر بنت سى العربى أحد شهداء الثورة الجزائرية .. كانت تعيش تحت ضغط نفسى أليم .. لأن أمها « لا لافضيلة » تزوجـت رجـلاً غـنيـاً انتهازـياً مشـغـولاً بـجـمـعـ المـالـ ، والحرـصـ عـلـىـ ليـاليـهـ معـ أمـهاـ .. عـاشـتـ الأـسـرـةـ معـ الـوـاـفـدـ الجـدـيدـ فـىـ بـيـتـ وـاحـدـ .. كـانـتـ تـشـعـرـ بـأـنـ هوـيـتهاـ الـاجـتمـاعـيـةـ ضـائـعـةـ .. لـذـكـ كـانـتـ تـرـفـضـ أـنـ تـكـونـ المـرأـةـ مـجـرـدـ زـوـجـةـ شـرـعـيةـ لـلـمـطـبـخـ وـالـسـرـيرـ<sup>(٢)</sup> .. وـكـانـتـ تـرـىـ أـنـ جـوـهـ الرـحـيـةـ يـتـرـكـرـ فـىـ الـوعـىـ وـالـتـحرـرـ

(١) « الوليمة » (٣٢٤) .

(٢) انظر : « الوليمة » (٩١) .

الاقتصادي<sup>(١)</sup>. وكانت مفتونة بسيمون دي بوفوار ، التي تنشر عنها الصحف الفرنسية كنموذج للتحرر والتفتح .

وتحقيقاً لذاتها ، واستكمالاً لعناصر هويتها صممت على تعلم اللغة العربية على يد مهدي جواد ، وكان هذا «الدرس الخصوصي» وسيلة لعاطفة حب جارفة بين الأستاذ وتلميذه ، كان طرحها الشرب والقصف والليلي الآثمة .. متبردة على القيم المأثورة مستهترة في نظرها إلى الآخرين .. وكان أشد مظهر من مظاهر تمردها ثورتها الجائحة على زوج أمها يزيد ولد الحاج خالعة عليه من الأوصاف والألقاب : الخنزير .. والحلوف .. والقحب .. واليهودي<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

ومن الشخصيات الثانوية التي كان لها حضورها الملحوظ على امتداد الرواية مع أنها كانت شخصية مسطحة ثبتت على خط واحد بلا نمو ولا تطور : شخصية الشيخ محمد التي قدمها الكاتب نموذجاً «للرجل المتدين» في مقابل شخصيات الحرية والتحرر والتطبعات إلى إقامة مجتمع العدل والاشتراكية الحقيقة .. لقد أسهب الكاتب في عرض ملامح هذه الشخصية عرضاً أفقياً موزعاً على كثير من المواقف ، وجعل منه «مسخرة» يستهدفه الآخرون بالتهكم والإزراء وخصوصاً مهدي جواد ، وأسيا بلخضر .

وابتداء العلاقة بين الحاج محمد ومهدي جواد كان يوم استأجر الأخير غرفة منه للسكنى .. وكانت إرشادات الحاج محمد - الذي زار بيت الله ثلاث مرات : لا أضواء .. منوع السهر الطويل .. لا خمرة .. احذر إدخال النساء .. نحن قوم شرفاء لا نئجر إلا للشرفاء .. أنتم شيوخ جئتم من أرض الأنبياء والرسل لتعليم أطفالنا القرآن وتقوى الله ، والسير على الصراط المستقيم ...<sup>(٣)</sup> .

وفي السرد يخلع المؤلف على الشيخ محمد من المواقف والصفات ما يشير السخرية منه والاستهانة به مثل :

(١) انظر : «الوليمة» (٩١) .

(٢) انظر : «الوليمة» (٦٠١) .

(٣) «الوليمة» (٢٤) .

- على العتبة فوجئ ( مهدى جواد ) بوجه الحاج محمد ، لحيته المزروعة بالبياض كانت ترتجف ، ووجهه الأصفر ينضج حقداً<sup>(١)</sup> .
- الحاج محمد الملئ كرشه بنور الله وتقواه<sup>(٢)</sup> .
- الحاج محمد زائر مهد رسول الله ﷺ وعاشق كعبته بدا بائساً تحت ذلك الغروب الكابي .. كان مرتبكاً يتعثر باختلالات عقله وأسئلة الجيران الذين خرجوا ، وبالدمدمات الأخلاقية التي يطلقها ذهنه المتلاش بالأموال والصلوات والكبت الجنسي<sup>(٣)</sup> .

هذا عدا ما جاء على السنة آسيا بلخضر ، ومهدى جواد ، وغيرهما من السخرية بهذه الشخصية ، ورميهما بالنقائص والانحطاط .. ونحن لا ننكر أن حياتنا الاجتماعية لا تخلو من مثل هذه الشخصية ، ولكننا نلاحظ في رسماها وأسلوب عرضها ما يأتي :

- ١ - كثرة التدخل من الراوى المؤلف وعدم الاكتفاء بطروحات الحوار بشأنها ، وكأنها كانت تشغل في ذهنه اهتماماً خاصاً .
- ٢ - الإكثار من تكرار زيارته لمهد الرسول ﷺ ، وعشق الكعبة والبيت الحرام .. وهو تكرار لا يكسب الفن شيئاً .. وإن بقيت له دلالته التهكمية .
- ٣ - استعمال عبارات ساقطة فيها استهتار ذميم مثل الملئ كرشه بنور الله وتقواه .

وكأنى بالكاتب قد اتخذ من الشيخ محمد رمزاً « للديني » ليكون معيّراً لتشويه قيم الدين والخلق في أنظار الآخرين .. بينما نراه متاعطاً مع الشخصيات الأخرى على اختلاف درجات هذا التعاطف ، موظفاً من المبررات الدفاعية ما يدخل في نطاق المكيافيلية في صورتها الحادة .

\* \* \*

ومن الشخصيات الثانوية يزيد ولد الحاج ذلك البرجوازى الثرى المليونير الذى

(١) « الوليمة » ( ٤٥ ) .

(٢) « الوليمة » ( ٤٦ ) .

(٣) « الوليمة » ( ٤٨ ) .

تزوج « لا لا . فضيلة » أرملة الشهيد سى العربي والد آسيا ومنار ورابع .. عاش مع زوجته هذه أميرًا أسطوريًا في رفاهية ومتعة ، والأم والأولاد جميعًا في خدمته ، الزوجة في أبيه الشياب ، وأجمل الحال ، فهو منقذ الأسرة من الفقر واليتيم والشرد في أعقاب استقلال الوطن <sup>(١)</sup> .

كان الرجل مشغولاً بمالياته واقتصادياته .. فالكسوب المتزايدة تغريه بهذا الانشغال ، كما تغريه بالإقبال على « لا لا فضيلة » التي يدفن فيها تعبه اليومى ، ويتحقق بها ملاده التي يحرض عليها .. ويرضى كبرياءه وتعاظمه نهوض أولاد « لا لا فضيلة » لخدمته ، والعمل على راحته .

\* \* \*

وفي العمل الروائى تتعدد الشخصيات المخورية ، والشخصيات الثانوية .. ولكن السؤال عن البطل ، أو الشخصية الأولى وارد دائمًا .. وفي نطاق الرواية الحيدرية نزعم أن الاحتكام إلى معيار الفاعلية ، والتأثير ، والغلبة ، والقدرة على الإيقاع بالآخرين ، والهيمنة عليهم يقودنا إلى القول بجدارة « فلة بوعناب » للفوز بهذه المكانة .. فكل القادة مروا بها - كما تقول - والعرب من جنسيات مختلفة وقفوا ببابها ، وهى بالجنس « المفلسف » تقيم بالحلم دولة عجز الثوار بعد الاستقلال أن يقيمواها على أرض الواقع .

لكنا نعود فنجزم أن « الجنس » فى الرواية هو البطل الحقيقى إن صع أن يكون البطل « معنى من المعانى ، أو قيمة من القيم الرفيعة أو الحسية » إنه البطل الوحيد الذى كان له حضوره الدائم أو الغالب فى كل المواقف ، ومع كل الشخصيات حتى مع من هيئ عقدىً لأن يكون منه بمنجى ، مثل مهيار الباھلى الذى هزمه الجنس على يد « فلة بوعناب ». فى ليلة الحمى العاتية .

ونلاحظ أن شخصية الأنثى كانت تحصد الغلبة فى مسيرتها الاجتماعية ، وخصوصاً عند الاصطدام ، وقد رأينا ذلك فى شخصية فلة ، ورأينا ذلك فى شخصية آسيا لحضر حين دمرت كبرياء زوج أمها يزيد ولد الحاج فى ثورة عارمة .

(١) انظر : ( الوليمة ٦١٦ - ٦١٩ ) .

ونرى ذلك في شخصية «منار» صغرى بنات «لا لا فضيلة» التي رفضت في شراسة كل أوامر زوج أمها ، فلم تنفذ منها أمرًا واحدًا .. فإذا ما اعترض عليها ، ثارت في وجهه :

- أنا حرّة ، وأعرّف ماذا أفعل <sup>(١)</sup> .

وقد فسر «حيدر» نفسه هذا «التحيز» في مقام حديثه عن علاقته بأبويه «كان أبى قاسياً ومهيمناً على أمى ، وكان يأخذ مواقف عدوانية كثيرة ضد أمى ، فكنت أقف بينهما دفاعاً عنها لأحميها ، وأتلقي الضربات بدلاً منها وأقول له : اضربني ، واترك أمى ، فكان يرتد شاعراً بالخزى أو يكبح جماح غضبه مطلقا الشتائم عليها ، ولم يكن يهمنى شيء بعد أن أكون قد حميتها من العصا أو الكف .

ربما ولد هذا في أعماقى نبأناً أخضـر مناصـراً للمرأـة ... » <sup>(٢)</sup> .

ومشاهد العدوانية الأبوية على الأم المظلومة تركت في نفس الطفل أثراً عميقاً جعله في كبره مناصراً للمرأة كما ذكر ، ثم لاحقه فصور ما يشبهه أو يماثله في روایته ، فعرض صورة «سعدون جواد» والد مهدى ، وجعل من أهم سلوكياتها في منظومة شراسته وحماقاته واندفعاته «ضرب زوجته .. التي عاش كارهاً لها .. يرميها بحقده الشيطاني ، ويديقها العلقم ، لأنها لا تفهمه ، ولا تدرك مدى قدراته اللا محدودة في الوصول إلى النجوم ، وقيادة الكـرة الأرضـية ، وإيقافـها متـى شـاء ... » <sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

(١) «الوليمة» (٣٠٠) .

(٢) مجلة أخبار الأدب - العدد ٣٥٦ - ٢٠٠٠/٥/٧ من حوار حيدر مع الصحافية أمينة طلعت .

(٣) «الوليمة» (٢١٦ ، ٢١٧) .

## رابعاً : الحوار

الحوار جزء مهم من الأسلوب التعبيري في القصة ، وهو صفة من الصفات العقلية التي لا تنفصل عن الشخصية بوجه من الوجه .. ولهذا كان من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات .. وعلاوة على ذلك كثيراً ما يكون الحوار السلس المتقن مصدراً من أهم مصادر المتعة في العمل القصصي ، وب بواسطته تتصل شخصيات القصة بعضها بالبعض الآخر اتصالاً صريحاً مباشراً ، وبهذه الوسيلة تبدو لنا ، وكأنها تصلح حفناً بتمثيل مسرحية الحياة .

والحوار البارع يكون سبباً من أسباب حيوية السرد وتدفقه ، كما أنه يستعمل أحياناً في تطوير الحوادث ، واستحضار الحلقات المفقودة منها ، إلا أن عمله الحقيقي في القصة هو رفع الحجب عن عواطف الشخصية وأحساسها المختلفة ، وشعورها الباطن تجاه الحوادث أو الشخصيات الأخرى ، وهو ما يسمى عادة بالبوج أو الاعتراف ، على أن يكون بطريقة تلقائية ، تخلو من التعمد والصنعة والرهق والافتعال<sup>(١)</sup> .

فالحوار في الرواية يؤدى مهام متعددة أهمها :

- ١ - الاشتراك في رسم الشخصيات ، وإبراز أعماقها الدفينة ، وأحساسها الكامنة .
- ٢ - إيجاد التلامم والاندماج بين شخصيات الرواية .
- ٣ - توفير التفاعل بين الشخصيات والأحداث .
- ٤ - تطوير الأحداث وإنماها .

ومن ثم يجب أن يكون الحوار الروائي « مقتضياً ومكتفاً » ، حتى لا تغدو الرواية مسرحية ، وحتى لا يضيع السارد والسرد جميئاً عبر هذه الشخصيات

(١) انظر : محمد يوسف نجم : فن القصة ١١٧ ، ١١٨ .

المتحاورة على حساب التحليل ، وعلى حساب جمالية اللغة واللعب بها »<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وفي مقام الحديث عن الحوار الروائي علينا أن نكشف عن مداه الكمي من ناحية ، وعن شكله التعبيري من ناحية أخرى .

فمن ناحية المدى الكمي يجب ألا يطغى الحوار على مساحة الرواية .. وإلا خرج بالرواية عن طبيعتها كجنس أدبي له تميزه ، جائزًا على امتدادات السرد تقرباً إلى فن المسرحية .

والإكثار من الحوار في الرواية إلى حد الإغراء أحياناً جنح إليه عدد غير قليل من روائيي العرب في العقدين الأخيرين من القرن العشرين .. ويعمل أحد النقاد الاتجاه إلى الإكثار من الحوار في الرواية بواحد من التعليمين الآتین ، أو بهما جمیعاً :  
الأول : أن الكاتب يتملص من موقف صعب في التحليل والوصف والكشف ، فيعمد إلى إلقاء المعونة على الشخصيات لينطقها بأى كلام ، ويعنى بعض هذا أنه يسلك هذا السلوك عن وعي .. بل عن غش ، ومخادعة للمتلقي .

الثاني : أنه مبتدئ محروم ، فيعمد إلى كتابة هذه المخاورات دون وعي فني كبير ، فيصول فيها ويحول .. ولكنه لدى نهاية الأمر يفسد على الشكل اللغوي الأساسي أمره ، فتضطغى لغة الحوار على لغة السرد ، فإذا نحن لأندرى أنقرأ مسرحية كتبت لتمثل على الخشبة .. أم نقرأ رواية كتبت ليقرأها القراء حيث هم<sup>(٢)</sup> ؟

\* \* \*

ومن ناحية الشكل التعبيري للحوار نرى - باسم الواقعية - من يدعوه إلى أن تتحدث الشخصية بلغتها التي تتحدث بها في واقع الحياة .. فمن غير المعقول - كما يقول الدكتور رشاد رشدي - أن يجعل كاتب القصة شخصيه تتكلم ب المستوى لغوي واحد .. فالكاتب عليه أن يكون واقعياً يحاكي الواقع ، وليس معقولاً أن يتكلم الفلاح الفصحى<sup>(٣)</sup> .

(١) الدكتور عبد الملك مرتضى « في نظرية الرواية » ( ١٣٤ ) .

(٢) مرتضى : السابق ( ١٣٥ ) .

ويرفض عبد الحميد جودة السحاق هذا الاتجاه بقوله إن العامية لا تخلق أبداً ..  
والكلمة العامية تختلف في المعنى من بلد إلى آخر ، وقد تختلف من إقليم إلى إقليم ، وقد لا تفهم خارج نطاقها المحلي ، والتسليم جدلاً بأن واقعية الأسلوب تختتم استعمال العامية في الحوار .. فإن التضحية بهذه الواقعية أقل بكثير من التضحية بالحوار <sup>(١)</sup>.

وفهم « واقعية الحوار على أنها تمثيل للغة الشخصية بإطلاق حتى لو كانت عامية ينقضه إشكالية التعامل مع شخصيات من جنسيات أخرى .. فالأخذ بهذا المبدأ يستوجب إبطال الإنجليزية ، واليهودي بالعبرية ، وهذا مستحيل .. فالحل إذن يمكن في الفهم الصحيح للواقعية لافي نطاق « حرفة اللغة » باستنساخها كما هي ، ولكن في نطاق « فنية التصوير والأداء » وبتعمير آخر : تكون الواقعية فنية شاملة ، لا واقعية لغوية ترتكز على مجرد المحاكاة ، وواقعية فاعلة لا واقعية ناقلة .. لأن عملية الرصد التسجيلي هي مهمة العالم الأديب .. وهو في تعامله مع الواقع يعتمد على مبدأين : المبدأ الأول : هو مبدأ الانتقاء .. انتقاء مادته أو نماذجه من الحياة يستوى في ذلك الأحداث والشخصيات تتبعاً للمنطق الروائي المخطط .. والمبدأ الثاني : هو مبدأ « التصفية » أو التتفيقية بتمرير « المادة » من خلال ذاته على مصفتين : هما الوجдан .. والعقل .. وبذلك يتحول الواقع من موجود شائع دارج متسبباً إلى مخلوق فني جمالي .. فالصدق - كما يقول الدكتور هلال - ليس معناه حكاية الواقع كما هو ، أو سرد رواية التاريخ كما حدث .. إذ الفن يستلزم - بطبيعة - الاختيار من بين الأحداث وترتيبها على نحو خاص مقنع فنياً ، بحيث توحى في عالمها المصور في القصة بالقضايا التي يؤمن بها القاص ، ويدعو إليها .. وفي هذا يتجاوز الفاص الواقعى نفسه عالم الواقع كما هو .. فهذا الصدق ليس مرده وقوع حوادثه التي ساقها كما هي .. ولكن مرجعه إلى سياقها على طريقته المقنة واقعياً وفنياً <sup>(٢)</sup>.

فالواقعية يقصد بها واقعية النفس البشرية ، وواقعية النفس والمجتمع ،

(١) السحاق « القصة من خلال تجاري » (٢١) .

(٢) الدكتور غنيمي هلال « النقد الأدبي الحديث » (٥٤٠) .

والكاتب لا يستنطق لسان المقال .. بل لسان الحال<sup>(١)</sup>. على أنه لانزاع في أن اللغة الفصحي أقدر وأثري في تنوع الدلالات وتعويقها من اللغة العامية المحددة في مفرداتها ، والمتصلة بالواقع والمحسات ، في حين تعجز عن المعانى العالية ، والأفكار العميقه والخواطر المشاعر الدقيقة<sup>(٢)</sup>.

ولغة السرد هي لغة كاتب الرواية التي تدل عليه ، وتدل على سماته الأسلوبية بقدر أكبر من دلالة الحوار على هذه السمات .. حيث يكون الأول منطلقاً بلا ارتباط مقيد .. بينما يكون الثاني مقيداً بطبيعة الشخصية ، وحركتها ، وأبعادها العقلية والت نفسية .. إلا أن لغة السرد - بصفة عامة - يجب أن تتسم بالسهولة والوضوح دون ابتذال ، وقوة النسج والتتدفق دون تسيب ، وقدرة التصوير بعيداً عن الافتعال والتتصيد والتتكلف .. فهو أسلوب آحادي المستوى لأنه أسلوب كاتب الرواية الذي يقص في حياد .

أما لغة الحوار - وقد اتفقنا أن صورتها المثلثى .. بل الوحيدة هي الفصحي - فيجب أن تتعدد مستوياتها بالتعدد النوعي للشخصيات .. فالعبارات التي تجري على لسان الفلاح تكون دارجة الأسلوب ، سهلة المأتمى ، تعرض المعنى بصورة مباشرة عفوية .. أما لغة الفيلسوف أو المفكر « الرفيع الثقافة » فتتسم بالعمق والتركيز .. وقوة اللمع والإيحاء .. ولغة المرأة السوية يختلف عن أسلوب المرأة الشاذة . على أن طبيعة الموقف أو الحدث يكون لها تأثيرها في توجيه الخطاب الحواري ، وتحديد طوابعه .. وهى قاعدة مطردة تصدق على كل الشخصيات مع اعتبار قدراتها وإمكاناتها اللغوية فى واقع الحياة : ف الحديث الشخصية وهى فى موقف الخطر غيره فى موقف المتعة والارتقاء ، و الحديث الشخصية مع عامة الناس يختلف عن حوارها مع ملك أو أمير .. وكل ذلك بمعيار الكل .. إيجازاً أو تفصيلاً .. ومعيار الكيف سهولة و المباشرية و تصريحًا أو عمقة وإيحاء و تلميحة .

(١) غنيمي هلال : السابق (٦٧٢) . وانظر كذلك : (أبو شريفة : مدخل إلى تحليل النص الأدبي

١٢٢ ، ١٢٣ ، ومرتضى : مرجع سابق (١٣٥) .

(٢) غنيمي هلال : السابق (٦٧٣) .

وقد ذكرنا من قبل الدور أو الأدوار الكاشفة والفاعلة للحوار في نطاق الشخصية المخاورة والشخصيات الأخرى والموقع والواقع .. وطبيعة هذه الوظيفة للحوار تستلزم أن يتحلى الحوار بسمة «التناسب» مع الشخصية المخاورة في أبعادها العقلية والنفسية والاجتماعية ، حتى يكون «المتوقع» انعكاساً أميناً لجوانية الناطق .. وإلا تتحقق انفصام يتربّ عليه حرمان الحوار قدراته وإمكاناته الكاشفة ، وعجزه عن إقناع المتلقى واستمالته .

\* \* \*

وننتقل إلى الرواية الحيدرية «وليمة لأعشاب البحر» لننظر بعين النقد إلى حوار الرواية ، والنظرة العامة إلى هذا الحوار - من أول الرواية إلى نهايتها - تقودنا إلى الحكم بطغيان الحوار على الرواية ، والهيمنة على أغلب مساحتها ، بل إن كثيراً من السرد يقترب من طبيعة الحوار حين يجعله الكاتب على هيئة طرح أو بوج ذاتي . ولكن نترك هذا الجانب الكمي الآن ، وقد نعود إليه ، وننظر إلى هذا الحوار من الناحية الكيفية .

ابتداء نقر أن الحوار الواقعى البارع الذى يمكن أن يؤدى بحق وظائفه التى أشرنا إليها آنفًا فكريًا وفنيًا .. هذا الحوار قليل جدًا .. بل نادر لا يزيد عدًّا على أصابع اليد الواحدة .. ومنه بحق ما دار بين (أبو صبرى) الشيوعى العفوى الساذج البسيط ، ومهيار الباھلى القائد المارکسى والذى يمثل شخصية محورية فى الرواية :

- أخي مهيار .. اسمع .. أنا رجل بسيط غير متعلم لا أفقه فى التيك والتاكтик .. إنى شيوعى فقير لا أملك شيئاً .. الحياة والموت عندي سوا .. الضباط والتجار والإقطاعيون ورجال الحكومة أعداؤنا .. صح أم لا !!

- صبح !!

- إنى ، وكل الشيوعيين الحزبيين لازم نقتل هؤلاء الأعداء بلا شفقة .. حق وعدل هذا الكلام رفيق أم لا !!

- حق وعدل .

- وإذا بقينا ننتقل ، ونبني أكواخاً ، ونمطط كلاماً في التيك والتاكтик  
يربحون الوقت .. صح أم لا يارفيق !!<sup>(١)</sup>  
- صح <sup>(١)</sup>.

فالحوار هنا استوفى كل شرائط البراعة والصدق ، وقدم لنا رجلاً بسيطاً  
لا يهمه من الأيديولوجيات والتنظيمات إلا ما يهدف إليه ابن الشعب البسيط : أن  
يعيش .. يأكل ويشرب ويحقق ما يريد مباشرة وبجسم .. ولو كان السبيل إلى ذلك  
القتل وإراقة الدماء .

\* \* \*

وغير ذلك نرى الحوار في الرواية مثلاً بكثير من العيوب الفنية ، وأهم هذه  
العيوب :

١ - الطول إلى درجة الشرارة التي تقود إلى الملل والتشاؤب ، في تقريرية  
مقالات تضعف البناء الدرامي للرواية من ناحية ، وتعتصب فضاء كان من حق  
السرد . كالحوار الذي أداره المؤلف بين فلة بوعناب ومهدى جواد ، وفيه يجرى  
على لسان فلة حديثاً متتابعاً بلا انقطاع يستغرق ما يزيد على أربع صفحات <sup>(٢)</sup> ..  
وقد يأتي الحوار في صورة علمية ممططة . وكثير منه على لسان مهدى جواد <sup>(٣)</sup> .  
٢ - وحدة المستوى اللغوي مع تعدد الشخصيات بحيث يمكن تبادل  
معطيات الحوار ، وإعادة توزيعها دون أن تتغير معطيات التشخيص أو تضطرب  
أبعاد الشخصية ، لأن الحوار محروم من الملامح الفارقة .. ولنقف أمام النماذج  
الآتية فهي تقربنا من فهم المقصود بهذه السمة :

(أ) أنا أعرفهم من مسافات بعيدة يشمون الرائحة ، فيركضون نحوها ، بعد  
أن غادروا تجاويف الجبال . اتجهوا إلى تجاويف النساء <sup>(٤)</sup> .

(١) « وليمة لأعشتاب البحر » (٣٧٠) .

(٢) انظر : (الوليمة ١٨٠ - ١٨٥) .

(٣) كمحديه الطويل عن قصته مع الحزب الشيوعي وعن خططه (الوليمة ٧٣ - ٧٥) .

(٤) المرجع السابق (٣٥١) .

(ب) انظر إلى أنوفهم وأصابعهم وذوقونهم المهدلة كقضبان عاجزة عن الجنس .. إنها تنتظر رزق الدرام لتنتصب إلى الأعلى . عيون مليئة بيرقات الأفاسى ، وروث الحيوان<sup>(١)</sup>.

النص الأول جاء على لسان فلة بوعناب في حديثها لمهدى جواد ، والثاني من حديث بلسان آسيا لمهدى جواد في موقفين مختلفين بينهما بعد زمني ، واختلاف مكانى ، وتبادل النصين لا يغير من الواقع الفنى والفكري المتداخل إلى درجة التلبس شيئاً ، وإن كان النص الثاني أقرب إلى شخصية فلة كما رسماها الكاتب .

والشواهد الدالة على هذه السمة في الرواية أكثر من أن تُحصى .

٣ - تعدد المستوى اللغوي نوعياً في نطاق الشخصية الواحدة : رأينا أن اتخاذ العربية الفصيحة لغة للحوار هو الاختيار الطبيعي في العمل الروائي ، واتساعاً مع السرد الذي لا خلاف في أدائه باللغة الفصيحة .. ولكن منه ما جاء بالعامية دون مقتضى فني أو موضوعي .. ولكن الأغرب من ذلك أن يأتي الحوار أحياناً مزيجاً من الفصحي والعامية على لسان الشخصية الواحدة في الموقف الواحد . والأشد غرابة على الإطلاق أن يجمع الحوار الواحد بين العربية الفصيحة ، وأكثر من عامية ، كما نرى في المثال التالي على لسان فلة بوعناب :

- مثل أنت تهرب ، وتراوغ ، وتنقسم على نفسك ؛ لأن الهزيمة كانت مريمة ، ولأنك وحيد لا تستطيع أن تفعل شيئاً .. أعرف .. لا تستطيع أن توقف الدمار والحراب .. الخراب أقوى منا .. ولا أحد في الساحة .. أعرف .. لقد انسحبوا إلى الملاجئ الآمنة والهدوء .. بهم يعيشوا ويأكلوا ويتزوجوا .. ويجمعوا شوية فلوس مش كده يا خويا مهدى ؟ قل الحق .. أنا غالطة في هدرتي<sup>(٢)</sup>؟

فالجمل الثلاث الأخيرة تتبعها إلى ثلاثة لهجات عامية هي : الشامية .. والمصرية .. والجزائرية .. ومن فضول القول أن تنبه إلى أن مثل هذا الحوار يهدى الوشيعة بينه وبين السرد من ناحية ، والحوار الفصيح من ناحية أخرى .. فهو يبدو رُقعاً متعددة الألوان في الثوب .

(٢) « الوليمة » (١٨٤) .

(١) المرجع السابق (٥١٩) .

ومن مساوىء العامية كذلك أنها - في صورتها المحلية الحادة - تغلق الطريق أمام القارئ العربي لفهم المعنى .. كما نرى في الحوار التالي ( بين مهدي جواد وأسيا بلخضر ) :

- عظيم .. أنت امرأة ذكية حقاً .. وأنا أطلب يدك الليلة .

- ما معنى ذلك ؟

- هل تقبلييني زوجاً لك ؟

- يا للمصيبة ! واش ندير ييك .. يزيني مصايب .. خويَا يرحم والديك ....<sup>(١)</sup>.

٤ - خنق الحوار وتعويق قدرته : المفروض - كما ذكرنا - أن يأخذ النص الحوارى مكانه في السياقة الروائية ليطلق في حرية شحنته الفكرية والإيحائية ارتباطاً بالسرد دون أن يكون عالة عليه .. ولكن النص الحوارى يردد أحياناً وكأنه «فضيلة» أو تحصيل حاصل لا يضيف جديداً بعد أن استغرق السرد أو الوصف فكرته .. كما نرى في النص التالي :

« لا لا فضيلة » تؤرجح رأسها .. تسوى حزامها الذهبي الذي قدمه يزيد لها في ليلة العرس .. ترشق عبارات مبهمة عن الجيل الجديد الذي لا يعجبه شيء .. حبها الجارف لابنتها يطغى :

- لا أعرف يا ابنتي .. لا أعرف .. أنت متعلمون ، وتفهمون أكثر .. نحن قدامى ، ولم نتعلم .. يلعن أبو الظلم والظلم .. والله أنا وأنت تعرفين .. أقطع لقمة الخبز عن نفسي وأعطيها للقراء<sup>(٢)</sup>.

٥ - علمية بعض الحوار إلى درجة الإسراف : مما يقربه - وكثيراً ما يتسم بالطول - من طبيعة الدرس أو المعاشرة الأكاديمية المعمرة التي تحمل شحنة من المعرفة .. ولكنها تبقى مجرد من الإيحاء والتأثير الجمالي .. كالذى جاء على لسان مهيار الباهلى متحدثاً إلى فلة بوعناب : « ولكن العالم القديم اللاعقلانى لم تحرق الحرب كل قلاعه ، لقد ارتدوا إلى وعيهم القديم .. حدث انعطاف .. عودة نحو

(٢) (الوليمة (١٥٤) ) ، وانظر (١٩٤) .

(١) (الوليمة (٦٦٥) ) .

الدارة المغلقة .. انظر إليهم كيف عادوا إلى الدوران حول معابدهم الأولى .. معابد الأجداد الذين انقرضوا . تحت هذه الدورة الأنثropolوجية نفهم خصوصية الماركسية<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

والحوار الداخلي بألوانه المتعددة يستغرق من الرواية مساحات واسعة جدًا تشي بأن الكاتب قد أفاد - على نطاق واسع - من التقنيات الحديثة في الرواية .. والمناجاة أشهر ألوان الحوار الداخلي .. وغالبًا ما يكون لها مقدمة توضح أن الكلام غير موجه لخاطب .. بل إلى الذات .. فهو « مونولوج » أفعاله : قال في نفسه .. خاطب نفسه .. سأل نفسه .. تسأعل ... إلخ .. ومن أمثلة المناجاة :

- كانت الأسئلة اللا جواب عليها تتناضل في رأسه .. غير أن السؤال الأكثر تغبيصاً لمهدى جواد في منفاه هو الحصول على الجواب الحاسم : أين يمكن العطب ؟ لكن السد الناهض كجبل من صوان عصى على الكسر : كيف تبني من جديد ولا تتحطم<sup>(٢)</sup> ؟

- يومها اكتشفه مهيار الباهلى .. اكتشف الوجه الآخر للطفل الهدائى .. ويومها سأله نفسه : كيف يحمل الإنسان في داخله قلب طفل ، وصرخة نمر ؟ لابد أنه كان مجئونا أو مصقولاً بحلم شمسي .. وعلى مؤشر هذه البوصلة كان يتقدم في حقل الغام على كتفه بندقية ، وفوق جسده كفن أبيض<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

وهناك الخطاب غير المباشر ، وهو يقف بين الخطاب المباشر والسرد .. فهو ليس نقلًا أميناً وثائقياً لأقوال الشخصيات .. فالرواي ينقل كلام الشخصيات بأسلوبه هو ، فيلخص ويختصر الكلام للغته هو ، ووجهة نظره .. والضمير الغالب هو الغائب الممثل لحضور الراوى .. ومثاله :

(١) « الوليمة » ( ١٢٦ ) .

(٢) « الوليمة » ( ١٥٧ ) .

(٣) « الوليمة » ( ٢٤٢ ) .

« عندما انطلق عبد الحسين ونصر الطويل ينمان على مهدى جواد الغائب ، استفرز الباهلى ، وبدا يتململ .. طفقا ينهكمان على الرجل الهارب من بلاده ، والذى يدعى الثورية ، فى الوقت الذى لا يرى فيه إلا مع هذه الطفلة الجميلة المخدوعة بصلوك لا يساوى فلساً فى بلاده » (١) .

وهناك ما يسمى بالخطاب غير المباشر الحر ، وهو يشتراك بالخطاب غير المباشر العادى فى أنه قد يتضمن جملًا إنشائية استفهامية وتعجبية ، وجملًا اسمية أو فعلية فعلها فى المضارع .. وهو فى ذلك يقترب من المناجاة الداخلية لأنه يصور عالم ما وراء الوعي وتيار الوعي الداخلى .. إنه ينقل أحاسيس الشخصيات قبل أن تنتظم فى كلام منطقى منسق ومنطوق .

أما الخصوصية فى هذا الخطاب فهي - من حيث الشكل - فى أنه يأتي دون مقدمة كما فى الخطاب غير المباشر ، وأن الضمير الطاغى فيه هو ضمير الغائب لا المتalking كما فى المناجاة الداخلية .. أما أبرز ما يميزه من حيث المضمون والتقنية فى التعبير الفنى فهو التواطؤ بين صوت الشخصية وصوت الراوى .. فتحن نتساءل : من يتكلم .. هل هو الراوى يغوص فى أعماق الشخصية يحللها ، ويقرؤها كالكتاب المفتوح .. أم أنها الشخصية نفسها تفتح ذاتها العميقه لتعبر عن أحاسيسها الحارة قبل أن تخضع لتنسيق المنطق والكلام المنطوق (٢) .

وفي رواية « الوليمة » عشرات من النماذج للخطاب غير المباشر الحر : كالنص التالى :

« كان الموت مؤجلًا الآن .. وبذا هاجس مهياز فى تلك اللحظة عن اقتراب الليل والانسحاب تحت أجنبته ، يخرج من حلم الاستحالة إلى حقل الإمكان رغم صرخات الألم التى يصدرها جبار المبتور الكف مواليًا ضراعاته : اقتلوني .. اقتلوني ... » .

(١) « الوليمة » (٥٧٧) .

(٢) انظر هذه الأنواع مفصلاً في دراسة الدكتور أنطوان طعمه : « السيميولوجيا والأدب »

(٢٣٤ - ٢٠٧) . مجلة عالم الفكر ، المجلد ٢٤ - العدد ٣ - يناير / مارس ١٩٩٦ م .



## خامسًا : السرد

السرد هو عملية «قص» الأحداث ، أو عرض الحكاية بأحداثها وشخصياتها وكل عناصرها بطريقة فنية معينة .. وللسرد طريقتان مشهورتان :

الأولى : طريقة السرد الذاتي .

والثانية : طريقة السرد الغيبي أو الغيرى .

والطريقة الأولى : يستخدم فيها المؤلف ضمير المتكلم «أنا» ، كما نرى في الترجمة الذاتية .. ومن أهم عيوب هذه الطريقة أنها «تجعل القارئ يعتقد - في كثير من الأحيان - أن هذه القصة المروية ليست إلا تجربة ذاتية مؤلفها ، وأن أحداثها قد وقعت له فعلاً .. وخاصة إذا نجح المؤلف في إيهام القارئ بواقعيتها»<sup>(١)</sup>.

أما الطريقة الثانية : فتعتمد على استعمال ضمير الغائب ، وهو أشهر الضمائر وأشيعها عند السّرداد ، وأيسّرها استقبالاً لدى المتلقين ، وأدناها إلى الفهم لدى القراء ، ويرجع ذلك إلى أسباب متعددة من أهمها :

١ - أنه وسيلة صالحة لأن يتوارى وراءها «السرد» ، فيمرر ما يشاء من أفكار ، وأيديولوجيات ، وتعليمات ، وتوجيهات وآراء ، دون أن يبدو تدخله صارخاً ، ولا مباشراً .

٢ - يتجنب اصطدام ضمير الغائب الكاتب السقوط في فخ «الأننا» الذي قد يحرر إلى سوء فهم العمل السردي ، وأنه أصلق بالسيرة الذاتية منه بالرواية الخالصة<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

ويتميز السرد عن الوصف بأن الأول يعني حكاية الحوادث والأعمال بأسلوب

(١) الدكتورة عزيزة مریدن «القصة والرواية» (٤٥) .

(٢) انظر : (عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ١٧٧ - ١٨١) .

ينتهي إلى غرض مقصود .. بينما الثاني يصور المشاهد والمشاعر<sup>(١)</sup> ، ومن ثم يكون للسرد ارتباطاته ودلالاته الزمانية .. أما الوصف فلا يملك هذه الارتباطات والدلالات بشكل ذاتي .. وإن اكتسبها بوجوده في بنية السرد . « فالسرد - كما يقول تودوروف - يعمل داخل التتابع الزمني لخطابه على إعادة السيرة الزمانية للأحداث كذلك .. بينما يبدو الوصف ملزماً في نطاق العنصر المتتابع بتعديل عرض الأشياء المتزامنة والمتجاورة في المكان »<sup>(٢)</sup> .

وحتى يدرك القارئ الفارق بينهما أقدم النصين الآتيين : ( وهما متتاليان لا فاصل بينهما في الرواية ) :

١ - ييد أن الصوت الذي يرج البيت كالإعصار يسمع لأول مرة صوت رجل يأمر وينهى ويحثّد ، أمر ما في البيت لا يرضيه .. يتوقف الدرس برهة .. تتراجع آسيا ناهضة عن كرسيها ، وتخرج من الصالة ( سرد ) .

٢ - على الجدار لوحة زيتية لرصيف بحر .. في منعطف الرصيف رسمت نخلة .. رسم ابتدائي .. اللوحة زرقاء .. والبحر هادئ بلا زيد<sup>(٣)</sup> . ( وصف ) .  
وإذا كان الوصف المعروض يَرِدُ - في الغالب - عارياً من العنصر الزمانى فيجب ألا ننسى أنه يكتسب بالإيحاء الطوابع الزمانية من موقعه في السرد القبلي والبعدى بطريقة غير مباشرة ، كما أنه يمثل صوت التنويع الذى يجب أن يكون متواوفراً في الرواية ، بجانب القص والحوار والشخصيات وغيرها .. مع ملاحظة أن إطالة الوصف وتمطيقه يعطّل مسيرة التدفق السردى ، ويقترب بهذا النهج من أسلوب التقريرات .

وفد أشرنا إلى أن الكاتب قد استخدم ضمير الغائب ( هو ) في السرد القصصي ، وغلب عليه توظيف الفعل الماضى ، كما أنه أكثر من استخدام المضارع والمستقبل ، وصهر الموضع بين الأزمنة الثلاثة ، فتداخلت كثيراً في تضاعيف الرواية ، وقد يعلل هذا التداخل بأنه يهدف إلى الإيحاء بتشابك النكبات ، وتشابهها وتماثلها النهجى والقهرى من ناحية ، وشدة الشعور بوطأتها من ناحية

(١) أحمد الشايب « الأسلوب » ( ١٠٨ ) .

(٢) « طرائق تحليل السرد الأدبى » ( ٧٨ ) .

(٣) « الوليمة » ( ١٠٩ ) .

أخرى .. ولكن الإفراط في استخدام الصيغة المستقبلية يلغى - أو على الأقل - يضعف طابع التشويب بتقديم « المجهول » مسبقاً مما يشكك في اقتناع القارئ به ، وتطلعله إلى تلمس الواقع في مظانها ، ومكانها الطبيعي من السياق الروائي ، وخصوصاً إذا كان الحدث المستقبلي يمثل خطأ أو ملهمًا موضوعياً له قيمة .. ومن هذه المستقبليات :

١ - عندما سيخلفون غياض البردى ، ويواجهون قاتمات القصب الغليظة التي تبدو لهم كجدار من الثلج يسد الأفق ، سيسأل الباهلي ...<sup>(١)</sup>

٢ - بعد عشرين عاماً .. وفي شوارع وأميدات المدن التي ستطوى مهيار الباهلي بحثاً عن بؤرة حياته الضائعة ، وثورته التي يحلم بها ، سيتذكر تلك الصورة السحرية الغريبة للمدى الأبيض ...<sup>(٢)</sup>.

٣ - ستهبط على مهيار الباهلي فيما بعد موجة من الندم المريض لأنه لم يخالف أوامر الرفيق ظافر ...<sup>(٣)</sup>.

٤ - ستقول آسيا لنار ، وهما تعومان باتجاه الشالية التي استأجرها يزيد ولد الحاج : الجزائري ضائع<sup>(٤)</sup>.

المستقبلية هنا غير مقنعة ، ولم تتحقق وظيفة فنية أو فكرية .. ولكنها تحقق أثراً أو آثارها العكسية التي ذكرتها آنفًا .. وهذا التقييم الأخير ليس على إطلاقه .. لأن توظيف المستقبلية مستساغ في مجال الطرôرات النفسية ، وخصوصاً في مجال الحوار الداخلي « المونولوج » .

\* \* \*

يتعامل السرد الروائي مع الواقع والأحداث تعاملًا آنيًا مباشرةً بالمواجهة والتحليل والتفاعل تأثراً وتتأثراً .. ولكنه يوظف آليات أخرى على نطاق واسع أهمها : الاسترجاع الفني ( Flash Back ) . وهو يعني الرجوع أثناء التسلسل

(٢) « الوليمة » الصفحة نفسها .

(١) « الوليمة » ( ٣٥٩ ) .

(٤) « الوليمة » ( ٥٤٤ ) .

(٣) « الوليمة » ( ٣٨٩ ) .

الزمنى المنطقى للقصة أو المسرحية أو الفيلم إلى ذكر أحداث ماضية لإيضاح الظروف التى أحاطت بموقف من المواقف ، أو للتعليق عليه<sup>(١)</sup> .

وهو يقترب فى المفهوم - إلى درجة التراصف - من مصطلح « الذكريات Reminiscence » ، وهى استحضار صور الأحداث الماضية فى الذهن<sup>(٢)</sup> .

والآلية الثانية هى « اليوميات » Diaries ، وهى بالمفهوم الفنى تمثل سجلاً قد يكون يومياً للأنشطة الشخصية ومشاعر الكاتب ، وتأملاته فى الحياة .. والأصل فيه ألا يكون للنشر ، ولكن كثيراً ما ينشر المؤلف يومياته ، وخصوصاً إذا اشتملت على آراء أو وصف أحداث قد تهم الناس<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

وكان مهدى جواد هو صاحب أغلب الاسترجاعات ، وهى - فى أغلبها - مشاهد من هزيمة الأهوار .. الموت .. الجراح .. الانسحابات الخائبة .. الاعتقالات .. التعذيب .. الهدوء - وكلها ذكريات غائرة العمق فى نفس جواد<sup>(٤)</sup> .

ولاتخلو هذه المسترجعات من وطأة التحميل التاريخي التقريري .. ولكن بعضها يتذبذب بالشاعرية والإيحاء الجمالى الآسر كقوله : « .. عندما يهاجمه الحين يربد وجهه ، كجدار محترق .. كانت تجربة الأهوار تدوم فى أعماقه كدوامات الأنهر .. لقد نسيها زماناً ، وأغلق عليها برتاج فولاذى ، ثم قذف بجراحه وصور الرفاق والأخطاء والمرارات إلى أعماق البركان المنطفئ .. لكن ذلك العالم المنسى كان ينقدف فى أوقات الاضطراب كما تنقدف الجزر المغمورة فجأة من أعماق المحيط<sup>(٥)</sup> .

ولم يكن المشهد المسترجع بهذا الإسناد التاريخي دائمًا .. بل تكون النقلة الذهنية إليه سريعة برقية مفاجئة تنزلق فى السياق دون التهيئة الكافية .. فعلى شاطئ بونة نقرأ هذا المشهد :

(١) الدكتور مجدى وهبة « معجم مصطلحات الأدب » (١٧٢) .

(٢) انظر : المرجع السابق (٤٧٢) . (٣) المرجع السابق (١١٠) .

(٤) انظر : (الوليمة الصفحات : ٧٣، ١٣٣، ١٣٥، ١٥٧، ١٦٩، ٥٥٤، ٦٣٧، ٦٣٩) .

(٥) « الوليمة » (٥٥٤) .

في انهمار برقى ابتدأت خفقاتن غريبة في صدر آسيا ومهدى .. الخفقة الأولى فصلتهما .. كانت هناك رواح كريهة تفتت الندرات ، وتعكر الهواء .. الخفقة الثانية صهرتهما .. إيماضات سريعة خاطفة كإيماضات هذه الأشعة فوق حقل الماء .

في الشوارع كانت الجثث ، وعلى ضفاف دجلة .. جثث مشقوبة بالرصاص في مؤخرة الجمجمة ، ومركز القلب . والأبواب تحطمها أقدام القتلة .. الذعر والخسار ، والقتل المجانى <sup>(١)</sup> .

فالاسترجاع - في أغليه - كان لمشاهد تربط بالأيديولوجية الشيوعية والقتال والتضحية من أجلها في معارك الأهوار ، وما ترتب عليها من نتائج .. وقل استرجاع مشاهد ومواقف خاصة ترتبط بالحياة الأسرية أو الشخصية كاسترجاع مهدى جواد صورة والده الشرس « سعدون جواد » ذلك السكير العرييد الذى كان يعدو على زوجته (أم مهدى) بالضرب المبرح .. لقد كان كارهاً للناس جميعاً بما فيهم امرأته الجاهلة التي قذفها بحقده الشيطانى فأذاقها العلقم لأنها لا تفهمه ، ولا تدرك مدى قدراته اللا محدودة في الوصول إلى النجوم ، وقيادة الكورة الأرضية ، وليقافها متى شاء <sup>(٢)</sup> .

ويذكر مهدى جواد كذلك تجربته مع بنت الجيران في شبابه أو يفاعته .. تلك التجربة التي قصها على أبيه كحكاية أو جزء من حكاية طويلة خيالية . « وأنذاك نهره أبوه لأنه أفسد الحكاية برأئه ردية ومنحطة ، لا تليق بقوم أتقياء يخشون الله <sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

والرواية مطعمة على امتدادها السردى « باليوميات » التى اختص بها مهدى جواد دون غيره من شخصيات الرواية ، وقد وصفها واحد من الذين كتبوا عن

(٢) « الوليمة » (٢١٧) .

(١) « الوليمة » (٦٣٧ ، ٦٣٨) .

(٣) « الوليمة » (٥٧٣) .

الرواية بأنها « تولت ضبط الإيقاع العميق لفضاء الرواية المترجم بتفاصيل اليومى ، وبأصداء التاريخ ، وتحليلات الشعر والأسطورة »<sup>(١)</sup> .

وهو توصيف أقرب إلى الشاعرية منه إلى التحديد النقدي ، كما أنه أقرب إلى التقرير منه إلى النقد .. والنظر المحايد لهذه اليوميات يقودنا إلى تسجيل الملاحظات الآتية :

١ - قلة هذه اليوميات التي لا تتجاوز مساحتها خمس عشرة صفحة في تصاعيف الرواية ذات السبعمائة صفحة .

٢ - من الناحية الموضوعية تجدها موزعة منهاجيًا على أنواع ثلاثة هي :

(أ) يومية الخاص أو الشخصي الحالص الذى لا يتسع لقضية أو مسألة عامة على المستوى الوطنى أو القومى أو الأيديولوجي ، كالاليومية الآتية ( وهى أقصر اليوميات على الإطلاق ) :

سماء سحرية بلا نجوم .. أرض مجللة بالعتم أرض الوحل والدم .. آسيا نجم يهدى في هذه البرهة المفلترة من زوغان وسقوط الشهب .. سأند رأسى المتعب إلى بازلت هذه الصخرة الناهضة على مداخل البحر بانتظار السفن .. لا شيء مضىء الآن للرجل المخنول سوى هذه النجمة<sup>(٢)</sup> .

(ب) يومية الخاص - العام : وفيها ينطلق مهدى جواد بعد الحديث عن موقف أو تجربة خاصة إلى قضية أو قيمة قومية أو إنسانية عامة ، كما تبين السطور الآتية التي نقتطفها من إحدى هذه اليوميات :

« هنا لا أحسن التفكير كما ينبغي .. اختلاط غريب في الأشياء . يبدو أننى أعيش حالة عوم فوق سطح المدينة ... » .

وبعد استيفاء عرض حاليه ، يتحدث عن الحرية « أن تكون حرًّا .. ليس هذا كافياً للسير فوق خط مستقيم .. إن حقوق الآخرين تبدو منكسرة أو منحنية .. والمنفي هو السير على خط آخر للحفاظ على التوازن .. لماذا هذه الغرابة اللعينة في خضاب الدم<sup>(٣)</sup> ؟ » .

(١) محمد برادة « التاريخ الحديث لهزيمة الحرب والثورة » (أخبار الأدب ٢٠٠٠/٥/٧) .

(٢) « الوليمة » (٤٣) .

(٣) « الوليمة » (٥٤٧) .

(ج) يومية العام الحالى ، فهى موضوعية خالصة لا تخرج على أية فرعية ذاتية .. وإن كان العام يعتبر خلاصة التجارب والمعاناة الشخصية .. ومثال هذا النوع يومية تطرح مفهوم السعادة ، وترأها فى الخروج من كهف العزلة إلى الأشعة والضوء .. إلى حياة حقيقة تتحقق بين رجل وامرأة يتحدىان لمحابهة قسوة العالم ...<sup>(١)</sup>.

ولعله بذلك قد حسم الأمر الذى طرحته فى سؤال ضمته يومية سابقة مؤداته : هل باستطاعة الحب أن يتتجاوز الحالة ؟ وهل تأسيس حالة حب على نحو صحي ضد عالم النفى اللاعقلانى ينقذ العالم والنفس ؟ ليكن السؤال هكذا : الإنسان أولاً .. أم المجتمع ؟ وهل بالإمكان بناء عالم جديد بإنسان قديم<sup>(٢)</sup> .

٣ - وأسلوب اليوميات مزيج من الشاعرية والصوفية والتحليل .. وفيه تأمل واستبطان ، وقد تجنب ما وقع فيه الحوار والسرد من ألفاظ الجنس الساقطة ، فهو فى مجموعه يجنب نحو السمو والجلال والتكتيف .. وإن لم يخل من بعض التهويل ..

٤ - جاءت هذه اليوميات خاتماً لمشاهد وموافق لا ختاماً لفصول .. والمفروض أن ترتبط كل يومية ارتباطاً عضوياً بالمشهد السابق لها .. أى يجب أن يكون فيها من المضمون الفكرى ، وبعد النفسي ما يجعلها «أليق» اليوميات بهذا المشهد تحقيقاً للتواافق الفكرى والجمالي في السرد الروائى .. ولكنها كانت فاقدة «للخصوصية» المميزة ، وهذا النقص ، أو هذا الفقد - يكسبها صفة الصلاحيـة لتبادل الواقع دون إخلال بالسياقة السردية ، فكريراً أو فناً .. وهذه مشكلة حيدر حتى في الحوار .. وأعتقد أنه كتب هذه اليوميات منفصلة عن بنية الرواية ، ثم أحل كلاً منها الموضع الذى هي عليه الآن .

\* \* \*

(١) انظر : (الوليمة ١٤٥) .

(٢) (الوليمة ٧٢) .

## سادساً : اللغة ومعجم الهبوط

قوام كل عمل أدبي هو مطابقة قيمه التعبيرية لقيمها الشعورية ، ومناسبة استخدام الأداة لطبيعة العمل الذى تستخدم فيه واتجاهه .. والقصة تهدف إلى تصوير الحياة فى محياطها الطبيعي ، وفى هذا المحيط تختلف الأجراء والحالات الشعورية .. ومن هذه الاعتبارات كلها يخلص لنا أن لغة القصة ينبغي أن تكون لغة نشيرة - لا شعرية<sup>(١)</sup> - إلا فى اللحظات الخاصة التى يفيض فيها الشعور ، ويرتفع ويتوهج ، أو يراد وضع إطار من وصف الطبيعة أو سواها تعيش فى داخله لحظات حالمه مشرقة ، أو كئيبة آسية فى سياق القصة .. وكلما عبر كل شخص فيها بلغته حسب مستواه فيها ووضعه كان ذلك أكمل .. لأنه يساعد على نسياننا للمؤلف ، وشعورنا بأن الحياة تجرى طبيعية أمامنا دون أن يتعرضها تنسيقه المفتعل<sup>(٢)</sup> .

وقد تحدثنا من قبل عن لغة الحوار فى الرواية ، وسجلنا ما عليها من مآخذ ، وقد تشرك مع لغة السرد فى الطابع الرومانسى المحقق اعتماداً على الخيال المركب الذى لا يسلم من الغلو والإسراف .

بيد أن الذى يشد النظر - كما ذكرنا من قبل - إغراق الكاتب فى توظيف عبارات وألفاظ جنسية ولا أخلاقية هابطة ، وكذلك كلمات تسيء إلى الدين والعقيدة . مما يكفى لصنع معجم لغوى مستقل .. وقد تعمدنا عرض محتويات هذا المعجم .. بادئين - حرصاً على رعايةأمانة البحث - بالعبارات التى دافع بها المؤيدون للرواية عن المؤلف وروايته .. وقد تعمدت عرض العبارات والكلمات فى نصوصها حتى لا يخل عزلاها بمعناها والمقصود منها .

\* \* \*

(١) يقصد الكاتب بالثرية العربية الفصحى المرسلة ، وبالشعرية اللغة المحلقة المتداقة بالجمال فكأنها شعر .

(٢) سيد قطب « النقد الأدبي » ( ٨٢ ) .

[١]

## قطرات عذبة في بحر الظلمات

قالت آسيا عن المستعمرين الفرنسيين :

« غرسوا في ذاكرتنا أن المسلمين والعرب كانوا غزاة وفاحشين ، استعمروا إسبانيا وصقلية ، ووصلوا إلى بواتييه .. كانوا يؤكدون لنا أن القرآن مأخوذ عن الإنجيل والتوراة ، واللغة العربية لغة دين وشعر لغة علم .. وهذا سبب تخلف العرب في العلوم والحضارة الحديثة » .

ويرد عليها مهدي جواد بقوله : هذا طبيعي إنهم منطقيون ومنسجمون مع غایاتهم .. الاستعمار في النهاية ليس العنف فقط .. إنما التزوير والاستلاب والقطيعة مع الأنا الجماعي . (ص ٦٢) .

\* \* \*

ويوصي أبوها المجاهد الجزائري الشهيد زوجته قبل استشهاده « لا وصية لي عندك غير الدرارى - أولاده - ربهم تربية تليق بنا كمسلمين .. نحن نقاتل حتى لا يلوث الاستعمار شرفنا ، بيت الإنسان شرفه .. ومن لا يحافظ على بيته لا يحافظ على وطنه . (ص ٦٥)

\* \* \*

ويقول الكومندان طاهر : « انظرى يا فلة إلى هؤلاء الجياع والخفاوة والمقلمين كيف يقدمون كل شيء .. كل شيء يافلة : الطعام .. واللباس .. والماوى .. والحيوانات .. والدم .. هؤلاء البحر ، ونحن السمك .. الآن نحن بينهم كما كان رسولنا محمد ﷺ مع المهاجرين بين الأنصار في المدينة .. المستقبل لا بد أن يكون لهم بعد تحرير البلاد من طاغوت فرنسا . (ص ٨٤ ، ٨٥) .

\* \* \*

وجاء على لسان إحدى الشخصيات :

«إن ما ينقصنا في هذا الوقت الرخو والمسيب هو إيمان وسالة الصحابة الأوائل ، بمثل هؤلاء يقبح الزناد في الحجر البارد ، وتسطح الشمس من جديد ». (ص ٨٨ ) .

\* \* \*

عندما هبط ثوار حرب التحرير من الجبال المصبوبة بالدم كانوا يهملون بتكبيرات عصور الفتح الأولى .. فكل مجاهد علق على صدره قرآنًا عربيًّا كان بمناشة الرقية ضد رصاص المستعمر الصليبي : الشيطان الذي أكل الزرع والحليب ، وعناقيد العنبر ، والبرتقال ، واغتصب البيوت الجميلة والنساء الجميلات ، والشواطئ الجميلة . (ص ٥٠٣ )

ونلاحظ على هذه الصور ما يأتي :

١ - أنها نقدمها - بعد أن استلتناها من مواضعها في الرواية - على سبيل المحرر .. فليس في الرواية التي بلغت صفحاتها سبعين صفححة نص آخر يدور في فلكها ، مما يؤكّد عدم صحة ما جاء في تقرير اللجنة الخامسة بأن الرواية فيها « عشرات العبارات والمشاهد التي تحمل روح الاحترام والتقديس للدين » (١) . كما تؤكّد التهويل الذي لجأ إليه التقرير حين قال بالحرف الواحد :

«والقراءة الكاملة للنص الروائي تشهد بورود عشرات العبارات الأخرى التي تعلي من شأن التجربة الدينية التي أدت إلى انتصار ثورة الجزائر ، وتؤكّد شعور التقديس المهيمن على بقية الشخصوص تجاه القرآن الكريم ، واحترام التربية الإسلامية ، والتنديد بالاستعمار الأجنبي » (٢) ..

(١) من تقرير اللجنة التي شكلت بالقرار رقم ٥٤ لسنة ٢٠٠٠ الصادر من الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة ، والمشكلة من الدكتور عبد القادر القط والدكتور صلاح فضل وآخرين .

انظر : ( ص ١٥ من العدد ٣٥٧ - ٢٠٠٠/٥/١٤ من أخبار الأدب ) .

(٢) انظر : المرجع السابق ( ١٤ ) . بعد نشر تقرير اللجنة بأسبوع واحد نشر الدكتور صلاح فضل مقالاً باسمه يكاد يكون صورة طبق الأصل من تقرير اللجنة مع تغييرات طفيفة جداً ، مما يقطع =

ولم تورد اللجنة في تقريرها إلا نصين وهما ضمن النصوص الخمسة التي قدمتها قاصداً ذلك حرصاً على عدالة التقييم اعتماداً على استقراء شامل .

٢ - أن النصوص التي قدمناها - وتکاد تكون كلها حوارية - تلتقي على فكرة محورية واحدة وهي الاعتزاز بالمرجعية الدينية : مبادئ وقيمًا ورجالاً .. وذلك في شكل عام يخلو من التفردية والخصوصية والتنوع .

٣ - سنرى أن هذه المعطيات القولية تفقد مكانها ، وتنطمس أمام فيوض من المقولات والمسروقات الناقصة التي تلطم الذوق والخلق ، وتسيء إساءات بالغة إلى العرب ، و تستهين بالذات الإلهية والقرآن والنبي ﷺ إلى درجة الإلحاد والانسلاخ من الدين الحنيف .

\* \* \*

---

= بـأن كاتب التقرير المنسوب إلى اللجنة الرسمية هو الدكتور صلاح نفسه . ولكن الشيء الغريب - بل المذهل حقاً - أن يعدل الدكتور صلاح عدد «المشرفات» إلى «الآلاف» فكتب في مقالة «والقراءة الكاملة للنص الروائي تشهد بورود آلاف العبارات الأخرى التي تعلي من شأن التجربة الدينية ...». فهل نصدق ما كتبه الدكتور في التقرير . أم ما كتبه في مقالة (ص ٣٤) من أخبار الأدب : العدد ٣٥٨ - ٢٠٠٥/٢١ ؟

[ ٢ ]

## كلمات وقراكم شعبية

جاء على لسان آسيا خضر :

« في اليوم الأول يتعرف العربي على امرأة .. وفي اليوم الثاني يرغبها في سريره .. وفي اليوم الثالث تتحول إلى عاهرة في قاموسه الجنسي .. هذا كريه .. ليس كريهًا .. بل مقرز !! (ص ٧٠)

\* \* \*

وعلى لسان مهدى جواد :

« في العراق وسوريا ومصر وسائر بلاد العرب لا يوجد غير النهب والقتل والأكاذيب ، الحكام العرب حلاليف وطغاة ، وأعداء لشعوبهم » . (ص ١٥٣)

\* \* \*

وتقول فلة بوعناب :

« وفي أزمنة غبرت : جاءوا إلى هنا .. فلسطينيون ، ومصريون ، وسوريون ، و العراقيون ، تركوا بصماتهم على خريطة الجسد ، ومضوا » . (ص ٢٠٤)

\* \* \*

وعلى لسانها جاء :

« رشيد الفلسطيني مرق سروالي ، ونام معى أربع مرات في ليلة واحدة .. مرسى المصرى بعد أن يشرب النبيذ والخشيش كان يتتحول إلى منشد شعبي ، وهو أيضًا يضاجعني حتى الصباح .. ذو النون العراقي كان يبكي بين فخذى وهو يهزم بالشعر ... » . (ص ٢٠٦)

\* \* \*

راح الاستعمار الروماني .. وهو الاستعمار العربي ينبع فينا . (٥٠٦) .

\* \* \*

كان المطعم خصوصيًّا .. وأنيقاً .. محظيًّا على الرعاع العرب . (٥١٢) .

\* \* \*

ماذا هناك على تلك الشواطئ المهجورة والتي لا يرتادها إلا المراهقون والعابثون والمبذرلون .. ماء وشمس ورمل وضياع وقت .. هكذا العرب يبددون أوقاتهم في الأمور التافهة والخامجة . (ص ٥٣٥) .

\* \* \*

العرب ينغلقون كالسلحف . (٥٤٢) .

\* \* \*

العرب ليسوا شيئاً في حساب العالم . (٥٤٣) .

\* \* \*

وكان منار - بنت لا لا فضيلة - تسمى بلاد العرب : حظيرة الخنازير .  
(ص ٦٢٧) .

\* \* \*

حينما كانت آسيا تحتمد : لماذا يكون الفرنسي من جنس الملائكة ، والعربي من جنس الشياطين ؟ كانت منار - شقيقتها - ترد بشقة : لأن الأمور هكذا في الواقع .. ألا ترين الجزائريين الحلاليف كيف يفكرون ويعيشون ؟ العرب كلهم خجاج رعوسمهم بين أفخاذهم . (ص ٦٢٨) .

\* \* \*

... العرب الذين جاءوا الجزائر طلباً للدرارهم والسيارات والنساء .. المصريون

البخلاء الذين يعيشون على الفول يجمعون الدينار فوق الدينار ليشتروا السيارات .. وال العراقيون والسوريون الذين يشبهون الجزائريين في حب النساء والخمر والغضب وتبديد الأموال . (ص ٦٤٣) .

\* \* \*

« ... إنى حريص جدًا على مداخل ومخارج الشرف العربي » .

نخر مهيار : لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى .

وأتم مهدى : مالم يراق على طيورهم الدم . (ص ٦٥٣) .

\* \* \*

كان جمهور الشارع والمقهى القائم في الطابق الأول يترقب أمام البناء مفاجأة فضيحة الشرقيين الذين قدموا من أقصى بلادهم لهتك الأعراض ، وتفریغ الشهوة بدلاً عن تربية الأجيال الصاعدة . ( ٦٦١ ) .

\* \* \*

وتجاه هذه النصوص .. وهناك في الرواية كثير غيرها يدور في فلكها يعني لنا الملاحظات الآتية :

١ - أنها جاءت علىأسنة شخصيات متعددة .. وبعضها جاء في سياقة السرد الروائي .

٢ - أنها تميز بروح شعوبية تعصبية فادحة ، حتى لو ببرها الناطقون بها بالحرص على مصلحة الوطن : الجزائر . وهم يقصدون بالعرب هنا : المشارقة دون غيرهم .

٣ - قائمة الاتهام في هذه النصوص تصميمها بالمثال الآتية :

(أ) التهم الجنسي .

(ب) السكر والعربدة .

(ج) إهدار الوقت ، والاستهانة بقيمةه .

(د) الغباء والانغلاق .

(هـ) النهم المادى الذى يدفعهم إلى النهب والقتل والأكاذيب .

(وـ) ضياع المكانة العالمية .

\* \* \*

٤ - وهذه النظرة الشعوبية الحمقاء التى انتشرت فى تضاعيف الرواية - حواراً وسرداً - هذه النظرة للعرب ، وبهذه التعبيرات الساقطة تعد بعثاً وتجديداً للنظرة الصهيونية للعربى بصفة عامة ، والفلسطينى بصفة خاصة ، والتى تبناها الأدب الصهيونى شعراً ونثراً .. وبعد تنفيذ وعد بلفور وظهور الفلسطينى المقاتل من أجل حقوقه المشروعة وصف فى أدبيات الصهاينة بأنه إرهابى .. وجبان .. ومتوهش .. ومثير للرعب ... وأنه لا يقوم بعملياته العدوانية إلا في الليل . أما النهار فإنه يرتدى فيه لباس المسكنة والضعف . يقول «أحاديث عام» : إن المستوطنين الصهاينة يعتقدون أن العرب جميعاً متوجهون ، يعيشون مثل الحيوانات ، ولا يفهمون ما يدور من حولهم <sup>(١)</sup> .

ويقول «ج . كوهين» : «إن العرب مجرد مخلوق غريب يرتدى جلباباً مزقاً ، وغطاء قذراً للرأس ، وتلتفت زوجته بشوب أبيض ، ويسير أطفاله حفاة .. إنه ليس قبراً فحسب .. بل هو أيضاً لص وكذوب وكسول وعدواني !!

ويقول «عاموس عوز» في قصة «البدو الرحل والشعبان» : «... إنهم يسرقون ثمار الفاكهة غير الناضجة التي في البساتين ، ويفتحون الخنفيات ، ويسرقون حظائر الدجاج ، وينتفون ريش الطيور !!

ويصف «س يزهار» القرى العربية في قصته «خربة جزعه» : «... العرب القدرون المتسللون لإحياء نفوسهم القاحلة في قراهم المهجورة ... أى دخل لنا ولشبابنا وأياماً الغابرة بقراهم المقلمة والمدققة والمحنة والخانقة .. هذه القرى الخاوية سيأتي اليوم الذي تبدأ فيه الصراخ» <sup>(٢)</sup> .

(١) انظر : (الدكتور محمود حميده : الشخصية العربية في القصة العربية القصيرة المعاصرة ٩٨) .

بحث متشرور في مجلة عالم الفكر الكويتية - مجلد ٢٤ - العدد ٣ - يناير ١٩٩٦ .

(٢) انظر : (حميدة : السابق ٩٨ ، ١٢٣) .

ومن حقنا أن نسأل : هذه النصوص التي جاءت على ألسنة « شخصيات خيالية أو مخترعة » أو في تضاعيف السرد ، ألا تعكس « مذهبية » المبدع الصهيوني ؟

ثم هل تختلف مضامين هذه النصوص عما عرضنا بعض نماذجه من رواية حيدر « وليمة لأعشاب البحر » ؟

أعتقد أن الإجابة واضحة ... واضحة جداً .

\* \* \*

[ ٣ ]

## بلا خلق في مستنقع الجنس

بغض النظر عن الدين والعقيدة .. وبغض النظر عن الانتماء الوطني أو القومي .. وبغض النظر عن الاتفاق الأيديولوجي أو الاختلاف فيه .. يبقى ما يمكن أن نسميه « الحد الأدنى المشترك من الذوق » ، وهو ال باعث الذي يحرك « جوانية » الإنسان قبولاً واستساغة أو رفضاً وإباء .. أى يحدد موقفه تجاه ما نسميه « بالقبيع » ، ويكون رفض هذا القبيع مسلمة من المسلمات إذا لم يكن هناك ضرورة فنية تقتضي توظيفه في سياقة العمل الأدبي ، ويكون هذا العمل في غناء عنه .. بل يكون في صورة أنقى وأبهى إذا رفضه وتخطأه .

والرواية الحيدرية خاصة - أقول : غاصة - بكثير جدًا من « الإفرازات » التي تنحر الذوق ، وتطعن الخلق ، وتلطم الحياة والآداب والنظام العام ، ويتمثل ذلك في مواقف ومشاهد وألفاظ وعبارات ، كما نرى في الأمثلة الآتية :

\* \* \*

- المشهد الطويل الذي يتلخص في أن جنود الاحتلال الفرنسي داهموا بيت « لا لا فضيلة » بحثاً عن أعلام جبهة التحرير ورجالها ، وضفت الجدة الأعلام تحت عجيزتها ، وأغرقتها بؤلاً .. وتقول « لا لا فضيلة » : « .. أليس هذا أفضل من مصادرتها : إنها تجف في الريح والشمس إذ يرفعها المجاهدون على الجبل مبلولة ، أو غير مبلولة . (ص ٤٢٠) .

(هل يستسيغ الذوق تصور « الجهاد » تحت راية « مضمخة » ببول العجوز ؟) .

\* \* \*

وعن « فلة بوعناب » - إحدى بطلات الرواية « ... هي الآن تعتنق جسدها المفتح ، يحاول ( مهيار الباهلي ) محاورتها حول العضوية ، وانتهاكات الوطن

الجرح ، فتمد لسانها مقتاً ثم تخرج من مؤخرتها ريحًا ذات رنين .. تضحك عاليًا بلا أ咪الية ممزوجة بريح كريهة . (ص ٤٦٠) .

\* \* \*

وصرخت فلة : « كلهم تخرجوا من مدرسة العناية ، ومرروا تحت قوس فخذيها ». بهدوء تناولت قلم مهيار الملقي على البساط ، وقالت : عليك إن كنت رجلاً أن ترى وتنماسك ... بدأت فلة بوعناب العارية تمارس بالقلم شهوتها ، وتتأوه . كانت جالسة على البساط ، فارجة ساقيها ، بينما قلم الباهلي يهتز ويحتك بحواف فرجها وبظرها ، وهي تعن وتهذى . (ص ٢٠٧) .

\* \* \*

فلة تأخذ جرعة نبيذ من كأسها : اللبؤة تبحث عن ليثها . نحن الأفريقيات نتشهي بالقوة .. هنا المرأة لا تخون إلا الرجل الذي لا يروي أرضه جيداً .. ها . ها . مع ضحكاتها الفاسفة تمد يداً تحت المائدة . وتجس ما بين فخذى مهدى ، يتضاعد الدم .

إذا تأودت فلة وهدللت شفتها ، ثم فتحت ساقيها ، تحت المائدة انتعظ اللعين خارقاً قماش الشرف والحضرمة المتزنة .. هيا : اهداً أيها الأرقط الذى لا يستحبى . (ص ٥٨) .

\* \* \*

كان هناك في مكان حساس من الجسد شفرة مرهفة تحز على مهل الجلد واللحم والعظم ، والدم يصدع ، يتنهد ويشهق ، وهو يضغظ حديد النافذة ، والريح تواصل دقاتها على شكل موجات ساحرة وحريرية ، لكنها كالمدية ، وهي تغلغل إلى الأعمق . (ص ٢٣٥) .

\* \* \*

عيناها التوجهتان بالرغبة بدتا آسيتين ، وهما على حافة استجداء . المنطة

المنسنة من أعلى الركبتين حتى المنحدر المغطى تلوح صلبة ولا معة تحت ضوء  
ما بعد الظهيرة . ( ١٧٩ )

\* \* \*

عندما استلقت على ظهرها فوق السرير بقيت ساقها سائبتين على الأرض .  
حافة ثوبها التي انحسرت توازت مع حافة الحوض . هناك التمع عريها . ( ص ١٨٠ )

\* \* \*

قالت آسيا ( حبيبة مهدى جواد وتلميذته ) : انظر إلى أنوفهم وأصابعهم  
وذقونهم المهذلة كقضبان عاجزة عن الجنس !! ( ص ٥١٩ )

\* \* \*

تدخلت فلة قائلة بأنها تعرف كوميسار الشرطة ، ويمكن أن تشرح له الأمر  
بكل ملابساته ليحميها ، وسألها المهدى غامزاً : صديق أصلى ، أصلى ؟ قولي  
الحق يا فلة .

ابتسمت : نعم يا أستاذ ، من النوع السريري . ( ص ٥٨٤ )

\* \* \*

آسيا تقرص بأصابع قدميها العاريتين قدمه ، تمد تحت الطاولة كفها اليسرى ،  
وتضغط على الفخذ . ( ص ٦٣٠ )

\* \* \*

- وعلى شاطئ بونة : إذ يعبران ( مهدى وآسيا ) تعلو الهمسات .  
- هاشوف أخويَا شوف ، لبوا بونية مع ذئب شرقى .  
- بالسلامة . عضوا الغريب حلو . وحق ربى كيما العسل الجزائري .

\* \* \*

- خير الجزائر ينهبه الغرباء ...
- عنانية خالية .. عشها مباح .. أى طائر غريب يضع فيه بيوضه .
- واش . واش . قضيب الجزائري كما الحديد السخون . ( ٥٠٦ ) .

\* \* \*

رأى ( المناضل الشيوعي مهيار الباهلى ) فرجها يبكي ثم يضحك ثم يغنى ،  
ثم يصرخ باللذة ، أما هو فبكى شوقاً إلى أرض بعيدة كالنجم . ( ٢١٨ ) .

\* \* \*

تقول فلة بوعناب : « نحن عنيدات كالحيوانات ، إنما الوفاء مسألة فيها نظر .  
قد تقول : الدم ، أما أنا فأقول جرثومة الشهوة التي تنغل وفاء صادق للطبيعة .  
( ص ٣٢٣ ) .

\* \* \*

غير أن فلة بوعناب تتورّم أنها مسكونة بموهبة أخرى غير موهبة فتح  
ساقيها .. تقول : هم قتلوا مواهبي الأخرى ، وركزوا على موهبة التاؤه والصراخ  
الجنسى .. أليس هذا هو الاستعمار الحقيقي ؟ . ( ص ٢٥١ ) .

\* \* \*

وهي تجس بأناملها كتلة ثدييها ، تحس ضمورهما .. تعصرهما لينموا في  
خطفة وهم ، ثم تمد أصابعها العطرة تحت سروالها وتتضغط . ( ص ٢٠٢ ) .

\* \* \*

... فتنزوى بعيداً عن العالم الكبير في حي جانبي من أقصى بلاد الشرق  
الجزائري ، تصطاد هؤلاء المشارقة الأوباش ، فتربيهم في قفص بيتها ، ثم تطعمهم  
من طهر يديها ، وما يدره ثدياتها وفرجها من المُنْ والسلوي في أماسى بونة  
المستوحشة ( ص ٢٨٣ ) .

\* \* \*

وأكرر اعتذاري للقارئ إذ عرضت عليه شيئاً من الإفراز الحيدري المنكود ، وأكرر اعتذاري ، وأنا أقدم - مضطراً - شيئاً من المعجم اللغظى للرواية الحيدرية . الرواية مسكونة - في أغلب صفحاتها - بألقاظ البداء والجنس الساقط ، وكلمات المراحيض ، وأعضاء الإنسان الداخلية بأسمائها السوقية المرفوضة مضافة إلى « الأم » أو « الأب » وغيرهما . وإلى القارئ بعض العينات أقدمها - معتذرًا - على استحياء :

- تشبيه الآخرين بالشامبانزى والخنزير . (ص ١٤) .  
 - والحلوف : يا حلوف تعال / (ص ١٣) - الحاج محمد ذلك الحلوف (ص ٦٤) - والحلوف ولد الحلوف (ص ٦٥) - يا حلوفة أنت محترفة . (ص ١٤٢) <sup>(١)</sup>.

- والقحبة : في عشرات من الموضع منها : ولد القحبة (١٠٤) ، ابن القحبة ، ولد القحبة (١٣٤) - ولد القحبة يزى يزى (ص ١٩٧) من أبناء القحبة والخنازير . (٣٥١) - جحافل ولاد القحبة . (ص ٣٩٢) عقيل آخر القحبة . (ص ٤٠٠) <sup>(٢)</sup>.

- الجهاز التناسلي للمرأة في مقام الذم والسب غالباً : يقول ذلك فتنطلق الشتائم احتجاجاً نحو فروج الأمهات ، والأخوات (ص ١٩٠) - ليعرض حياته داخل فروجهن المقرحة . (ص ٤٧٠) .

- السوأة ، معبراً عنها باسمها العامي المقزز المكون من حروف (الطاء - الياء - الزاي) ، وذلك في مجال الذم والسب غالباً : فليس لهن سوى فتح الفخذين : يا الحلاليف ، (ط ..) أملك . تفوه (ص ١٢٧) - دعنا من السياسة (ط ..) أم العالم . (ص ٢١٥) . ليس ضروريًا (ط ..) أمهم ، خليةم يولوا . (ص ٥١٥) .. (ط ..) أمهم . (ط ..) أم الحرب . (ص ٥٤٦) - خنزير ، بل هاتك أعراض .. (ط ..) أملك . (ص ٦٠١) .

\* \* \*

(١) انظر كذلك الصفحات ١٥٠، ١٥٠، ٥١١، ٥٦٠، ٥٥٥، ٤٢٠، ٣١٠، ٦٦٩.

(٢) انظر كذلك الصفحات ٥٠٥، ٥٣٥، ٥٨١، ٦٠٢، ٦٤٤، ٦٧١.

- الخراء : أَفْ ، يَا لِلخراء أَهُو أَنْتَ ؟ ! (ص ٤٦) - زمجر أبو صبرى : عينى حظكم خرا (ص ٣٦٣) - خرا بربك (ص ٤٠٠) - والناس كلهم خرا بخرا في هذا الرمن . (ص ٤٠١) - خرا بربك . دعك من الانحطاط العضوى (ص ٥٩٢) - كل إنسان حر بروحه . أوه . يَا لِلخراء (ص ٦٤٤) .

\* \* \*

ويسرّب كاتب الرواية كثيراً من الألفاظ الجنسية والمقرفة - على سبيل الحقيقة أو المجاز - دونما ضرورة أو مجرد حاجة فنية لذلك ، يستوئ في ذلك السرد والجوار ، وكأنها مقصودة لذاتها ، كما نرى في أحد المشاهد التي قدمها الكاتب لشخصية خالد أحمد زكي أحد الأعضاء الشيوعيين البارزين : « ... بين تلك الاختلاطات كان يرى نفسه أحياناً في صحراء مديدة ، مرة عامرة بالماء ... وهو يسير كمن يخطو في الهواء مرة حافي القدمين ، ومرة بلا سترة ، تقى العورة ، فيضطر إلى وضع كفيه فوق عانته ... ». (ص ٢٤٨) .  
ومن ذلك : « ... التي ستدخل التاريخ من بوابة الإستضيفة » . (ص ١٧) .

ومنها : اقترحت العناية أن تصنع القهوة خارقة هذا الاستثناء الجدلى . (ص ٢٨٠) .

ومنها : يضحك مهدى كاسرا هذا السيلان العجيب للعنابة التي تستمنى بهذه الهرطقات العزيزة على نفسها وجسدها . (ص ٣٢٥) .

ومنها : ( في الحديث عن المدينة والمرأة ) : « ... كل منها أعطت هامشًا ورائحة لكن مهبليهما ظلا محتفظين ببوابة الغشاء العصبي على الهتك . (ص ٥٠٢)

\* \* \*

وتجاه هذا الركام من ألفاظ الجنس والسقوط اللاأخلاقي واللاذوقى نسجل الملاحظات الآتية :

١ - أنها لم تكن كلها داخل حدود الحوار الخارجى والداخلى ، ولكن كثيراً منها كان منسابة ، ومتسبباً في السرد بصورة واعية .

٢ - أن أغلب هذه الألفاظ وظفت في سياقها « الأدبي » ، أو المفروض أن يكون أدبياً » ب الهيئة توظيفها في نطاقها الاجتماعي على امتداد ساحات السوق والرعام والدهماء والساقيين .

٣ - استخدام هذه العبارات أوقع الكاتب في ورطة غير محمودة .. وهي الخلط - في الحوار بين العامية - التي ترد بها هذه العبارات غالباً - والفصيحة ، فترتب على ذلك نوع من الخلل ، أو التناقض الفنى من ناحية الأداء التعبيرى .

٤ - ولا يدافع عن الكاتب بأنه في هذا النهج ملتزم - في مصداقية - بالواقعية .. لأن الواقعية في الفن ليست رصداً للواقع وتسجيلاً له ، وإنما لا تنفي عن الإبداع طوابع الفن .. ولكنها تفاعل مع الواقع انتقاء ، وتنقية ، وصهراً في منظومة متسبة فكراً وتصويراً وتعبيرأ .

٥ - لعلماء النفس ومدارسه كلام طويل في دلالة الإكثار من استعمال مثل هذه الكلمات ، والقوالب على الأبعاد الجوانية لشخصية المبدع ، وتفسير هذه الظاهرة وتحليلها ، وهل هي « تعويضية » عن عجز ، أو تعبيرية عن تهتك ممتد ، أم عرض من أعراض النرجسية ، وهل ترجع إلى عقدة أو عقد دفينه ... إلخ ؟  
ولكتنا - مع إيماننا - بكثير من تخريجاتهم - لن نطيل الوقوف مع هذا البحث ؛ لأن الخلوص منه إلى أحکام سليمة وافية شاملة يقتضينا قراءة كل ما كتب الرجل ، والتعرف الفاخص على سيرورة حياته من ناحية أخرى . وإن كان هذا التعليل لا ينقض ما أثبتناه من أحکام <sup>(١)</sup> .

ولكن الحقيقة التي تفرض نفسها أنها أمام ذوق من الصعب - بل من المستحيل - أن يتافق مع الحد الأدنى من القيم الإنسانية السوية . « والذوق السيئ ، والاستجابات الفجة ليست مجرد عيوب ثانوية في الشخصية ، وإنما هي في الحقيقة شر أصيل تنتجه نفائص أخرى في الشخصية ، ولا يمكن للفرد أن يحيا حياة ممتازة إذا كانت استجاباته الأولية في حالة خلط وفوضى » <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

(١) انظر الكتاب ( ١٥٨ - ١٦٠ ) .

(٢) أ . رتشاردرز : مبادئ النقد الأدبي ١٠٧

[ ٤ ]

## عدوان على الله والرسالة والقرآن

١ - مدينة بونة .. كأى مدينة عربية كانت محكومة بالإرهاب والجوع والسمسرة والدين والحقد والجهل والقسوة والقتل . (ص ١٢) .

\* \* \*

٢ - .. نهض .. أمسك رسغها ووخرze .. نحن الآن في المظهر ، لسنا في مسجد الله أو كنيسته ، هذه بارينا ، ونحن هنا آلله هذه البراري .. تناولت زجاجة بيرة ، وفتحتها . (ص ١٦) .

\* \* \*

٣ - حيث لن يعرف لا الحزب ، ولا الرب متى ستشرق الشمس من جديد .  
(ص ٣٨) .

\* \* \*

٤ - ... الحاج محمد الملئ كرشه بنور الله وتقواه . (ص ٤٦) .

\* \* \*

٥ - فلة الثراثة المظللة بالشهوات المقدسة . (ص ٥٨) .

٦ - في بونة بلد الحير والبركات والعاهرات المقدسات . (ص ١٣٠) .

٧ - فلة بوعناب أيتها المؤمنة المقدسة أيتها النجمة . (ص ٤٧٠) .

\* \* \*

٨ - إنها لمسألة غير تافهة أن تسأل في عالم اللا منطق ، وانعدام القانون ، في العالم المحكوم بالطغيان ، وسطوة الآلهة والقتل ، وميراث الأجداد المنقضين .. عالم النزوة والمزاج والفردية .. كيف تفكّر ، وتتحرّك .. كيف تتقدّم .. بل كيف تتشكل !؟ (ص ٧٢)

\* \* \*

٩ - أنا أرى في ماركس أوليين محمدًا جديداً ، محمد القرن العشرين .. «ماركس أوليين العربي هذا ما نحتاجه في هذا العصر المضطرب» . (ص ٨٧)

\* \* \*

١٠ - لاحت على شاشة رأسه بلاد رازحة تحت عصور الظلمات والرجال والسلالس ، وجرائم الله المهيمنة والخسياء . (٩٣) .

١١ - لماذا لا (تفهميهم) بالسلوك أنك لست عبدة لرغباتهم ، وأن حرملك تخرج من قوانينك الداخلية لا من قوانينهم الدينية العميماء .. إنهم يحكموننا بالطقوس البائدة ، طقوس الصحراء والحرير . (٩٥) .

\* \* \*

١٢ - كيف يتساوى جميع الناس ، والله تعالى قال في كتابه العزيز : «إنا خلقناكم فوق بعض درجات» <sup>(١)</sup> . (ص ١١٤) .

\* \* \*

١٣ - الوعي العميق بالتاريخ غائب ، وهؤلاء يهمشون التاريخ ويعيدونه مليون عام إلى الوراء .. في عصر الذرة والفضاء والعقل المتفجر يحكموننا بقوانين آلهة البدو وتعاليم القرآن خراء . (١٢٩)

(١) هكذا كتبها حيدر . وصححة الآية : «... وَرَفَقْنَا بِغَصْبِهِمْ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَاتِ ...» .

[ سورة الزخرف ، الآية ٣٢ ]

١٤ - ... إلى الجحيم .. لا أريد كفنا ، ولا مشيعين ، أريد أن أموت عارياً تحت الشمس في غابة أو صحراء ، تأكل جثتي الصقور ، ووحوش البر .. هذا أفضل وأهداً لنفسي من صلوات الدجالين ، وقبور المسلمين المظلمة . (ص ١٣٧)

\* \* \*

١٥ - إحساس المنفي يتواقت مع انفجار الحب .. وكما يتجلى الجنس إلهًا أفريقياً مقدساً .. يشعر الغريب الوافد ، وكأنه طير مهاجر . (ص ١٤٦) .

\* \* \*

١٦ - وفاجأه مهدي هازئاً : عمى الحاج بصلة محمد على رأسك .. هل أحببت في حياتك ؟ وقال الحاج محمد : واحدة .. واحدة على سنة الله ورسوله ..

- طبعاً تزوجتها ؟

- أكيد .

- ولكن الله قال : انكحوا ما طاب لكم .. ورسولنا معظم كان مثالنا جميعاً ، ونحن على سنته .. لقد تزوج أكثر من عشرين امرأة بين شرعية ، وخليلة ، ومتنة .. وكان صلوات الله عليه وسلم يقول : « تناسلوا فإنني مفاخر بكم الأمم ». استبد الغضب بالحاج محمد : الرسول تزوج حسب الشريعة . أما أنتم فتريدون شيوعية .. والله تعالى قال في كتابه العزيز :

(إذا ابتنیم بالمعاصی فاستتروا )<sup>(١)</sup>.

وصاح مهدي ضاحكاً : يا عمى الحاج : رغبنا الاستثار فإذا بمخابرات ربى تقرع علينا الأبواب الموصدة .. (ص ١٤٨)

١٧ - وفي الطرف الآخر داخل القصور والقلاع وبيوتات الحرمين ، وثكنات الحرس الإمبراطوري رسمت الخرائط والخطوط السرية لتحركات الجيوش والخلفاء والمخنطات للحفاظ على هيكل ذلك العالم المقدس .. هيكل الوحش الصحراوى

(١) ليس هذا من القرآن .

العالم فوق بحار البترول والتعازيم الخرافية للدين الخنيف . (ص ١٦١) .

\* \* \*

١٨ - كانت الأمور تترنح في خريطة عقله ، ومجرى دمه على نحو سريالي يشتت كل العقلانية القدية التي أسسها ببدأ منطقى من خلال وهم تغيير العالم بسلطة نور العقل الكاشف لسحر نور الله في مخلوقات ما وراء الطبيعة .  
(ص ١٦٦) .

\* \* \*

١٩ - أَفْ . يَا لِلَّهِ الصَّغِيرُ الَّذِي وَقَعَ خَطَاً هُنَا .. قَالَتْ بِامْتِعَاضٍ :  
أَوْقَفَى هَذَا الْهَرَاءَ ! أَنَا لَسْتُ شَيْئًا ، وَلَا أَرِيدُ أَنْ أَكُونَ .. إِنِّي أَعْنُ أُمِّي  
الَّتِي وَلَدَتْنِي عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ ، فَهَمْتُ ، أَنْتُ وَهُمْ ، وَالْأَلْهَةُ إِلَى الْجَحِيمِ .  
(ص ١٦٨)

\* \* \*

٢٠ - بَعِيدًا .. بَعِيدًا .. تَحْتَ السُّطُوهَةِ الْجَسَدِيَّةِ وَهَذَا الدَّمَارُ الْجَمِيلُ لِلرُّوحِ ،  
وَهِيَ فِي قَبْضَةِ الشَّيْطَانِ ، وَقَدْ تَقْمَصَ جَسَدَ إِلَيْهِ أَرْضِي .. أَوْ امْرَأَةً .. أَوْ بَحْرًا ..  
أَوْ غَابَةً : آسِيَا . (ص ١٧٥) .

\* \* \*

٢١ - رَأْسُهُ مُلْعَنٌ بِالْخَلْطَاتِ وَسَخَافَاتِ .. رَبِّي لَا يَدْرِكُهَا . (ص ١٧٨) .

\* \* \*

٢٢ - الشُّورِيُّونَ الْقَدَامِيُّ .. اسْتَرَاحُوا فِي مَحَطةِ فَلَةِ بَوْعَنَابِ (مُومُس) .  
حَتَّى الشَّهَدَاءَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَشْهِدُوا عَيْرُوا تَحْتَ السَّارِيَّةِ .. تَظَهَرُوا فِي جَنَّةِ عَدْنِ

الأرضية قبل أن يطيروا إلى جنة السماء . (ص ١٨١) - (وجنة الأرض منزل فلة) .

\* \* \*

٢٣ - جبهة التحرير (الجزائرية) .. مخلوطة عجيبة وغريبة .. حتى ربى  
لا يستطيع توحيدها . (ص ١٨٢) .

\* \* \*

٢٤ - في ذلك الوقت العصيب كان الله يتقمص السلطة ، الجنة والجحيم .  
(ص ١٨٧) .

٢٥ - وهو الخارج من أضلاع الله والطغاة والمحروbs الأهلية المغدورة  
ونفسه . (ص ١٩٢) .

\* \* \*

٢٦ - الآلهة والقضاء والخوف الموروث والزمن السالى ، كانت في كريات  
الدم . (ص ١٩٣) .

\* \* \*

٢٧ - أوه .. يا إله السموات والأرض لماذا لا يكون الأمر هكذا إذا كان الله  
عادلاً وشفوفاً لا يحقد على مخلوقاته . (ص ٢١٤) .

\* \* \*

٢٨ - ومهدى جواد مزعزع .. لا يعرف كيف يتوجه .. والزمن ليس ملكه ،  
وهو الذى استرهم يوماً أنه ملكه لحظة جلس على عرش الله ، وصرخ بالخلقية :  
كونى معى يوماً .. يوماً واحداً فقط . (ص ٢١٦) .

\* \* \*

٢٩ - ويضحك .. أنفها الكبير المفلطح يواجهه .. يفرض أنفها : لكن أنفك  
هذا سيعترض مستقبلنا .

- هو من صنع ربى .

- لا بد أن ربك فنان فاشل إذن . (ص ٢٢٠) .

\* \* \*

٣٠ - تقول : تخيلت الآلهة بلحًا في زمن القطايف .. وهي تهوى من السماء .. وأنا ألتقاها في راحتى .

تقول : في طفولتى كان أبي يتحدث عن الأولياء الذين يصعدون إلى السماء بعد موتهم .. وكيف يستقبلهم الله مرحباً في الجنة مهياً لكل منهم سريراً مريحاً ، وخدماً ، وملائكة وحوريات ليظلوا سعداء .. كنت أتخيل السماء شجرة .. والله هو القمر .. والنجوم والكواكب أولياء وملائكة الله . (ص ٢٣٤) .

\* \* \*

٣١ - علينا أن نبدأ سرّاً .. كما ترى نحن في مدينة بيزنطة ، وربك لا يعرف متى تحسم هذه الأراجيف . (ص ٢٤٤)

\* \* \*

٣٢ - داشر هذه الأهوار التي خلقها رب في الأزمنة الموجرة في القدم ثم نسيتها فيما بعد لترككم مشاغله التي لا تُحد في بلاد العرب وحدها . (ص ٢٥٧)

\* \* \*

٣٣ - ... وهو يصرخ طالباً الموت لأبيه والعالم والحيتان والآلهة والصور الشمسية .. واتحاد الشعب .. وجميع الطقوس اللازوردية التي قذفت به إلى هذا الجحيم . (ص ٢٦٣)

\* \* \*

٣٤ - كتب مهدى جواد في اليوميات المهجورة : ... إنني أنغمر في غياب

الآلهة ، وهذا الدمار البشري داخل أمواج هذه المرأة التي قذفتها في وجهي ابتهالات البحر . (ص ٣١٥) .

\* \* \*

٣٥ - ومن الزاوية انطلق تعليق : إن لجسدي عليك حَّفًا . صدق الله العظيم <sup>(١)</sup> . (ص ٣١٩) .

٣٦ - فلة بوعناب المرأة التي سقطت سهواً على شواطئ بونة حيث نسيها الله بعد أن اختار له زاوية ضيقة من زوايا الجحيم قائلًا لها : امكثي هناك ملعونة إلى أبد الآبدين ، فتردد بصرخة شيطانية : في مؤخرتي الحياة الآخرة ، وأنهارك العسلية وينابيع الكوثر .. هذه حياتي الأولى والأخيرة ، وما تبقى خذه .. سامحتك فيه .. أعطه لعبادك الصالحين . (ص ٣٢٢) .

\* \* \*

٣٧ - ... حيث تنفتح أبواب غامضة .. وتهتك أسرار مقدسة حملتها الآلهة والأنبياء ، وختمت عليها القلوب الواجهة . (ص ٣٢٤) .

\* \* \*

٣٨ - الآلهة والبشر والشمس وصرخة الدم كلها كانت تنذر بزروعة غبار . (ص ٣٢٧) .

\* \* \*

٣٩ - وفي تلك الليلة تحدث عن تحطيم الأوثان التي أقامها الآباء والأجداد .. وضرورة الانفصال عن الدين والله .. والأخلاق والتقاليد ، والأزمنة الموحلة ، والجنة والجحيم الخرافيين ، وطاعة أولى الأمر والوالدين ، والزواج المبارك بالشرع ، وسائر الأكاذيب والطقوس التي رسمتها دهور الكذب . (ص ٣٤٨) .

\* \* \*

---

(١) هذا أيضًا ليس من القرآن ، وإنما هو من الافتراء على الله عَزَّ وَجَلَّ .

٤٠ - عقيل : أخو القحبة .. خرا بربك .. تسكت ولا أمزق أمعاءك ..  
ملعون الوالدين .. (ص ٤٠٠)

\* \* \*

٤١ - .. خنا غلطنا ، وهاي الواقعة مصيبة من الشيطان ورب العالمين ..

(ص ٤٠١)

٤٢ - .. أبو سعيد موخاين .. لكن الدنيا والناس كلهم خرا بخرا في هذا  
الزمن أخو القحبة الحالى من الرجال .. (ص ٤٠١)

\* \* \*

٤٣ - .. وفي سياق هذر الصحراء النبوية المتعارف عليه داخل العقل  
الإهليجي الذى استوطنته الأساطير والخرافات البدائية ... (ص ٤١٤)

\* \* \*

٤٤ - ثم ترى رجلاً من أتم الناس طولاً ، وأشدهم بياضاً يأخذ المولد ،  
فيتفل في فمه ، ومعه طاس من ذهب ، ثم لا يلبث أن يشق بطنه ، فيخرج قلبه  
ليشقه شقاً مخرجاً منه حصاة في حجم حبة خردل ، ثم يمسح على بطنه ، وهو يرد  
قلبه إلى مكانه ، آنها يستيقظ المولد وينطق .. لكن الأم لا تفهم ماذا قال . فيقول  
الرجل الذى أخرج حبة الخردل من قلبه : أنت خير البشر فطوبى لمن اتبعك ، والويل  
لمن تخلف عنك ... » . (٤١٩) .

\* \* \*

٤٥ - .. وكما أقام الله مملكته الوهمية في فراغ السموات ليدخل في خلود  
ذاته بذاته ، سيقيم ذلك الجنرال المعتوه مملكته داخل النسيج الأرجواني للأرض التي  
طوطها باسمه ، المملكة التي ستزدهر على مدى السنوات الصفراء . (٤٢٥) .

\* \* \*

٤٦ - لم أسمع ولم أر إلا .. خد .. وهات .. إله المال كان يصرخ صرخ  
وحش جائع في غابة .. إله السماء إلهم الذي يصومون له ، ويرکعون من

أجله في الجماع ، كان يداس ويجرجر ، كانوا خاسعين أمام الإله الجديد : الدينار ، لم يتغير شيء .. كل الناس كانوا هناك يبيعون ويشربون بالجذاب مغناطيسي .  
(ص ٤٥١) .

٤٧ - جاء داود حاملاً ثلاث زجاجات وزعها على العصبة المنفردة عن الآخرين .. كما يجس جسد امرأة جس زجاجته : الله .. الله .. يا ولد .. يا داود .. لقد غفرت لك .. انكح كل صبيان بونة ، وأنا شفيوك يوم القيمة .. قال ذلك بخطبة مطلقة . (ص ٤٦٥) .

\* \* \*

٤٨ - وفي الوقت الذي هوم في رأسه موت طيور الأهوار انفجر شيء آخر ، وتشطى : الله .. والوطن .. والأسرة . (ص ٥٠٨) .

٤٩ - ... المهم أن نخرج يوماً من حظيرة الحلاليف .. الحرية .. الحرية .. هذا هو ربى . (ص ٥٤٦) .

\* \* \*

٥٠ - انتفض بيقين شبه نبوى .. الطمانينة .. المستنقع .. الزمان الميت .. ينبغي زلزلة الجنور القديمة التي تعافت . (ص ٥٥١) .

\* \* \*

٥١ - كن في المعبد .. معبد عراء البحر الربح ، يصلين لإله ينشق للتو من فجوات الصخر - الجسد ... (ص ٥٦٣) .

\* \* \*

٥٢ - مستر لوجيك أو السيد عقل .. حى أبداً كائله .. قاض .. وديان .. يحاسب الحماقات .. وكأنه نبى هبطت به مظلة العزة الإلهية ذات غسل فى هذه السادوم الملعونة . (ص ٥٦٥) .

\* \* \*

٥٣ - ... هو ذا ما يزال يضرب في مندل الرمل بحثاً عن أشباح الأنبياء ..  
الأنبياء الأسطوريون القابعون في تلaffيف الدماغ . (ص ٥٦٦)

\* \* \*

٥٤ - يوتوبيا .. يوتوبيا .. حلم الإشراق في العقل الصوفي المصايب بلوثة المستقبل الوضاء .. وهو يدخل تحت أمواج تحولاته .. انهدام كل للعالم القديم .. وبناءه أرضياً على شكل الله السماوي بدءاً من بشر جوهرهم جوهر ملائكة .. أما أجسادهم فمن لحم ودم ، يرتفون فوق رغباتهم وصفائهم العضوية ليكونوا الحالة الجديدة الخارجة من الزمان القديم البالي .. والزمان الراهن الخرع : الزمان الصارخ : لا إله إلا الله .. إلى الزمان الصارخ .. لا إله إلا الإنسان .. في وقت فسد فيه كل شيء من الدم إلى الهواء المستنشق .. وقت الاستعادة الطبيعية للحياة الأولى ، والهيوان الأولى ، بعد أن فتت ذراتها عبيد الله بن أبي ضبيعة الكلبي ظل الآلهة المسوخة فوق الأرض .. فكؤنها على صورته الحيوانية ماحياً جوهرها الإلهي الذي يقول للأشياء : كوني فتكون . (ص ٥٦٨)

\* \* \*

٥٥ - .. الحاكم بأمر الله وأمر السيف .. الحاجاج الثقفي المعمى على العرش .. رب السموات والأرضين الذي يقول للشيء كن فيكون . (ص ٥٦٩)

\* \* \*

٥٦ - يقول حسان يحيى : خرا برب السياسة ومشاكلها ، ويهمس داود في أذن ذو النون : عش امرأة أفضل من كل الثورات . (ص ٥٧٩)

٥٧ - يؤكّد (مهيار الباهلي) بأنه نجا بجسده فلة : لقد افتدتني كما افتدى الله إسماعيل بالكبش . (ص ٥٩٢)

\* \* \*

٥٨ - خرا بربك .. دعك من الانحطاط العضوى . (ص ٥٩٢) .

\* \* \*

٥٩ - .. فلة المساوية لروح الله الجامعة هبطت كالروح القدس ، فجمعت الجسد إلى النفس ، وأعادت تناصق التكوين الأول بعد اختلاله . (ص ٥٩٣) .

\* \* \*

٦٠ - وفي تلك الأيام الأخيرة بدأ مهيار الباهلى رغم يأسه العام ، ودمار أعلام ثوراته ، كأنما اتقد جسده ، وتوهجت روحه الخاصة بنار اسمها (فلة بوعناب) . كانت ناراً شخصية تراها في بعثة في وقت الضيق كما تلاقت العلقة الملتهبة لموسى في الوادى المقدس طوى .. خاطبته : أنت في الوادى المقدس ، فاخلع ثيابك وتقدم .. بعثة خلع أستاره كلها وتعري ، اندفع في اللهب ، فاكتشف الله في جسد فلة بوعناب : العاهرة المقدسة التي وطئها الشوريون ، والمنفيون ، والسفلة والخنازير ، ثم لفظوها لفظ النواة بعد امتصاص الشمرة . (ص ٥٩٤) .

\* \* \*

٦١ - الحلوف البوال .. يظن أنه الرب . (ص ٦٠٤) .

\* \* \*

٦٢ تقول (آسيا) : الأمان لكم أنتم الرجال كالأمان للحنش الأرقط .  
ضاحك (مهدى جواد) وهو يجمعها إلى جسده : صبح والله صبح .. خلق الرجل للمبيت في أكثر من عش .. تلك رغبة ربنا ونبيينا محمد أول المرسلين .  
كان يناددها ، وهما على أبواب هبوب الجسد .

- أى عش يفضل وريث الأنبياء ؟

- الدافئ والضيق ، والذى يغطيه بالأعشاب الندية فى أوقات الحمى ،  
وهو بوط الوحي . (ص ٦٠٩) .

\* \* \*

٦٣ - .. وأنه كان ملحداً ومجوفاً كان يتصور أن الله يتقمص المرأة ، ويغويه ليدخله في جسدها ، ثم يختطف روحه ليعقبه في عرش ملكته .. وهكذا كن يرتدبن أثواباً حريرية شفافة تشبه أثواب الملائكة في الصور والتزيينات ، يغرقنه بالروائح ، وملاسة الحرير ، وانصقال الجسد ، والتأوهات الحارة .. ولكنكه كان يرتعد في لحظة ولو جهن ، وهو تحت السطوة البرقية للجسدين اللذين سيباغتوكما الله .. وهم مشتبكان . (ص ٦١٣)

\* \* \*

٦٤ - وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك قائلاً :

« لا تدخلوا المنازل إن لم يؤذن لكم » . (ص ٦٦٢) <sup>(١)</sup>.

٦٥ - لأول مرة يستحمان معًا بعريهما الكلى : هي ترى تفاصيل جسده ، وهو يرى ... ويمدان الأعضاء المحرمة : القضيب .. وشعر العانة .. المثلث ، والمؤخرة ... ولعلها وهي تتجلى تحت البصر الآن فاقدها قداستها وحرمتها الدينية أكثر جمالاً وطفولة وتناسقاً وتطهيراً للنفس . (ص ٦٨٦) .

٦٦ - .. وهى تسأل : ماذا علينا أن نفعل إذن؟ وفاجأها : نهض إلى الرقص .  
بحركة مسرحية نهض إلى المسجلة فوضع شريطًا راقصاً .  
وبحركة أخرى عاد ليتناولها من خصرها : هيا .. هيا .. إلى الجحيم كل  
شراميط الله ..

نحن معًا .. وهذا هو الحقيقى . (ص ٦٨١) .

\* \* \*

(١) هنا تحريف واضح يدل على جهل كاتب الرواية بالمعطيات الإسلامية ، وما ذكره ليس حديثاً نبوياً ، وإن كان المعنى متضمناً في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا نِبْوَتَهُ غَيْرَ بُشِّرُكُمْ حَتَّى تَسْتَأْشِفُوا وَتَسْلِمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَئِنْكُمْ تَذَكَّرُونَ » فَإِنْ لَمْ تَجْدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَازْجِعُوا هُوَ أَرْكَنُ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَفْعَلُونَ عَلِيمٌ » [ سورة النور ، الآيات ٢٧ ، ٢٨ ] .

وتجاه هذه النصوص التي استخرجناها من الرواية نسجل الملاحظات الآتية :

١ - أنها في مجموعها - بصرف النظر مؤقتاً عن كونها وردت في السرد أو حواراً على ألسنة الشخصيات - تبين عن طبيعة عدوانية على ذات الله ورسوله وأنبيائه - عليهم الصلاة والسلام - ، والقيم الدينية ، والتعامل مع معطياته ورموزه باستهزاء ، وسخرية ، واستهانة واحتقار ، وواحة .

٢ - أنها وإن التقت جمیعاً في هذه الطبيعة العدوانية - تختلف في درجة السقوط ، وحظها من التصریح أو التلمیح : فبعضها - بالنظر إليه في ذاته - ينطلي بالکفر البوح : كوصف القرآن بأنه خراء (نص ١٣) ، ووصف الله بعدم الإدراك (نص ٢١) والفشل (نص ٢٩) ، وترکم المشاكل عليه (نص ٣٢) . والنص الذي تكرر كثيراً : خرا بربك .. وكذلك إضافة الشراميط إلى الله (نص ٦٦) . ومن هذه النصوص ما يزري برسول الله ﷺ ، ويعرض به ، ويُسخر من واقعه شق الصدر ، ومن سنته ﷺ في الزواج (نص ١٦ ، ٤٤) .

ومنها ما يُسخر من المساجد ، ويضعها في سياق يسىء إليها .. ويصف الفجور بالطهر ، والدعارة بالمقيدة ، ويجعل من الزنى سبيل نقاء وتطهير .

ومنها ما ينکر الغيبيات أو يُسخر منها كالآخرة والجنة والنار (نص ٣٦) . ويُسخر من أولياء الله الصالحين ، وما أعده الله لهم من نعيم (نص ٣٠) .

ومنها ما يستهين بالألوهية بإضافة أسماء أو صفات سيئة لله ، والإعراض عن الوحدانية بالحديث في مواضع كثيرة عن «الآلهة» (نصوص : ١٣ ، ١٠ ، ٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٥) .

وكثير منها يحل الحرام كالتعري والزنى ، واللواط ، وشرب الخمر (نص : ٢ ، ٤٧ ، ٣٦ ، ٥٦ ، ٦٥) .

٣ - وبعض هذه النصوص يقطع بفقر الكاتب في الثقافة الدينية بعامة ، والقرآن والحديث بصفة خاصة . ومن مظاهر ذلك الخطأ في نصوص الآيات والسنّة ، وعرض بعض الحكم على أنها آيات قرآنية (نصوص : ١٢ ، ١٦ ، ٤٤ ، ٦٤) .

ولا يستساغ الدفاع عن الكاتب بأنه قصد إلى ذلك قصداً ليؤكّد خروج هذه الشخصيات على الطوابع الدينية .. ومثل هذا الدفاع مرفوض لأنّه لا دليل عليه ،

كما أن استعمال الأساليب الغالطة - وخصوصاً إذا كانت نصوصاً مقدسة - لا يعترف بها أحد كآلية فنية في رسم الشخصيات ، أو إضاعة المواقف ، أو إدانة واقع معين ، وإلا لجاز مثلاً أن نستسيغ حواراً ساقطاً لغوياً ونحوياً في سياق الرواية إذا كان جارياً على لسان مدرس لغة عربية هابط المستوى ، سطحي الثقافة . ثم إن الأسلوب - بصرف النظر عن مضمونه الفكري - منسوب إلى كاتب الرواية يستوى في ذلك السرد والحوار بكل أنواعه .

٤ - النصوص التي عرضناها مستلة من سياقها بحدٍ شديد ودقة بحيث تحفظ بعد اقتطاعها بمعناها ودلالتها . والاعتراض الذي يردد بعضهم - في سياق الدفاع عن الرواية - بأن هذه العبارات أخذت من سياقها على طريقة « ويل للمضلين » اعتراض ساقط لأن النص المقطوع محفوظ بمضمونه كما هو ، وكما كان في السياق . كما أن هذه هي طبيعة « الشواهد » في البحوث العلمية .. وإلا لقلنا الرواية مرة أخرى إلى الورق .. ثم إنهم ينهجون النهج نفسه في اقتطاع نصوص وعرضها للتدليل على « إسلامية » الرواية ( !! ) ، فهل المنهج الواحد حلال لهم ، علينا حرام !!

٥ - وبعد كل الذي قدمناه من النصوص الحيدرية المستلة بأمانة من روایته - سردها وحوارها - وكلها يمثل صدمة عدوانية للعرب .. والذوق .. والخلق .. والدين .. نذكر القاريء بحقيقة لا يختلف عليها اثنان وهي أن اللغة مرآة الواقع ، وفي غناها يكمن غنى الواقع .. وهي تجسد في فيوض مفرداتها ما يفيض به هذا الواقع .. ومن هذا المنطلق يلاحظ الدارسون أن اللغة في القطب المتجمد الشمالي ، وفي لغة قبائل الإسكيمو تحديداً غنية بمفردات الثلوج .. فهناك مئات من الكلمات التي تصف الثلوج وذراته وحباته وصفاً دقيقاً بالغ الأهمية والإثارة ، ولا يوجد مثل هذا الغنى في المفردات التي تصف الثلوج وتجلياته مثيل في اللغات الأخرى ، ولا يوجد لأغلب هذه الكلمات مقابل في اللغات الأخرى .. ويعبر هذا الغنى في نهاية المطاف عن الغنى في واقع الحياة الثلجية في منطقة القطب الشمالي ، ويما يمثل هذا في اللغة العربية وصف الصحراء والسيف في الماضي (١) .

(١) الدكتور علي وطفة : « المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية » - دراسة بمجلة عالم الفكر الكويtie ( ٢٤١ - ٢٨٠ ) - م ٢٧ - العدد ٢ - أكتوبر / ديسمبر ١٩٩٨ .

وأمام هذه الحقيقة قد لا نتعذر منطقه الصواب إذا زعمنا أن كاتب الرواية - وقد أرهقها بهذا السيل اللاذوقى واللاأخلاقي واللادينى من هذه الألفاظ والتركيب - كان مندفعا - بالوعى أو اللاوعى - أمام ضغط « معجم لغوى خاص » ، وهذا الإفراز اللغوى المنكود المروض يفتح المجال - فى سماحة - إلى دراسة شخصية حيدر بكل أبعادها ، وإنخضاعها لمدارس علم النفس الحديثة .

٦ - وأخيرا .. أشهد أن بعض اليساريين المعروفين « بالحادة اليسارية » مثل الأستاذ إبراهيم عيسى (الصحفى) - وله كتب وقصص تعرضت - وما زالت تتعرض لنقد مزء وهجوم شديد - رفض بشدة هذا « الإبداع الحيدرى » الساقط ، وما فيه من بذاء واهتراء ، وكتب مقالاً قوياً جداً بعنوان « ما كتبه حيدر حيدر لا علاقة له بحرية الإبداع » ، وما جاء فيه :

« ... هل من حق أحد أن يصف القرآن بالخراء؟! أجب .. انطق .. قل الحق وما تراه يرضي ضميرك .. لن تجد إلا إجابة واحدة .. لا .. ليس من حق أحد ... بل أرى من الواجب على المثقفين أمام روایة حيدر ، وما جاء فيها من وصف حقير للقرآن الكريم حتى لو على لسان كلب في الرواية .. وليس على لسان أحد أبطالها .. من الواجب علينا الاعتذار .. وليس الاستكبار ... » <sup>(١)</sup>.

ومن الذين دافعوا عن الرواية بحرارة ، وهاجم من عارضوها من أخذ عليها الانحراف اللغوى ، وتصدى المشاعر العامة ، مثل الأستاذ أحمد سلامه الذى أخذ على المؤلف أنه لم يتقن حرافية الأديب الذى يمكن أن تخنبه زلل الاصطدام بالمشاعر الدينية والأخلاقية السائدة فى مجتمعه . وهناك أساليب راقية فى الآداب العالمية ، عولجت فيها أصعب المواقف والشخصيات دون جموح أو تجاوز أو ابتذال . وكان حرياً بالمؤلف أن يراعى ذلك ويحترمه <sup>(٢)</sup>.

(١) أخبار الأدب - العدد ٣٥٧ - ٢٠٠٠/٥/١٤

(٢) أحمد سلامه من مقال له بعنوان : « وليمة لإهداى العقل » (ص ٨٢) من مجلة « وجهات نظر » - العدد ١٧ - السنة الثانية - يونية ٢٠٠٠

القسم الثاني

الرواية بين التحدى والتصدى

10  
11  
12  
13  
14  
15  
16  
17  
18  
19  
20  
21  
22  
23  
24  
25  
26  
27  
28  
29  
30  
31  
32  
33  
34  
35  
36  
37  
38  
39  
40  
41  
42  
43  
44  
45  
46  
47  
48  
49  
50  
51  
52  
53  
54  
55  
56  
57  
58  
59  
60  
61  
62  
63  
64  
65  
66  
67  
68  
69  
70  
71  
72  
73  
74  
75  
76  
77  
78  
79  
80  
81  
82  
83  
84  
85  
86  
87  
88  
89  
90  
91  
92  
93  
94  
95  
96  
97  
98  
99  
100  
101  
102  
103  
104  
105  
106  
107  
108  
109  
110  
111  
112  
113  
114  
115  
116  
117  
118  
119  
120  
121  
122  
123  
124  
125  
126  
127  
128  
129  
130  
131  
132  
133  
134  
135  
136  
137  
138  
139  
140  
141  
142  
143  
144  
145  
146  
147  
148  
149  
150  
151  
152  
153  
154  
155  
156  
157  
158  
159  
160  
161  
162  
163  
164  
165  
166  
167  
168  
169  
170  
171  
172  
173  
174  
175  
176  
177  
178  
179  
180  
181  
182  
183  
184  
185  
186  
187  
188  
189  
190  
191  
192  
193  
194  
195  
196  
197  
198  
199  
200  
201  
202  
203  
204  
205  
206  
207  
208  
209  
210  
211  
212  
213  
214  
215  
216  
217  
218  
219  
220  
221  
222  
223  
224  
225  
226  
227  
228  
229  
230  
231  
232  
233  
234  
235  
236  
237  
238  
239  
240  
241  
242  
243  
244  
245  
246  
247  
248  
249  
250  
251  
252  
253  
254  
255  
256  
257  
258  
259  
260  
261  
262  
263  
264  
265  
266  
267  
268  
269  
270  
271  
272  
273  
274  
275  
276  
277  
278  
279  
280  
281  
282  
283  
284  
285  
286  
287  
288  
289  
290  
291  
292  
293  
294  
295  
296  
297  
298  
299  
300  
301  
302  
303  
304  
305  
306  
307  
308  
309  
310  
311  
312  
313  
314  
315  
316  
317  
318  
319  
320  
321  
322  
323  
324  
325  
326  
327  
328  
329  
330  
331  
332  
333  
334  
335  
336  
337  
338  
339  
340  
341  
342  
343  
344  
345  
346  
347  
348  
349  
350  
351  
352  
353  
354  
355  
356  
357  
358  
359  
360  
361  
362  
363  
364  
365  
366  
367  
368  
369  
370  
371  
372  
373  
374  
375  
376  
377  
378  
379  
380  
381  
382  
383  
384  
385  
386  
387  
388  
389  
390  
391  
392  
393  
394  
395  
396  
397  
398  
399  
400  
401  
402  
403  
404  
405  
406  
407  
408  
409  
410  
411  
412  
413  
414  
415  
416  
417  
418  
419  
420  
421  
422  
423  
424  
425  
426  
427  
428  
429  
430  
431  
432  
433  
434  
435  
436  
437  
438  
439  
440  
441  
442  
443  
444  
445  
446  
447  
448  
449  
449  
450  
451  
452  
453  
454  
455  
456  
457  
458  
459  
460  
461  
462  
463  
464  
465  
466  
467  
468  
469  
470  
471  
472  
473  
474  
475  
476  
477  
478  
479  
480  
481  
482  
483  
484  
485  
486  
487  
488  
489  
490  
491  
492  
493  
494  
495  
496  
497  
498  
499  
500  
501  
502  
503  
504  
505  
506  
507  
508  
509  
510  
511  
512  
513  
514  
515  
516  
517  
518  
519  
520  
521  
522  
523  
524  
525  
526  
527  
528  
529  
530  
531  
532  
533  
534  
535  
536  
537  
538  
539  
539  
540  
541  
542  
543  
544  
545  
546  
547  
548  
549  
549  
550  
551  
552  
553  
554  
555  
556  
557  
558  
559  
559  
560  
561  
562  
563  
564  
565  
566  
567  
568  
569  
569  
570  
571  
572  
573  
574  
575  
576  
577  
578  
579  
579  
580  
581  
582  
583  
584  
585  
586  
587  
588  
589  
589  
590  
591  
592  
593  
594  
595  
596  
597  
598  
599  
599  
600  
601  
602  
603  
604  
605  
606  
607  
608  
609  
609  
610  
611  
612  
613  
614  
615  
616  
617  
618  
619  
619  
620  
621  
622  
623  
624  
625  
626  
627  
628  
629  
629  
630  
631  
632  
633  
634  
635  
636  
637  
638  
639  
639  
640  
641  
642  
643  
644  
645  
646  
647  
648  
649  
649  
650  
651  
652  
653  
654  
655  
656  
657  
658  
659  
659  
660  
661  
662  
663  
664  
665  
666  
667  
668  
669  
669  
670  
671  
672  
673  
674  
675  
676  
677  
678  
679  
679  
680  
681  
682  
683  
684  
685  
686  
687  
688  
689  
689  
690  
691  
692  
693  
694  
695  
696  
697  
698  
698  
699  
699  
700  
701  
702  
703  
704  
705  
706  
707  
708  
709  
709  
710  
711  
712  
713  
714  
715  
716  
717  
718  
719  
719  
720  
721  
722  
723  
724  
725  
726  
727  
728  
729  
729  
730  
731  
732  
733  
734  
735  
736  
737  
738  
739  
739  
740  
741  
742  
743  
744  
745  
746  
747  
748  
749  
749  
750  
751  
752  
753  
754  
755  
756  
757  
758  
759  
759  
760  
761  
762  
763  
764  
765  
766  
767  
768  
769  
769  
770  
771  
772  
773  
774  
775  
776  
777  
778  
779  
779  
780  
781  
782  
783  
784  
785  
786  
787  
788  
789  
789  
790  
791  
792  
793  
794  
795  
796  
797  
798  
798  
799  
799  
800  
801  
802  
803  
804  
805  
806  
807  
808  
809  
809  
810  
811  
812  
813  
814  
815  
816  
817  
818  
819  
819  
820  
821  
822  
823  
824  
825  
826  
827  
828  
829  
829  
830  
831  
832  
833  
834  
835  
836  
837  
838  
839  
839  
840  
841  
842  
843  
844  
845  
846  
847  
848  
849  
849  
850  
851  
852  
853  
854  
855  
856  
857  
858  
859  
859  
860  
861  
862  
863  
864  
865  
866  
867  
868  
869  
869  
870  
871  
872  
873  
874  
875  
876  
877  
878  
879  
879  
880  
881  
882  
883  
884  
885  
886  
887  
888  
889  
889  
890  
891  
892  
893  
894  
895  
896  
897  
898  
898  
899  
899  
900  
901  
902  
903  
904  
905  
906  
907  
908  
909  
909  
910  
911  
912  
913  
914  
915  
916  
917  
918  
919  
919  
920  
921  
922  
923  
924  
925  
926  
927  
928  
929  
929  
930  
931  
932  
933  
934  
935  
936  
937  
938  
939  
939  
940  
941  
942  
943  
944  
945  
946  
947  
948  
949  
949  
950  
951  
952  
953  
954  
955  
956  
957  
958  
959  
959  
960  
961  
962  
963  
964  
965  
966  
967  
968  
969  
969  
970  
971  
972  
973  
974  
975  
976  
977  
978  
979  
979  
980  
981  
982  
983  
984  
985  
986  
987  
988  
989  
989  
990  
991  
992  
993  
994  
995  
996  
997  
998  
999  
999  
1000

[١]

## تقرير اللجنة... ذلك العزف المنفرد

بقرار من الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة تشكلت لجنة لإعداد تقرير عن رواية « وليمة لأعشاب البحر » للكاتب السوري حيدر حيدر ، ورئيس اللجنة أو مقررها هو الدكتور عبد القادر القط ، وأعضاؤها هم الدكتور صلاح فضل ، والدكتور كامل زهيري ، والدكتور مصطفى مندور ، والدكتور عماد أبوغازي . ومع احترامي لأعضاء اللجنة ، لا يستطيع أحد أن يذكر أنهم من « مدرسة » واحدة ، أو على الأقل ذوو توجهات متقاربة جداً كأنهم يعزفون على وتر مفرد .. فلا تعددية في التقييم والتوجه والتوجيه .. فالمقام الأول « للتماثل » لا « التكامل » ، يقطع بهذا أن التقرير يسير من أوله إلى آخره وليس فيه مأخذ واحد يسجله على الرواية .. وهذا من أعجب العجب .. لأن هذا يعني - لا أنها مبرأة من العيوب فحسب - بل أنها تقف على قمة الأعمال الروائية العربية .. مع أن الذين عايشوها وتعمقوها ، وقدموا فيها دراسات وافية سجلوا عليها مأخذ تعيبها .. ومن هؤلاء - كما ذكرنا من قبل - الدكتور على الراعي .. ومحمد أمين العالم <sup>(١)</sup> .

وإعطاء الرواية هذه المكانة الراقية في تقرير رسمي انتظره الجميع يعد تردیداً مفصلاً لوجهة النظر الحكومية المتمثلة في وزارة الثقافة ، وفي وزيرها فاروق حسني ، وكنا نتمنى أن نرى في اللجنة رجالاً مشهوداً لهم بالعلم الموسوعي ، والخلق الرفيع ، والاعتدال والوقار من أمثال أستاذنا الدكتور مصطفى الشكعة ، وشيخ النقاد الدكتور شوقي ضيف .

(١) وانظر ما أحده الدكتور فؤاد زكريا على تقرير اللجنة في مقاله « حقائق غائبة في قضية وليمة » (ص ٥٦ ) من مجلة المصور - العدد ٣٩٤٥ - ٢٠٠٥/١٩

و قبل أن أقدم وجهة نظرى فى تقرير اللجنة أقرر أن الآلاف الذين ظاهروا ضد الرواية و ضد من نشروها فى جامعة الأزهر لم يقرعوا الرواية .. وهذا لا يعيبهم .. ومن المستحيل أن نطلب منهم أن يقرعوا رواية من سبعمائة صفحة فى أيام يستعدون فيها للامتحانات .. وهم اعتمدوا فى ثورتهم على ما قرعوه من عدد كبير من صفحاتها - مصورة - فى صحيفة الشعب .. وهى نصوص مأخوذة من أحشاء الرواية دون اجتزاء واقتطاع يخل بالمعنى .. فهى « نماذج » كاملة ، من صفحات متباينة تدل على طبيعة الرواية ، ومضمونها الفكرى لرواية لا تكاد صفحة من صفحاتها تخلى من لطمة للذوق ، أو الخلق ، أو الدين .. وأذكر الأساتذة الكبار أننا - فى تدريستنا الجامعى - نعتمد على « نماذج نصية » مختارة من الإبداع للحكم على أدب المبدع .. بل طبيعة العصر .. فلا ظلموا طلاب الأزهر ، فيما قاموا به حق طبيعى من حقوق التعبير ، ولم يكن « زوبعة فى فنجان » كما وصفه واحد من التنويريين جداً .. بل إنه حق كسبين كبيرين :

**الأول :** أنه أثبت أن الوعى资料ى الشعبي - وخصوصاً عند الشباب - لم يمت ، وأن العاطفة الدينية ما زالت طاقة قوية لها وجودها وتأثيرها وقدرتها على التوجيه .  
**الثانى :** أنه كتب الاندفاع المنطرف المستهين بالقيم والمشاعر فى وزارة الثقافة ، وجعل المسؤولين فى هذه الوزارة يتقطعون أنفاسهم ، ويراجعون أنفسهم وخططهم ، ويعملون اعتباراً للآخر .. ورأى الآخر .. وأصبح هو نفسه اتجاه الهيئة المصرية العامة للكتاب .. وقد صرخ مسئول بالهيئة العامة لقصور الثقافة بأن كل الكتب التى كانت على قائمة الطبع فى الهيئة وسلسلتها المختلفة قد تم إرجاؤها وتأجيلها لحين النظر فيها مرة أخرى ، وتم استبدالها بكتب كانت مؤجلة من قبل <sup>(١)</sup>.

\* \* \*

وفي وقفتنا مع تقرير اللجنة نقدم وجهة نظرنا في السطور الآتية :

١ - يذكر التقرير أن وظيفة الرواية هي نقد الحياة ، وتعزيز الوعى الجمالي بها ، وهذا يتضمن :

---

(١) انظر التفصيل : (ص ٧٦ ، ٧٧ ) من روزاليوسف - العدد ٣٧٥٥ - ٢٠٠٠/٥/٢٧

(أ) المحافظة على حرية التخييل من ناحية .

(ب) قوة التعبير الفنى وصدقه من ناحية أخرى .

وهي أمور لا نخالف التقرير فيها .. ولكن التفسير يقتضينا القول بأن تكون الحرية - بالنسبة للعناصر الروائية كلها - حرية منضبطة ، منزهة عن الفوضوية ، والسفول .. فلا يتورط الروائى مثلاً فى خيال مريض يشير التقزز والعثيان .. كتصوير حيدر لفلة بوعناب وهى تخرج من مؤخرتها ريحًا ذات رنين<sup>(١)</sup> ، أو هى تمارس بالقلم شهوتها أى العادة السرية (الاستمناء) وهى تعن وتهذى وهى عارية تماماً أمام مهيار الباھلی<sup>(٢)</sup> . وذلك للتدليل على استهتارها ، وشهوانيتها العاتية .

فمثل هذا الخيال المريض لا علاقة له بالأدب الروائى ووظيفة « نقد الحياة » وتعزيق الوعى الجمالى بها » .

أما الأداء التعبيرى فى رواية حيدر ، وعلاقته بالشخصيات فى الحوار الذى جرى على ألسنتها ، وعلاقته « بالواقعية » وحظه من المصداقية فقد عرضنا بالتفصيل فى القسم الأول من هذا الكتاب .

٢ - ومجمل التقرير يدعى بل يلزم - حتى يصح الحكم على الرواية - أن تقرأ قراءة من نوع خاص يمكن أن نسمىها قراءة أدبية ، لا قراءة دينية .. أى بعيداً عن الدين وأحكامه .. فهذه القراءة الأدبية هي التي تقود إلى النتائج السديدة بعيداً عن الانحياز والخطأ وهذه المقوله هي عين الخطأ للأسباب الآتية :

(أ) القراءة لا تقسم على هذا الأساس .. لأن ذلك يتعارض مع طبيعة الأشياء .. وإلا لكننا أمام عدد لا يحصى من القراءات : ( قراءة دينية ، وأخرى أدبية .. وثالثة علمية .. ورابعة اجتماعية .. وخامسة تاريخية .. وسادسة تراثية .. سابعة أيديولوجية ... إلخ ) وكل أولئك أو بعضه من مضامين مختلفة يدرك بالقراءة ، ويستخلص من النص تبعاً لطبيعة البحث الذى يقوم به القارئ .

(ب) وعلى فرض وجود هذين النوعين : أدبية ودينية فإن اتهام التنويريين للقراءة الدينية بالقصور والتشدد وضيق الأفق لآحاديتها يمكن أن يوجه « للقراءة

(١) « الوليمة » (٤٦٠) .

(٢) « الوليمة » (٢٠٧) .

الأدبية » لأنها أيضًا قراءة آحادية .. وخاصعة لمذهبية نقدية معينة في الغالب .. وإذا اهتمت « الدينية » بالتعصب والجمود فبالقابل يمكن اتهام « الأدبية » بالتفريط في معطيات الدين والقيم والأخلاق .

(ج) والقراءة المثالية التي تقود إلى الحكم الصحيح على المقصود هي « القراءة الشمولية المستوعبة » . وهي تلك التي دعا إليها كثير من النقاد المشهورين ، ومنهم « رشارد » في كتابه القييم « مبادئ النقد الأدبي » فقد ذهب إلى إن كل الأنواع الأدبية تحتاج في قراءتها الصحيحة إلى إدخال جميع القيم العامة التي ليست هو شخصيًّا من القارئ نفسه .. يجب أن يقبل عليها القارئ بكل فكره وحسه ووعيه الفني والخلقي والثقافي والديني ، وألا يجعل شيئاً يحول بينه وبينها ، وألا يتعدى إغلاق جزء من نفسه وتكونه عند قراءتها .. أما إذا حاول أن يتجاهل جميع الاعتبارات ما عدا تلك العناصر الجمالية المزعومة فإنه ينتهي إلى برج عاجي يعزل فيه عن حقيقة الحياة » <sup>(١)</sup> .

وعلى سبيل الاستطراد أذكر الذين يهاجمون « المداخل الدينية » ، ويصفونها بالترمت بأن الناقد الكبير ت.س. اليوت في كتابه « نحو تعريف الثقافة » انتهى إلى أن المسيحية هي الأساس الموحد ، والقوة الموجهة للثقافة الإنجليزية خاصة .. والأوروبية بوجه عام .. بل يقدم - في هذا الكتاب قاعدة عامة لتحديد مفهوم كل ثقافة ، هذه القاعدة هي الدين <sup>(٢)</sup> .

وفي بحثه القيم عن الرواية يذكرنا الدكتور سليم العوا بطبيعة الأمة المصرية فيرى أن الذين يذهبون إلى أنه لا يجوز الحكم على العمل الأدبي إلا من المنظور الأدبي فقط ، وأننا لا يجوز أن « ندين » النظر في العمل الأدبي ينسون أن الأمة المصرية أمة متدينة ، لا يقبل مسلموها ولا أقباطها فصل دينهم عن حياتهم ، ولا يريدون مورداً يتناهى وروده مع نواهي الدين ، أو يتضاد مع أوامره .. وحكم « الحلال والحرام » في كل ثقافة في الدنيا هو حكم ديني ، وليس حكماً أدبيًّا أو فنيًّا .. فإذا أخرجنا الدين - كما يريدون - من معايير الحكم على الفن والإبداع والأدب فقدنا مرجعية هذا الحكم أصلاً ، وأبحنا لمن شاء أن يقذف في حياتنا

(١) « مبادئ النقد الأدبي » (ص ١٠٧) .

(٢) انظر محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس : « في الثقافة المصرية » (٢٥) .

الثقافية بما شاء ، وصارت هذه الحياة - الثقافية - فوضى لا ضابط لها ، يختلط  
الحابل فيها بالنابل ، والغث بالسمين ، وكفى بذلك فتنه وفساداً<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

ولأمانة البحث واستيفائه نذكر في هذا المقام أن من كبار النقاد القدامى من  
فصل في نقهء بين الدين والشعر ، ولم يتخد من الدين معياراً لتقدير الشعر .. ومن  
هؤلاء القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى الذى يقول عن المتنبى : « والعجب من  
ينقص أبي الطيب ، ويغض من شعره لأبيات وجدتها تدل على ضعف العقيدة ،  
وفساد المذهب فى الديانة ... فلو كان فساد الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر لوجب أن  
يحيى اسم أبي نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات .. ولكن  
الأمرین متباینان ، والدين بمعزل عن الشعر »<sup>(٢)</sup>.

وينقل أبو هلال العسكري عن أحد الفلاسفة أنه قيل له : « فلان يكذب في  
شعره ، فقال : يراد من الشاعر حسن الكلام ، والصدق يراد من الأنبياء - عليهم  
الصلوة والسلام »<sup>(٣)</sup>.

ومن قدامى النقاد من يرى أن الصلة قوية بين الدين والخلق وبين الشعر ، ومن  
هؤلاء الأصماعى ، فقد أبدى استحسانه لشعر الحطيئة ، ولكنه يقول بعد ذلك :  
« أفسد مثل هذا الشعر الحسن بهجاء الناس ، وكثرة الطمع »<sup>(٤)</sup>.

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : « ما أحد أحب إلى شعراً من لميد بن ربيعة  
لذكره الله عَزَّ وَجَلَّ وإسلامه ، ولذكره الدين والخير ... »<sup>(٥)</sup>.

وعن شعر أبي نواس يقول : « لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الإرافات  
لاحتيجنا بشعره ، لأنه كان يحكم القول ، ولا يخلطه »<sup>(٦)</sup>.

(١) « أعشاب وطحالب في حياتنا الثقافية » (٢٤ - ٢٧) دراسة للدكتور محمد سليم العوا في  
مجلة : وجهات نظر - العدد ١٧ السنة الثانية - يونية ٢٠٠٠

(٢) « الوساطة بين المتنبى وخصومه » (٦٣ ، ٦٤) .

(٣) « كتاب الصناعتين » (١٥٥) . (٤) « الأغانى » (٥٨٨/٢) .

(٥) المرزبانى : الملوش (١٠٠) . (٦) ديوان أبي نواس : المقدمة .

والنصوص التي تمثل النهجين النقدين المتناقضين ، واستقراؤها يضع أيدينا على الحقائق الآتية :

(أ) أن أحكامها كلها لم ت تعد دائرة الشعر إلى غيره من الأجناس الأخرى كالرسالة والخطبة التي هي من إملاء الوعي .

(ب) أن الذين رفضوا المعيار الديني في نقد الشعر كان نصب عيونهم نماذج عالية من الشعر العربي في نسجها وخيالها ، وأدائها التعبيري ، فعز عليهم أن يُرفض هذا الإبداع بسبب مخالفته محتواها للدين والخلق ، وكأنهم أرادوا أن يقولوا : إن هذا الشعر له - من حساب النقط - ما يشفع له في خروجه على بعض مقتضيات الدين والخلق والأعراف .

ومن ثم نرى أن الدفاع عن روایة حيدر وما فيها من سقوطات لا دينية ولا أخلاقية بمقولة أن من القدماء من عزل الدين في مجال التقييم الفني .. نرى أن هذا الدفاع غير موفق للأسباب الآتية :

(أ) أن هذا الرأى لا يلزمـنا ، وخصوصاً أنه يمثل خروجاً على الأصل في أمة مسلمة رسم القرآن فيها صورة الشعـراء كما يجب أن تكون ، فـهم مبرعون من الغواية والنفاق والكذب ، وهم من : ﴿... الـذـين ظـاهـرـوا وـعـمـلـوا الصـالـحـات وـذـكـرـوا اللـهـ كـثـيرـاً وـأـنـتـصـرـوا مـن بـعـدـ ما ظـلـمـوا ...﴾<sup>(١)</sup>.

والرواية من عمل العقل الواعي ، وعليه أن يزن الأمور بميزانها الصحيح .

(ب) أن روایة حيدر ليس فيها من عظمة الفن بناء وتصويراً وتعبيرًا ما يعوضها عن عبارات السقوط اللاديني واللاخلاقي . ورأينا أن ما فيها من هذا اللون نصوص تعدد على أصابع اليد الواحدة أمام نصوص بالمئات تناقض العروبة .. والذوق .. والخلق .. والدين .. وقد عرضناها في ختام القسم الأول من الكتاب .

(١) سورة الشعراء ، الآية (٢٢٧) (٢٠٠).

٣ - جاء في التقرير بالحرف الواحد :

« ومن هنا فإن ما نسب إلى الرواية من بعض العبارات التي يبدو في الظاهر أنها يمكن أن تمس شعور القارئ غير المدرب لما يظن أنه مساس بالدين ، أو طعن في القرآن الكريم ، أو تعريض بحياة الرسول ﷺ فهو من قبيل سوء فهم الفن الروائي ، وتحريف عباراته ، وانتزاعها من سياقها ، وتجاهل ما يرد في النص ذاته من رد عليها من شخصيات مخالفة والشاهد المشار إليها على وجه التحديد هي ... » .

وبصرف النظر عما في العبارة من التواء فإنها تتهم من يظن ، أو يعتقد أن بالرواية عبارات تمس الدين وتطعن في القرآن الكريم وشخصية الرسول ﷺ .. تتهم من يظن أو يعتقد ذلك :

- بأنه قارئ غير مدرب !!

- وأنه سيء الفهم للفن الروائي !!

- وأنه حرف العبارات وانتزاعها من سياقها !!

- وأنه تجاهل ما في الرواية من رد عليها من شخصيات مخالفة !!

وظهر ما في العبارة من شعور بالاستعلاء والفوقية نرفضه تماماً .. ولكن دعك من هذا .. ودعنا نسأل : هل الذين اعتقادوا وصرحوا وجزموا أن الرواية غاصبة عبارات تخدش الحياء والخلق ، وتصدم قيم الدين ومبادئه ومن هؤلاء الدكتور مصطفى الشكعة ، والدكتور عبد الغفار مكاوى ، والدكتور محمد عبد المطلب ، والدكتور يوسف نوفل ، والدكتور محمد سليم العوا ، والدكتور محمد عمارة ... هل هؤلاء قراء غير مدربين ؟ وهل هؤلاء سيئون الفهم للفن الروائي ، ومنهم من يدرس هذا الفن لأبنائنا في الجامعات !!؟

ومسألة انتزاع النصوص من السياق نكتة أخرى !! هل كانت اللجنة تريد - في مقام إدانة الرواية بتقديم نماذج نصية منها - هل كانت اللجنة تريد - حتى تتحقق « الأمانة » بفهمها أن ينقل الناقد الرواية كلها ؟ إن المهم هو أن يكون « النموذج » واقفاً بالغرض ، وأن يكون اقتطاعه من الرواية غير مخل بضمونه .. ثم إن اللجنة فعلت ما نهت الآخرين عنه ، فقدّمت شواهد مقطعة من الرواية كما

فعلنا نحن .. ولكننا لم نلجم إلى التزوير الذي لجأ إليه حيدر .. وقد عرضنا ذلك في ردنا عليه .. إذ أسقط جزءاً من أحشاء نص دافع به عن نفسه ، ووقع كثيرون من التنويريين جداً في الفخ ، فنقلوا النص المزور من الصحف ، ولم ينقولوه كاملاً من الرواية .

\* \* \*

ثم أين الردود يا لجنة !! لقد عرضت ما اعتبروه ردًا في مسألة (الحراء والنقطة وعلامة التعجب ) ، وبينت أنه لا يصلح أن يكون ردًا ، وقد قدّمت في ختام القسم الأول من هذا الكتاب في أكثر من عشرين صفحة « معجم السقوط الحيدري ) ، ولو دلني أحد على ما يسمى ردوداً لحذف هذه الصفحات من الكتاب .

ثم ما قول اللجنـة في عبارات السقوط الـلـاخـلـقـي والـلـادـيـنـي الـوارـدـةـ فيـ السـرـدـ  
 - لـافـيـ الـحـوارـ - هـلـ هـنـاكـ مـنـ رـدـ عـلـيـهـ ؟

ثم إنـيـ مـسـاـيرـ اللـجـنـةـ فـيـ أـنـ هـنـاكـ «ـ رـدـوـدـاـ »ـ عـلـىـ عـبـارـاتـ السـقـوـطـ هـذـهـ - وـأـنـهـاـ  
 وـرـدـتـ فـيـ روـاـيـةـ بـالـعـشـرـاتـ - وـأـسـأـلـ :ـ أـلـاـ يـضـعـفـ ذـلـكـ مـنـ حـكـمـةـ روـاـيـةـ ،ـ وـيـنـالـ  
 مـنـ فـنـيـتـهـ ،ـ لـأـنـهـ تـكـوـنـ حـيـثـنـدـ أـقـرـبـ إـلـىـ «ـ فـنـ الـمـنـاظـرـ »ـ مـنـهـاـ إـلـىـ «ـ فـنـ  
 روـاـيـاتـ »ـ !!ـ عـلـمـاـ بـأـنـ اللـجـنـةـ تـتـهـمـ مـنـ يـعـارـضـ روـاـيـةـ بـأـنـهـمـ «ـ سـيـئـوـ الـفـهـمـ لـلـفـنـ  
 روـائـيـ »ـ !!

\* \* \*

ولـلـأـسـفـ أـرـىـ فـيـ التـقـرـيرـ «ـ تـزـوـيرـاـ فـيـ التـعـدـادـ »ـ كـنـتـ أـجـلـ أـعـضـاءـ اللـجـنـةـ  
 الـمـوـرـقةـ عـنـ الـوـقـوعـ فـيـهـ ..ـ فـقـدـ ذـكـرـتـ أـنـ الـمـاـشـاـدـ الـتـىـ يـحـتـمـلـ أـنـ يـظـنـ الـقـارـئـ غـيـرـ  
 الـمـتـمـرـسـ أـنـ فـيـهـ إـسـاعـةـ إـلـىـ الـخـلـقـ وـالـدـيـنـ ثـلـاثـةـ ..ـ أـقـولـ :ـ ثـلـاثـةـ عـلـىـ سـبـيلـ الـحـصـرـ ..ـ  
 وـفـيـ تـعـسـفـ وـاضـحـ ،ـ وـاقـتـعالـ غـيـرـ مـقـنـعـ حـاـوـلـ التـقـرـيرـ الدـفـاعـ عـمـاـ فـيـهـ مـنـ عـدـوانـ  
 عـلـىـ الـدـيـنـ وـالـخـلـقـ ..ـ وـقـدـ عـرـضـنـاـ عـشـرـاتـ -ـ لـأـلـثـلـاثـةـ -ـ مـنـ هـذـهـ الـمـوـاـقـفـ وـالـعـبـارـاتـ  
 الـعـدـوـانـيـةـ ،ـ كـمـاـ عـرـضـنـاـ الـمـوـاـقـفـ وـالـعـبـارـاتـ الـتـىـ تـسـاـيـرـ الـدـيـنـ وـتـمـجـدـهـ وـهـىـ لـاـ تـعـدـىـ  
 خـمـسـاـ ،ـ جـعـلـنـاـ عـنـانـهاـ «ـ قـطـرـاتـ عـذـبةـ فـيـ بـحـرـ الـظـلـمـاتـ »ـ وـهـوـ عـنـانـ يـدـلـ دـلـالـةـ

قوية على طبيعة هذه المشاهد ، ومكان هذه العبارات بالنسبة للعبارات المناقضة في السياقة الروائية .

وحتى يدرك القارئ ما في التقرير من تحيز وتعسف وافتعال أنقل منه - في مقام دفاعه عن المأثم الحيدرية السطور الآتية بالحرف الواحد :

« أما المشهد الثالث فهو غزلى عايش يدور بين مهدى جواد - المدرس الشيوخى - وتلميذته التى تتحول إلى عاشقة .. ويضى هكذا : تجذبه آسيا من شعره ، فيلتقي بصرابها .

- أنت لي .. هاه .. عليك أن تفهم ذلك منذ الليلة .. ويضحك .. أنفها الكبير المفلطح يواجهه .. يقرص أنفها .

- لكن أنفك هذا سيعرض مستقبلنا .

- هو من صنع ربى .. لماذا تسخر منه؟!

- لا بد أن ربك فنان فاشل إذن .

ونلاحظ على هذا المشهد ثلاثة أمور :

أولها : أنه يأتي على سبيل الدعاية وروح الفكاهة في لحظة غزلية بعيدة عن الجد .. ومن شأن الأدب في هذه المواقف أن يتظرف بعبارات غير لائقة تأتي على لسان الشخصيات الملائمة لها .

ثانيها : أن الفتاة تحاول التخلص من عيبها الخلقي في فلطة الأنف بسببيه إلى ربها على الطريقة الجزائرية في العامية الدارجة .. وهو يلتقط منها الخطيط ليدين تصورها لربها لا ربه هو .. ولا الذات الإلهية .

ثالثها : أن موقف القراء من مثل هذه العبارات يتوقف على مدى شعورهم بالخرج والتحفظ ، أو الاكتفاء بإدانة الشخصية المتخيصة من سوء تعبير » .

قرأت هذا فشعرت كأنه كلام كتب لغير عرب يتكلمون العربية ، ويعرفون أدبها ، وكدت أشك في معلوماتي الأدبية بعد أكثر من نصف قرن في معايشة الأدب درساً وتدريساً .. تعلمًا وتعليمًا .. فال்�تقرير يصدر حكمًا حاسماً لم أسمع به من قبل ، وما قرأت مثله ، ولا ما يقاربه في المعنى من قبل « .. من شأن الأدب في

هذه المواقف ( مواقف الغزل أن يتظرف بعبارات غير لائقة تأتي على لسان الشخصيات ... ) .

أى أدب تعنى اللجنـة ؟ ومن أين أتـى هذا التعمـيم ؟ ولـمـاذا غير لـائـقة ؟ !  
وهل كلام الفتـاة آسـيا بـلـخـضـرـ مـحـاـولـه « تـخلـصـ » من عـيـبـهاـ الخـلـقـيـ ؟ كـيفـ  
يـكـونـ هـذـاـ التـخلـصـ مـنـ عـيـبـ خـلـقـيـ ثـابـتـ ؟ أـلـيـسـ أـدـقـ أـنـ يـقـالـ : « تـدـافـعـ »  
عـنـ عـيـبـهاـ الخـلـقـيـ ؟ وـهـلـ نـسـبـهـ هـذـاـ عـيـبـ إـلـىـ الـربـ طـرـيـقـةـ جـزـائـرـيـةـ فـيـ الـعـامـيـةـ  
الـجـزـائـرـيـةـ ؟ !

وهـنـاـ ثـلـاثـ غـلـطـاتـ يـاـ لـجـنـةـ :

الـغـلـطـةـ الـأـوـلـىـ : أـنـ نـسـبـهـ عـيـبـ إـلـىـ الـربـ لـاـ يـشـلـ خـصـوصـيـةـ جـزـائـرـيـةـ .. بـلـ  
يـكـادـ يـكـونـ نـهـجـاـ عـاـمـاـ فـيـ كـلـ شـعـوبـنـاـ ، وـنـحنـ فـيـ مـصـرـ نـقـولـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـحـالـ :  
« دـاخـلـقـةـ رـبـنـاـ » .

وـالـغـلـطـةـ الثـانـيـةـ : أـنـ كـلامـ آـسـياـ لـمـ يـكـنـ بـالـعـامـيـةـ الجـزـائـرـيـةـ كـمـاـ ذـكـرـتـ الـلـجـنـةـ ..  
وـلـكـنـ كـانـ بـالـعـربـيـةـ الـفـصـيـحـةـ .

وـالـغـلـطـةـ الثـالـثـةـ : فـيـ وـصـفـ الـعـامـيـةـ بـأـنـهـ « دـارـجـةـ » ، لـأـنـ الـعـامـيـةـ عـامـيـةـ ..  
وـالـفـصـيـحـةـ تـوـصـفـ بـأـنـهـ « دـارـجـةـ » إـذـاـ كـانـتـ سـهـلـةـ وـاضـحـةـ مـبـاـشـرـةـ كـلـفـةـ الصـحـافـةـ .  
وـوـقـعـتـ الـلـجـنـةـ - بـحـسـنـ نـيـةـ - دـوـنـ أـنـ تـقـصـدـ طـبـعـاـ - فـيـ التـشـلـيـثـ : رـبـهاـ -  
رـبـهـ - الـذـاتـ إـلـهـيـةـ .. وـالـكـلـمـاتـ الـثـلـاثـ - مـعـ تـعـدـدـ ضـمـاءـ إـلـضـافـةـ - لـاـ تعـنيـ  
إـلـاـ وـاحـدـاـ فـقـطـ هـوـ « خـالـقـ » ، وـأـعـتـقـدـ أـنـ الـلـجـنـةـ لـاـ تـخـالـفـ فـيـ هـذـاـ .. وـلـاـ خـطاـ  
وـلـاـ ضـيـرـ وـلـاـ جـورـ عـلـىـ « فـنـيـةـ » الـحـوارـ إـذـاـ اـسـتـبـدـلـنـاـ كـلـمـةـ « خـالـقـ » بـكـلـمـةـ « رـبـ » ،  
وـيـكـونـ الـحـوارـ بـالـصـورـةـ الـآـتـيـةـ :

- لـكـنـ أـنـفـكـ هـذـاـ سـيـعـتـرـضـ مـسـتـقـبـلـنـاـ .

- هـوـ مـنـ صـنـعـ خـالـقـ .. لـمـاـذـاـ تـسـخـرـ مـنـهـ ؟

- لـاـ بدـ أـنـ خـالـقـكـ فـنـانـ فـاـشـلـ إـذـنـ .  
وـتـأـتـيـ مـسـأـلـةـ « خـيـطـ » هـذـهـ لـتـزـيدـ الطـيـنـ بـلـةـ ، إـنـهـ فـيـ رـدـهـ عـلـيـهـاـ لـاـ يـدـيـنـ  
تـصـورـهـاـ لـرـبـهـاـ ( خـالـقـهـاـ ) وـلـكـنـ إـلـادـةـ - بـنـطـوقـ الـكـلـامـ - مـنـصـرـةـ إـلـىـ رـبـهـ ..

فالمسألة ليست تصوّراً .. ولكنها واقع .. ولو أراد إدانة تصورها لجاء كلامه بالصورة الآتية :

- إن تصورك هذا يعني أن ربك فنان فاشل إذن .

وحتى لو فعل ذلك لظلت العبارة تدل على سوء أدب ، وعدوان على عقيدة الأمة .

ولماذا لا تخلو الدعاية وروح الفكاهة في أوقات الغزل وغيرها إلا بالتلاعب باسم الله وصفاته ، ومعطيات الدين ، وواقع الحياة النبوية !؟ .. إن هذا الهج يذكرني بسلوك المنافقين ومنطقهم في التبرير .. كانوا يغتابون النبي ﷺ وأصحابه يقولون :

« يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها .. هيهات له ذلك » .

ويقولون عن النبي ﷺ و أصحابه :

« ما رأينا مثل هؤلاء أرغم بطنوا ، ولا أكذب أستأنا ، ولا أجبن عند اللقاء » .

فإذا ما عاتبهم الرسول ﷺ ، وواجههم بما قالوا ، أجابوا :

إنما كما نخوض ولنلعب .. أى ما قلنا ذلك إلا على سبيل الهزيل والتفكه ..

وليس على سبيل الجد !!

وقد أدانهم الله سبحانه وتعالى بقوله :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُضَ وَنَلْعَبَ قُلْ أَبِإِلَهٍ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

وثمة ظاهرة في هذا التقرير ، وفي المقالات التي كتبها التنويريون جدًا ، وفي الأحاديث التي يصرخون بها ، وهي اللواذ بمقدمة « الخيالية » .. إنهم يرفعون ورقتهم ، ويصرخون في الوجوه : إنها شخصيات خيالية .. أن حاسب شخصيات خيالية مخترعة ، على كلام خيالي مخترع يجري على ألسنتها ؟ وقد ردنا على هذه المقدمة في صفحات سابقة أكثر من مرة .

وما قلناه : إن المسئولية الأولى تبقى معصوبة برأس كاتب الرواية .. لأنه

(١) سورة التوبة ، الآية (٦٥) . وانظر للواحدى : « أسباب النزول » (٢٠٥) ، وللسيوطى : « لباب التقول في أسباب النزول » (١١٥) .

يتصرف بوعي كامل ، ويختار شخصياته ، ويجرى على ألسنها ما يشاء من كلمات .. لا ما تشاءه هي .. وفي أساليب العربية ما كان يمكنه من أداء أفكاره ومعانيه دون السقوط في مستنقع العنف الغوغائي ، ولغة الدعاارة والشواذ .. وكل ذلك دون الإساعة إلى البناء الفني للرواية .. بل يحقق للرواية قيمة فنية كبرى درامياً .. وتصويراً وتعبيرًا .

ولكن حيدر كان حريصاً على « إثبات وجوده » و « تحقيق ذاته » بما لم يأت غيره بهشه من قبل .. فهو يتحدث عن نفسه - في استعلاء - على أنه أجرأ من اقترب ، وعالج المحرمات الثلاثة : الدين والسياسة والجنس .. ويقول : إن الاقتراب للكتابة في هذه المسائل يحتاج إلى جرأة لا توافر في أى أديب آخر غيره <sup>(١)</sup> .

ويدعوى « الخيالية » يمكن أن تنقض عرى الدين عروة فيأتي كاتب روائي آخر ويتبنى آراء المستشرقين والمبشرين في القرآن والرسول ﷺ وقواعد الإسلام في الأسرة والحياة الاجتماعية . ويعرضها على دفعات في أعمال روائية محبوبة ، والحوار يدور على ألسنة شخصيات خيالية مخترعة ، ولا مانع أن يجعل بعض المشاهد على هيئة « أحلام » .. فإذا ما اعترض على مضمون الرواية كان الجواب جاهزاً « إنها شخصيات خيالية لا وجود لها في الواقع .. فهل الخيال يحاسب عليه؟! وهل الأحلام تقع تحت طائلة العقاب؟!

إذا ما علا صوت المعارضين أو « الظلاميين » ، شهر « التنويريون جداً » الورقة الثانية ، وصرخوا .. هذا فن .. فن ، ودعواكم دعوى دين .. ولا دخل للدين بالفن .. ويقفز إلى ذهني واقعة المرأة الصهيونية المجرمة في إسرائيل التي رسمت صورة « خنزير » وكتبت عليها اسم رسولنا الكريم ﷺ .. وهاج العرب والمسلمون فألقت السلطات الإسرائيلية القبض عليها ، فكان دفاعها عن نفسها يعتمد على أن هذا فن .. مجرد فن .. رسم .. عبرت به عن نفسي .. وهو دفاع لا يختلف في جوهره عن الدفاعات الحيدرية ... دفاعاته عن نفسه ، ودفاعات التنويريين جداً عنه !!

(١) من حديث حيدر نشر في أخبار الأدب - العدد ٣٦٦ ص ٩

وما المانع - باسم الفن الحصّن ضد تدخل الدينى - أن يكون امتحان الرسم  
في السنة النهائية بالمرحلة الإعدادية : بالصيغة الآتية :

تعمل حكومتنا الرشيدة لمصلحة الأمة ونفعها وتقدمها ، مع اختلاف الوزراء  
في الطياع والصفات :

تَخْيِئُ ثلَاثَةٍ حَيْوَانَاتٍ نَافِعَةً ، وَارْسَمُهَا ، وَاكْتَبَ عَلَى كُلِّ مِنْهَا اسْمَ الْوَزِيرِ  
الَّذِي تَرَاهُ مَنْاسِبًا فِي طَبَاعِهِ وَصَفَاتِهِ لِلمرسوم؟!!

وما المانع أن يكون موضوع الرسم « الصحابة » أو « الأنبياء » بدلاً من  
الوزراء .. وقيل للمعتبرين هذا فن تشكيلي رفيع فلا تعترضوا .. وهكذا ...  
وبالتدرج .. تُثْقِضُ عُرْقَ الدِّينِ ، وتنهار القيم والمقدسات ، ويصدق علينا قول  
الشاعر :

لقد هزلْتْ حتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا .. كُلُّاها ، وَحتَّى سَامَهَا كُلُّ مُفْلِسٍ

\* \* \*

وثمة ثلاثة مسائل أختتم بها حديثي عن هذا التقرير الذي لا يزيد - من  
وجهة نظرى - على كونه « ورقة تبرير » .. تبرير لكل سقطات الرواية الحيدرية :  
الأولى : مشهد الحوار بين الشيخ محمد ومهدى جواد ، وما فى تبريره  
وتفسيره من التواء وافتعال شديد لا يخطئه النظر : فحينما يقول مهدى جواد :  
ورسولنا العظيم كان مثالنا جميئا ، ونحن على سنته .. لقد تزوج أكثر من عشرين  
امرأة بين شرعية وخليلة ومتعة .

يقول التقرير: تذرع المدرس (مهدى) بفعل الرسول - عليه الصلاة والسلام -  
لا يقصد به الطعن عليه في هذا الموقف (!! ) بل يحاول أن يستند إلى حجة دينية  
في خطابه للحاج الذي يظهر التدين .. ولا يمكن عند القراءة الأدبية للنص في  
جملته أن تستشعر رغبة المساس بشخصية الرسول عليه السلام فهي ترد بوصف « العظيم »  
وإن كانت تبالغ في عدد نسائه (!! )

الافتعال واضح ... واضح :

١ - فاللجنة دخلت في التوايا والقصد ( لا يقصد به الطعن عليه ) .

٢ - وفي عبارة طويلة ملتوية تتشبث اللجنة بما يسمى « بالقراءة الأدبية » وتدعو إليها كأنها تصنع المعجزات . وهذه القراءة الأدبية تلبي طلبات اللجنة فقط : فوصف مهدي للرسول ( بالمعظم ) يعد تقديساً وتقديراً له في نظرها .. أما قوله : إنه تزوج عشرين امرأة بين شرعية وخليلة ومتعة ، فليس فيه رغبة المساس بشخصية الرسول ( !! )

فلمَّا لا يفسر كلامه كله ( بالقراءة الأدبية أيضاً ) على أنه مساس بشخصية الرسول ﷺ ، وأن وصف ( المُعْظَم ) جاء على سبيل السخرية !!؟

٣ - وصفت اللجنة قول مهدي عن النبي ﷺ بأنه « تزوج أكثر من عشرين امرأة بين شرعية وخليلة ومتعة » بأنه مجرد مبالغة من مهدي في العدد ( !! ) ، وكيف غفلت اللجنة عن اتهام الرسول ﷺ بأنه اتخذ « خليلات » وأنه تزوج زواج متعة !!؟!؟! أما حديث اللجنة عن « المفارقة » فحظه من الهشاشة يدفعنا إلى إغفال مناقشته !!!.

والمسألة الثانية : أن التقرير في مجال تبرئة حيدر من أقوال شخصياته يقول :  
« .. على أنه من المعروف أن من يروي الكفر ليس بكافر .. ». ولكن هذه القاعدة ليس على إطلاقها .. فحتى تصح - ويجوز إعمالها لا بد من توافر الشروط الآتية :

١ - حسن النية في « راوي الكفر » ، فلا يقصد بعمله هذا الإساءة إلى الدين ، وغمز رموزه .

٢ - ألا تروي عبارات الكفر والإلحاد إلا مصحوبة بالأدلة والبراهين التي تفندها ، وتبطلها ، ولا تمكنتها من غرس الشك في نفوس المؤمنين ، أو صد الآخرين عن الإيمان .

٣ - وحتى مع تحقق الشرطين السابقيين يستحسن ألا تشار و تعالج هذه المسائل أمام من كان رقيق الدين ، أو من كان يعبد الله على حرف ، إلا في حالة الضرورة . وإبراد أقوال الكفارة والملاحدة دون أن يكون معها ما يفندها من أدلة وبراهين يسىء إلى العقيدة ، ويزرع الشك في النفوس ، ويعمل على تدمير القيم والأخلاق . وقد رأينا من قبل - وليرجع القارئ إلى الرواية ، وما أثبته من معجم

السقوط - أن ما جاء على ألسنة الشخصيات من سقوطات لم يكن متبعاً بأية ردود أو نواقض .. ومن ثم لا تصدق على هذه الحالات قاعدة « راوي الكفر ليس بكافر » ، ويبقى استشهاد اللجنة بها في غير محله .

\* \* \*

أما المسألة الثالثة - وهي الأخيرة - : فهي من توابع التقرير ، وإن كانت أصولها في التقرير راقدة .. وأعني بها ما صرحت به الدكتورة عبد القادر القط مقرر اللجنة بعد نشر تقريرها بأسابيع متقدمة عن الحوار في رواية حيدر .. والجديد هذه المرة أنه وظف « البيعة المصرية » في تبرير الحوار الحيدري <sup>(١)</sup> .

سؤاله الصحفي : حين يضع الروائي جملة على لسان شخصية في حوار .. هل هذا الحوار تعبير بالضرورة عن شخصية الروائي نفسه ؟  
ويجيب الدكتور القط :

الحوار أداة مهمة في يد الروائي يستعين بها على التركيز والانتقاء ، ويستغنى به عن كثير من الأوصاف والتفصيل في طبيعة الشخصية وانتماها الطبقي أو الفكري أو اللغوي .. وإذا كان قراء الرواية قليلاً نسبياً ، فرسوف واستشهاد الآن بأعمال ذات طابع قصصي .. وإن كانت مختلفة عن الرواية .. ولكنها ذات صلة جماهيرية يمكن أن يدرك المتلقى طبيعتها .. فحين نسمع شخصاً يقول للآخر : « اطلع من نافوخي » ندرك - دون حاجة إلى التصریح - طبيعة انتماهه الطبقي أو اللغوي أو الأخلاقي . وحين نسمع رجلاً يخاطب زوجته من خلال تلك العبارات قائلاً : « يا ولية أنت مخك طاقي ! » ندرك طبيعة الرجل وطبيعة علاقته بزوجته .. وهكذا الحال في الرواية .

وهناك حوار يكون بين المثقفين أو بين من ينتسبون إلى قطاع خاص من المجتمع يبدو قريباً مما يمكن أن يصوغه المؤلف بنفسه .. حوار مثقفين أو متعلمين وأفراد نشروا على قيم أخلاقية متميزة .. ونحن نسمع في الشارع

(١) حوار أجراه معه الصحفي حلمي النمنم (٥٢ - ٥٤) من مجلة « المصور » - العدد

المصرى ، وفي المدن العربية الأخرى ألفاظاً لا نلقى إليها بالأ.. مع أن فيها ما يبدو خروجاً على القيم الدينية أحياناً ، أو العواير الأخلاقية والسلوك الطبيعي أحياناً .. نحن نستمع إلى ما يمكن أن يعتبر سبباً للأم ، وجرحاً للشعور الدينى في عبارات مألوفة لدينا لا أريد أن أقتبسها هنا ، يمكن أن يستخدمها الرواى ، وإذا التقطها من الشارع فإنه لا يقصد نقلها نقاًلاً واقعياً ، ولكن لاتخاذها مفاتيح للشخصية .

ومن ملاحظاتي للشارعين المصرى والعربى تبدو بعض هذه العبارات الجارحة ، وكأنها نوع من التبسيط أو الفكاهة أو إظهار الصدقة الحميمة .. وبعض الشباب يجيئون بعضهم بمثل هذه العبارات الجارحة ، ولا يجدون حرجاً حيث لا يقصدون دلالتها الحقيقية ، وهكذا يفعل الروائى ، فينقل حواراً مختلف الطبيعة والمستوى حسب الشخصيات والمواضف .

- يسأله الصحفى : أين يقع الحوار فى رواية حيدر حيدر « وليمة لأعشاب البحر » من هذا التفسير .

#### - أجاب الدكتور القط :

في الرواية شيء من استخدام هذه الوسيلة الفنية المشروعة التي لا تؤخذ دلالتها أخذًا مباشراً .. وإذا كان الشارع نفسه يتتجاوز عن دلالتها المباشرة ، ويتجاضى عمما فيها .. فما بالنا بالرواى الذى يريد أن ينقل صورة فنية للحياة .. ولا شك أن من يقرأ بعض ما ورد في حوار الرواية دون أن يفطن إلى هذه القيمة الفنية للحوار يجد فيه ما قد يجرح شعوره الخلقي والدينى بعزل عن الموقف ، وطبيعة الشخصية .

\* \* \*

لقد تعمدت أن أنقل للقارئ كل ما قاله الدكتور القط في هذه المسألة بالذات .. وله بنفس المجلة كلام كثير في مسائل أخرى ، والذى يقرأ هذا الكلام يعتقد - لأول وهلة - أننا في مقام هزل لا جد .. ولكنه يدرك بعد ذلك أن ما قاله الدكتور القط - في هذه المسألة بالذات - إنما هو امتداد « لمنطق التبرير » الذي تبناه التقرير ، تبرير كل شذوذات الرواية وسقوطاتها في حماسة منقطعة النظير ، حتى أن اللجنة - كما ذكرت - لم تبرز في تقريرها مأخذًا واحدًا على الرواية ، وكأنها قمة الإبداع الروائى في عصرنا هذا .

أما أهم الملاحظات التي نسجلها على كلام الدكتور القط فتتخلص فيما يأتي :

١ - كعادة اللجنة - وهو جزء من منطق التبرير - يردد الدكتور القط الحديث عن القصود والتوايا (يقصد - لا يقصدون - لا يقصدون) وهي خفايا لا يعلمها إلا الله .. ومن عجب أن يحسم القول فيها مع أن « المنطوق » يرفض هذا الحكم .

٢ - المثالان اللذان استشهد بهما الدكتور القط حملهما أكثر من طاقاتهما .. فهما مستعملان في أكثر من طبقة اجتماعية .. ولست أدرى كيف تدل عبارة « اطلع من نافوخي » على طبيعة الانتماء الأخلاقي لقائلها !!!

٣ - يتحدث الدكتور القط عن الشارع المصري والشوارع العربية حديث من يقصد شوارع في الخيال ، أو كأنه يتحدث إلى « خواجات » لا مصريين ، ولا عرب .. فهل الرجل في الشارع المصري لا يلقى بالأعبارات يفهم منها شيئاً لأمه أو دينه ؟ وكيف فات سعادته أن المصري تثور ثائرته إذا نودى منسوبياً إلى أمه (يا ابن فلانة) ، أو لمجرد ذكر اسم أمه .. أما شعوره بتجريح دينه فلا سكوت ، ولا سماح .. بل التعارض الذي قد تسيل فيه الدماء !!

٤ - وهل صحيح أن عندنا - في مصر والبلاد العربية - شباباً يحيون بعضهم بعبارات جارحة للدين والأم ولا يجدون حرجاً في ذلك ؟ ! أعتقد أن مثل هؤلاء الشباب لا وجود لهم إلا في الخيال .. وإن وجدوا فهم من الشواد الذين لا يؤخذون منهم ، ولا يقاس عليهم .

٥ - وتأسينا على وجود هذه الظاهرة « في خيال الدكتور القط » يكون من حق كاتب الرواية استخدام هذه الوسيلة التي وصفها الدكتور القط بأنها « فنية مشروعة » !!

وقد رأينا أن « الأساس » لا وجود له .. ومن ثم يكون إنكار ما أقيم عليه أمراً طبيعياً بديهيًا لا حرج فيه !!

كان هذا هو دفاع اللجنة .. بل قاتلها المستميت .. بالمشروع وغير المشروع - عن الرواية الحيدرية - وفيه كانوا « حيدريين » أكثر من حيدر نفسه .. ومصداقية هذا الحكم قد تتكشف لنا إذا ماقرأنا دفاع حيدر عن نفسه في الصفحات التالية :

[ ٢ ]

## ويدافع حيدر عن نفسه

الدفاع عن النفس حق مشروع للإنسان مهما كان خطأه أو خطئته .. ومن حقه كذلك أن يختار الأسلوب الذي يراه مناسباً لهذا الدفاع .. ما لم يكن في ذلك عدوان على حق .. أو دين أو عقل .. أو عرض !!

وقد حدث ما هو معروف من التصدى لرواية حيدر بالمظاهرات والمقالات والمؤتمرات .. وكل أولئك قنوات شرعية في نظرى . وكان من الطبيعي أن يدافع حيدر حيدر عن نفسه وعمله في بيانات أصدرها ابتداءً ونشرتها الصحف .. وكذلك في مقابلات أجراها معه الصحف هاتفياً ، أو عن طريق كتاب وصحفين قد صدر عنه في بلده ، وأدوا معه لقاءات وحوارات .

وقد دار دفاعه أو دفاعاته عن نفسه على عدة محاور أهمها : الحديث عن شخصيته وسلامة عقيدته ، والحديث عن روایته وموضوعها ، وما فيها من طوابع إيمانية ، وشرح أو تبرير ما فيها من عبارات قد يفهم منها الترويج للجنس ، والإساءة إلى الدين .. والحديث عن الحملة الموجهة إليه ، وتقديره لها والدافع التي تحركها على التفصيل الآتى :

١ - يعلن حيدر أنه مؤمن بالله وأنه سليم العقيدة ، ويقول بالحرف الواحد : « يقطع لسانى قبل أن أهاجم القرآن أو أتعريض للإسلام ، والذين كفرون يضرون بالإسلام .. بينما أنا أنصره وأنصبه »<sup>(١)</sup>.

٢ - ويرى أن : « النص المقدس » عموماً حمال أوجه ، والاجتهد منذ زمن المعتزلة هو الأساس في بنية الإسلام ... والقرآن الكريم نص مفتوح للجميع ، ويتحقق لأى

(١) من حوار له مع وائل الأبراشي (٢٠، ٢١) من مجلة روزاليوسف - العدد ٣٧٥٣ -

مسلم أن يجتهد من خلال فهمه وإدراكه بعمق لحقيقة الإسلام<sup>(١)</sup>. وبؤكد أنه مسلم .. ولكن إسلامه ليس كإسلام الآخرين ، وتفسيره للإسلام ليس كتفسيرهم ، ويحق له أن يجتهد ، والقرآن هو أحد أهم مصادر ثقافته الأساسية .. وعندما يجتهد في النص فهذا لا يعني أن يكون اجتهاده مطابقاً لاجتهدتهم<sup>(٢)</sup>.

٣ - ويرى أن :

روايته تعبر عن الواقع العربي المأزوم ، والمطرق بكثير من القوى التي تعيق تقدم هذا المجتمع ، وتحاول أن تصادر ما يمكن تسميته الرأي الآخر<sup>(٣)</sup> وهو قد عايش عمق التصدع في التجربتين العراقية والجزائرية بعد هزيمة يونيو / حزيران ١٩٦٧ .. وقدم ذلك عن طريق ما تحكيه شخصيات الرواية عن تجربتها الضالية انتهاء إلى المصير المؤلم بعد هزيمة يونيو .. وهي نفس أوجاعه كمشهد عربي بسبب الهزيمة<sup>(٤)</sup>.

٤ - ويرى حيدر حيدر أنه :

ليس في الرواية صفحة واحدة تسيء إلى الإسلام ، بل بالعكس إنها تمجد الإسلام ، وفيها مشاهد للمجاهدين الجزائريين وهم ينزلون من فوق الجبال وقد وضع كل منهم القرآن الكريم على صدره<sup>(٥)</sup>.

٥ - كما يرى أن :

الهجوم على الرواية أشعله الأصوليون من أجل الحصول على مكاسب صغيرة في الانتخابات التشريعية في مصر خلال نوفمبر القادم .. لقد حرضوا الطلاب والطالبات الذين لم يقرءوا الرواية ، وربما أيضاً لم يسمعوا بها أو بصاحبها في حياتهم<sup>(٦)</sup>.

(١) من حديث له في لقاء مع محمد عبد العال : صحيفة الأيام الجديدة - العدد ١٩ - ٢٠٠٠/٦/٤ ، وهو يصف الإسلام كذلك - لا النص فقط - بأنه حمال أوجه . ص ٥٥ من المصور ٢٠٠٠/٥/٢٦ - ٣٩٤٦

(٢) الأيام الجديدة السابعة / العدد ٣٣ (٣) المرجع السابق .

(٤) السياسي المصري - العدد ١٢٩٢ - ٢٠٠٠/٦/٤ من حوار مع الأمير أباظة .

(٥) أخبار الأدب - العدد ٣٥٦ - ٢٠٠٠/٥/٧ (من حديث هاتفى) .

(٦) السياسي المصري السابعة .

ويواصل حيدر حيدر حديثه فيقول :

ولكن الخطأ كبير وخطير .. القضية ليست « وليمة لأعشاب البحر » حيدر حيدر .. ولكنها أكبر من ذلك .. هم يستهدفون كل المثقفين التشييريين والعقلانيين ليخلو لهم الساحة من خلال التأويل والاحتماء بالنصوص .. وهدفهم استلام الشارع ، والسعى لاستلام السلطة كما حدث في الجزائر .. هي ليست أكثر من شرارة تمهد خططاتهم .. القضية ليست حيدر حيدر .. وأنا لست أفضل من الذين نفوا أو حوكموا أو قتلوا بسبب آرائهم وأفكارهم .. ولنا أسوة بالمعتزلة أول من أرسوا باب الاجتهد في الإسلام .. نحن ورثة الغilan الدمشقي أهم مفكري المعتزلة ، والذي صلب وهو يدافع عن أفكاره ، وعن الحرية والاجتهد والعلانية<sup>(١)</sup>.

ويكاد يصف حيدر حيدر الذين عارضوه بالعملة والخيانة .. فهم من وجهة نظره - كما يقول : « لا يتحركون من تلقاء أنفسهم ، بل إنك قد تندش إذا قلت لك : إن العدو الصهيوني الإسرائيلي قد يكون أحد المستفيدين من حملات هؤلاء ضد المفكرين والفنانين والأدباء الذين يريدون للأمة العربية أن تنهض<sup>(٢)</sup> .

#### ٦ - ويقول حيدر :

الرواية ليست خطاباً فكريّاً حتى أحاسب عليه .. ليست أيدبولوجياً نعرضها في حلقة نقاش سياسي .. والشخصيات في الرواية تتكلم باسمها ، ولا تعبر عن رأي المؤلف .. تأمل في الواقع سوف تجد الملحد ، والمؤمن ، والوجودي ، والعدمي والبعشي .. والشخصيات التي نسبت إليها هذه الإساءات ليست نوذجية .. فكيف أتحمل أنا آراءها وأفكارها ؟

#### ٧ - وعن الكلمة « خراء » التي جاءت بعد عبارة طويلة تنتهي بكلمة القرآن

يقول حيدر :

هذا دليل على سوء نيتهم ، وتعسّف منهجم .. إن كلمة خراء قبلها نقطة ، وبعدها علامه تعجب .. ثم إن هناك من يريد عليها بعد ذلك ، أى أنها لا تصف عبارة « تعاليم القرآن » حيث تفصلهما نقطة أنهت الفقرة بالكامل .. وكلمة

(١) روزاليوسف : السابق . وانظر كذلك الأهرام العربي - العدد ١٦٤ ص ٦٨ ، ٦٩

(٢) الأهرام العربي : العدد ١٦٤ - ٥/١٣ - ٢٠٠٠ - ص ٦٩

خراء هنا تعنى أنه يهدى بكلام لا معنى له .. وفي العمل الأدبي فإن كل الاحتمالات مفتوحة .. مثلاً : عندنا في الشام نقول تعبيراً شائعاً هو « العمى في سماك » ، ولا نقصد بذلك الإساءة إلى السماء .. ولكنها تعنى « خلصنا من هذه الحكاية ... » كذلك عبارة « خروا بربك » شائعة وفقاً للهجة العامية الدارجة .. وهي ليست إحداية بالمرة .. وحينما يقولها المواطن باللهجة العامية فإنها تعنى « خلصنا من هذه القصة » ، ولم يتدار في ذهن أحد أن هذه العبارة تسيء إلى الله ، فكلمة خراء لا يوصف بها الله - معاذ الله - بدليل أنها شائعة على ألسنة الناس<sup>(١)</sup>.

٨ - ولما واجهه محاوره بأن بعض الجزائريين غضبوا من تصويره لشخصية فلة بوعناب ، المناضلة التي تحولت إلى عاهرة ، وقالوا : الثورة الجزائرية ليست فلة ..  
أجاب حيدر :

وهذا يدلل على أن الرواية تخضع لكل احتمالات التأويل .. وفلة في روايتي هي صحيحة الثورة .. كانت مناضلة وتحولها إلى عاهرة .. وهي ليست عاهرة بمعنى الكلمة لأنها لا تعيش إلا من تحب .. وفلة بوعناب في روايتي شخصية حقيقة قابلتها في الجزائر ، واختارت لها اسم فلة من عندي ، أعرفها جيداً ، هي مناضلة مخدولة ، وذكرت على لسانها السقد الموجه للسلطة الانتهازية .. كل سلطة انتهازية في الوطن العربي .. « وليمة لأعشاب البحر » حالة عربية أكثر منها حالة جزائرية .. أردت أن أقول من خلال روايتي : إن الذين استلموا السلطة في الوطن العربي عقب ثورات الاستقلال حولوا الثورة إلى كرسي حكم وسلطة حكم ، ونسوا الشعب .. لقد امتصوا دماء الشهداء ، وسرقوا الأحلام<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

كان هذا أهم - وربما كل - ما دافع به حيدر حيدر عن نفسه ، وعن روايته ، وله كلام طويل آخر في تصريحات أخرى ، ومجلات أخرى .. ولكنه لا يخرج عن

(٢) روزاليوسف : السابق .

(١) روزاليوسف : السابق .

المضامين السابقة ، ولا يزيد عليها .. وحتى نكون أقرب إلى الدقة والإنصاف نناقش ما جاء به جزءاً جزءاً :

١ - لا نحاول - ولن نحاول - أن نناقش إيمان الرجل .. فلنا الظاهر ، وعلى الله السرائر .. ونحن دعاة لا قضاة .. وحسابه على الله .. مع أنه قدم عملاً روائياً أيسراً ما يقال عنه إنه إساعة للإسلام .. والقرآن .. والخلق .. والذوق .. أما مناصرته للإسلام ، وإنصافه له فمحمل شك كبير .. كبير جداً حتى من بعض من ناصروا الرواية .

٢ - وتعبر « النص المقدس » غريب على المعروف والموروث من الخطاب الإسلامي ، ويقاد يكون « مصطلحاً مسيحيّاً » .. ولكننا لا نقف أمام هذا الاستعمال الذي يبدو - في ظاهره على الأقل - شكلياً ؛ لأن تفصيله بعد ذلك يشي بضحالة ثقافة الكاتب الإسلامية والتراصية من جانب ، وتضخيم شخصيته في استعلاء ترفضه إمكاناته المتواضعة من جانب آخر :

(أ) فقد ذكر أن النص المقدس عموماً حمّال أوجه ، والمعروف أن « النص المقدس » - وأنا أستعمل تعبيره - في الإسلام هو القرآن والسنة - واستخدامه الكلمة عموماً يصدق عليهما . مع أن كلمة « حمال أوجه » لم تستخدم من قبل إلا على لسان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، وفي مناسبة خاصة ، وهى مناسبة توجيهه « عبد الله بن عباس » - رضي الله عنهما - لمحاورة الخوارج حتى يقنعهم بالتخلى عن تطرفهم ، والعودة إلى صنوف المسلمين . طلب منه الإمام علي كرم الله وجهه - أن يجادلهم بسنة رسول الله ﷺ السنة العملية بصفة خاصة (ألا تعلمون أن رسول الله ﷺ فعل كذا .. وكذا .. ألم تروا أنه في موقف كذا .. فعل كيت وكيت ...) فهي مواقف لن يستطيعوا أن يقولوها ، أو يخرجوا دلالاتها عن مسارها الطبيعي .. ونهاه عن أن يجادلهم بالقرآن « لأنه حمّال أوجه » : أى فيه مجال للتأنيف والتفسير بالهوى<sup>(١)</sup> .

(ب) والاجتهد لم يكن أساساً في بنية الإسلام منذ عهد المعتزلة - كما

(١) انظر : ( جابر قميحة : « المعارضة في الإسلام بين النظرية والتطبيق » ١٨٧ - ١٩٠ ) ، ونيفين

عبد الحالق : « المعارضة في الفقه السياسي الإسلامي » ٢٥٧ .

يُزعم حيدر - بل هو مصدر من مصادر التشريع الإسلامي من عهد رسول الله ﷺ يأتي في المرتبة الثالثة مباشرة بعد القرآن والسنة .. يؤيد هذا ما روى معاذ ابن جبل - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال له : «كيف تصنع إن عرض لك قضاة؟» قال : أقضى بما في كتاب الله .. قال : «فإن لم يكن في كتاب الله؟» قال : فبسنة رسول الله ﷺ .. قال : «فإن لم يكن في سنة رسول الله؟» قال : أجتهدرأي ولا آلو .. قال معاذ : فضرب رسول الله ﷺ صدرى ثم قال : «الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي الله ورسوله» . وما روى سعيد بن المسيب عن علي - رضي الله عنهما - أنه قال : قلت : يا رسول الله .. الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن ، ولم تمض فيه منك سنة؟ فقال ﷺ : «اجمعوا له العالمين من المؤمنين .. فاجعلوه شوري بينكم ، ولا تقضوا فيه برأ واحد»<sup>(١)</sup> .

ولأن الاجتهاد عملية استنباطية إنسانية تعتمد على القدرة العقلية والضمير الحى ، والثقافة الموسوعية في علوم الشرع وخاصة كان لا بد من ضوابط وتواتر شروط في شخصية المجتهد أهمها :

- ١ - أن يكون المجتهد مسلما .. لأن الاجتهاد بذل الفقيه وسعه لاستنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلةها التفصيلية .
- ٢ - أن يكون المجتهد عالماً بلغة العرب لكي يتمكن من تفسير القرآن الكريم ، وتفسير السنة النبوية الشريفة .
- ٣ - أن يعرف المجتهد القرآن الكريم ، وما يتعلق به كزمن النزول وأسبابه .
- ٤ - أن يعرف المجتهد السنة القولية والفعلية والتقريرية ، ومراتبها وأحوال الرواة .
- ٥ - أن يكون المجتهد متمكناً من معرفة أصول الفقه ، لأنه العمود الفقري الذي يرتكز عليه الاجتهاد .

---

(١) على حسب الله : «أصول التشريع الإسلامي» (٤٢٨ ، ٤٣٩) .

- ٦ - أن يكون المجتهد عالماً بالمواقع التي أجمع عليها العلماء ، كإجماعهم على الحرمات التي جاء بها القرآن والشّرعة ، وإجماعهم على أصول المواريث .
- ٧ - أن يفهم المجتهد مقاصد الشارع العامة من تشريع الأحكام ، وأن يكون خبيئاً بصالح الناس وأحوالهم وأعرافهم وعاداتهم ل يستطيع إصدار حكمه على الواقع التي لا نص فيها بالقياس أو الاستحسان أو المصالح المرسلة أو غير ذلك .
- ٨ - أن يكون المجتهد صحيحاً في فهمه ، فيعرف غث الآراء من سمينها ، وطيب الأقوال من خبيثها .
- ٩ - ألا يكون المجاهد مبتدعاً ، مائلاً إلى الهوى ، لأنه يكون والحاله هذه فاسد الاعتقاد ، وفاسد الاعتقاد لا يتوجه إلى النصوص يبحثها ، ويقلب وجوه النظر فيها بقلب سليم ، فمهما كان ثاقب الفكر ، صائب الرأي لا بد أن يسيطر على تفكيره ، ما يحول دونه دون الاستنباط الصحيح للأحكام من النصوص .
- ١٠ - أن يكون المجتهد مخلصاً لله لا يبغى من وراء اجتهاده الجاه ولا الشهرة ، ولا يريد إلا أن يصل إلى الحق أنى كان<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

هذه هي الشروط أو الصفات التي يجب أن يتحلى بها كل من يريد أن يكون مجتهداً .. وقد يهرب « التنويريون » ثائرين زاعمين أن في هذه الشروط تعنتاً وتعسفاً .. ولكن الواقع غير هذا .. والشروط المطلوبة في شخص يريد أن يلتتحق بوظيفة معينة منها ما يتعلق بالجنسية .. والسن .. والمؤهلات الدراسية .. والخبرة السابقة .. والحالة الاجتماعية .. وقدرة الأداء .. واجتياز امتحانات .. ولقاءات .. وقد يشترط الدين والمظهر .. زيادة على صحقيقة الأحوال الجنائية للتأكد من أن تاريخ حياة الشخص خالٍ من الجرائم المخلة بالشرف .. وبعد هذا تضع الجهة الحكومية تذليلاً في إعلان الوظيفة نصه : « وللجنة - لجنة التوظيف - رفض التعين دون إبداء الأسباب ». وهذه ولا شك ضوابط مهمة لمصلحة العمل .. ولو فتح الباب دون هذه

(١) انظر : ( محمد زكريا البرديسي : أصول الفقه - ٤٦٧ - ٤٧٢ ) .

الضوابط ، ما استقام عمل ، وما استقرت أمور .. فكيف يكون القرآن « نصًا مفتوحًا للجميع » لأى مسلم أن يكون مجتهدا في نصوصه ؟

وهل يملك « حيدر حيدر » الصفات التي ذكرتها آنفًا أو حتى بعضها ، أو شرطاً واحداً منها وهو معرفة القرآن الكريم وفهمه حتى يعطي نفسه حق الاجتهاد في نصوصه ؟ إن روايته حسمت الأمر ، فكشفت مستوره فإذا به لا يعرف الفرق بين الآية والحديث ، وما عرضه منها غير الأخطاء والتحريف<sup>(١)</sup> .. وهذا يقطع بكذبه إذ يدّعى أن « القرآن أحد أهم مصادر ثقافته الأساسية » .

أما مصادر ثقافته الحقيقة - كما ذكر هو - زيادة على كتب الأيديولوجية الشيوعية - كتب إدوار الخراط ، وإلياس خوري ، وجابر عصفور ، وبهاء طاهر وجمال الغيطاني ، وإبراهيم أصلان ، ورضاوى عاشور<sup>(٢)</sup> .

٣ - وتعبير الرواية عن الواقع العربي المأزوم والمطوق بكثير من القوى ... إلخ فيه من المبالغة .. بل الإغراق في المبالغة الشيء الكثير .. فالرواية فيها تشويه للجهاد الجزائري من بداياته الأولى .. وفي الرواية انتصار للجنس في صوره الشاذة .. وفي الرواية دعاية للأيديولوجية марكسية أثقلت الرواية بمعانٍ من الصفحات حتى كادت تتحولها إلى كتاب سياسي .. ومن عجب أن يصرح حيدر حيدر من عدة أسباب :

أن الرواية كانت أكبر مما هي عليه الآن في طبعاتها المختلفة ، وأنه قبل طبعها حذف من مخطوطتها « خمسين صفحة كانت تتحدث عن الطابع الأيديولوجي للتنظيمات марكسية حتى لا تأخذ الرواية الطابع الأيديولوجي الذي يغلب على الجانب الفني أو الأدبي ، وحتى لا تبدو الرواية ، وكأنها بيان سياسي »<sup>(٣)</sup> .

ولكن الرواية بقى لها هذا الطابع حتى بعد إغفال الصفحات الخمسين التي ذكرها حيدر .. وهذا ما أخذه على الرواية بعض الذين وقفوا في صفحها من أمثال : الدكتور على الراعي ، ومحمد أمين العالم . وقد أشرنا إلى ذلك في صفحات سابقات .

(١) انظر الصفحات : (٢٤ ، ١١٤ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ٣١٩) من الرواية .

(٢) أخبار الأدب - العدد ٣٥٦ ص ٩ .

(٣) روزاليوسف : مرجع سبق ص ٢١ .

٤ - يصر حيدر على أن الرواية ليس فيها صفة واحدة تؤدي إلى الإسلام ..  
بل فيها ما يجده الإسلام ، ويلح على هذه المقوله كذلك كل «التنويريين جداً»  
ما سمعنا له فيما بعد .. ولن أرد على هذه الأكذوبة ، وأحيل القارئ على  
ما استخرجه من الرواية ، وعرضته في القسم الأول تحت عنوان :  
[ اللغة ومعجم الهبوط ].

ولكن المؤلم حقاً أن يقوم الكاتب التنويري جداً حيدر حيدر بارتكاب جريمة  
مخلة بالشرف هي جريمة التزوير المعتمد .. وهي التزوير «بالكشط» أو «الإسقاط»  
حتى يوهم القارئ بصدق دعواه - بل ادعائه - بأن في الرواية ما ينتصر للدين ،  
ويجد محمدًا عليه السلام .. ففي أحد تصريحاته لصحيفة مصرية<sup>(١)</sup> يورد النص التالي  
على أنه من الرواية :

«أترون جيداً وصواباً كيف يتشكل العربي الجديد في العصر الراهن .. ذلك  
القديم كان مبلوراً ومحضنا بالإسلام . محمد القرن العشرين .. هذا ما نحتاجه في  
العصر المضطرب » !!

هذا تزوير حيدري تابعه فيه كبار التنويريين .. والنص في الرواية كما يلى  
بالحرف الواحد :

«أترون جيداً وصواباً كيف يتشكل العربي الجديد في العصر الراهن ..  
ذلك القديم كان مبلوراً ومحضنا بالإسلام ( الآن نحن نعبر إلى الزمن  
الجديد .. من أين ؟ من الفراغ والسديم المطلق أم من ميراثنا ؟ هل الشورة هي  
القطع التاريخي الكامل ؟ أنا أرى في ماركس أو لينين محمدًا جديداً ) محمد  
القرن العشرين ( ماركس أو لينين العربي ) هذا ما نحتاجه في هذا العصر  
المضطرب »<sup>(٢)</sup>.

(١) الأيام الجديدة : العدد ١٧ - ٢٠٠٠/٥/٢١

(٢) «الوليمة» (٨٧) ، وانظر كذلك إصراره على هذا التزوير في حواره مع حلبي النعمان ص ٤٥  
من مجلة المصور - العدد ٣٩٤٦ - ٢٠٠٠/٥/٢٦ . وكذلك في حديثه مع BBC ( انظر ص ٤  
من صحيفة الميدان ٢٠٠٠/٥/١٦ ) .

وهكذا يسوى حيدر - بتزوير متقن متعتمد - بين محمد عليه السلام ، وماركس ولينين .. وتابعه في ذلك السادة التنويريون جدًا !!

٥ - وحيدر حيدر في تعليل الهجوم على روايته يرى أن الذي يتولى كبره هم الأصوليون في سبيل مكاسب دنيوية أهمها الفوز في الانتخابات القادمة .. هذا هو المنظور القريب الذي « سجله » حيدر أو شُجّل له .. وأرى أنه « أشتبه » أو استولى عليه من تقييم التنويريين جدًا في مصر .

وفي استعلاء أكبر يرى أن الهجوم عليه مظهر من مظاهر مخطط كبير وخطير يستهدف التنويريين والعقلانيين ، ويرى أنه واحد من هؤلاء ، وأنه واحد من ورثة أرباب الاجتهداد .. والحرية .. والعقلانية .. الذين حصرهم في المعتزلة .. ودائماً يربط بين الحرية وحركة الفكر والمعتزلة .. وهذا راجع إلى ضحالة ثقافته الإسلامية كما ألحنا من قبل .. ومع ذلك فهو مصر على الاجتهداد .. مصر على أن يكون واحداً من المجهدين في التعامل مع « النصوص » المقدسة .. وهو لا يملك شيئاً من عدة الاجتهداد .. فهو - كما يقول الشاعر العربي - « كساع إلى الهيجا بغیر سلاح » !!.

وأقول لحيدر - وهو يربط بين الحرية و « أجداده » المعتزلة : إنهم على أيديهم وبتدبرهم قامت أكبر مذبحة فكرية في التاريخ الإسلامي لمن عارضوا رأيهم في القول بخلق القرآن ، وكان لأحمد بن أبي دؤاد ( ١٦٠ - ٢٤٠ ) وهو أحد زعماء المعتزلة القدح المعلى في الدعوة إلى خلق القرآن ، وامتحان الآخرين ، وتقييم أقوالهم ، واستخدام العنف معهم على مدى عهود الخلفاء الثلاثة : المؤمن والمعتصم والواشق ، وبلغ من اعتزار المؤمن به أن أوصى به أخاه المعتصم في وصيته الأخيرة قبيل وفاته « ... وأبو عبد الله بن أبي دؤاد ، فلا يفارقك ، وأشاركه في المشورة في كل أمرك ، فإنه موضع لذلك منك » <sup>(١)</sup> .

وأمر المعلمون أن يُعلّموا الصبيان « عقيدة » خلق القرآن ، وقاسي الناس مشقة في ذلك ، وقتل خلق من العلماء <sup>(٢)</sup> منهم أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم

(١) « تاريخ الطبرى » ( ٦٤٧/٨ ) .

(٢) السيوطى « تاريخ الخلفاء » ( ٣١٠ ) .

الخزاعي ، وهو من أشراف بغداد المستنكرين القول بخلق القرآن ، قبض عليه ، وقتلته « الواثق » بسامراء ، وبعث برأسه إلى بغداد ، فنصب فيها ست سنين ، وجلسه بسامراء سنة (٢٣١ هـ) ، وعلقت في أذن الرأس رقعة كتب فيها « هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر بن مالك »<sup>(١)</sup>.

وقبض على أتباعه ، ومرديه ، ووضع نيف وعشرون رجلاً منهم في الحبوس المظلمة ، ومنعوا منأخذ الصدقة التي يعطها أهل السجون ، ومنعوا من الزوار ، وثقلوا بال الحديد<sup>(٢)</sup>.

وكان أشهر من اتلى بهذه الحنة التي فرضها المعتزلة على الأمة : أحمد ابن حنبل (١٦٤ - ٢٤١) ، فضرب بالسوط ووضعت القيود الثقيلة في رجليه ، وألقى به في السجن ، وظل فيه تسعه وعشرين شهراً .. وقد رجاه بعض أقاربه وأحبابه أن يقول بخلق القرآن تقية حتى ينقذ نفسه من هذه الحنة فرفض وقال : « إذا أحب العالم تقية ، والماهيل يجهل .. فمتي يتبيّن الحق؟ »<sup>(٣)</sup>.

هذا كان موقف المعتزلة من « الرأي الآخر » ، وأصحاب الرأي الآخر .. ترى أي قبل حيدر أن يعامله معارضوه كما كان أجداده « المعتزلة » يعاملون معارضيهم؟ اعتقاد أن الإجابة ستكون بالنفي .. النفي الشديد !!.

\* \* \*

ونعود - بعد هذا الاستطراد الذي كان لا بد منه - إلى تعليل حيدر الهجوم عليه وعلى روايته ، ويتلخص في أمرين :

الأول : جرؤ المهاجمين على تحقيق كسب سياسية في الشارع المصري أهمها : حصد فوز مرض في انتخابات مجلس الشعب في نوفمبر القادم . والثانى : الاستجابة العملية لخطط كبير موضوع مقدماً لضرب التنويريين والعقلانيين !!.

(١) انظر : ( تاريخ الطبرى ١٣٥/٩ ) وما بعدها .

(٢) « تاريخ الطبرى » (١٣٩/٩) .

(٣) صلاح الدين الصفدى « الواقى بالوفيات » (٣٦٧ - ٣٦٥/٦) .

وانظر : ( عبد العزيز البدرى : الإسلام بين العلماء والحكام ص ٥٣ ) .

والواقع أنه لم يقل جديداً .. بل رد ما كتبه وألح عليه السادة « التنبويون جداً » في مصر المحروسة بصحفها القومية وبعض صحف المعارضة .

والتعليق الأول مرفوض لعدة أسباب أهمها :

(أ) أنه مبني على أن هذه الانتخابات القادمة ستكون نزيهة ، بريئة من تدخلات السلطة التنفيذية .. وهذا مشكوك فيه إلى أبعد حد ، استثنائياً بما حدث في كل الانتخابات السابقة .

(ب) أن الذين هاجموا الرواية ، وهاجموا وزير الثقافة ووزارته لنشر هذه الرواية الساقطة في الحملة التي قادها حزب العمل كانوا يتوقعون ما حدث من السلطة التنفيذية والتي جاءت في قرارات مصادرة صحيفة الشعب ، وتجميد نشاط حزب العمل ، ومعروف في مصر .. بل أغلب البلاد العربية أن الكسوب الديني مرتبطة أساساً بإرضاء السلطة الحاكمة ، ومسايرة الحزب الحاكم .. لا معارضته ، والوقوف في وجهه .

وأذكر هنا على سبيل الإلماع أن المظاهرات التي قام بها طلاب الأزهر وطالباته كانت مظاهرات « عفوية » لم يقدها حزب العمل ، ولم ينظمها ، ولم يدُس فيها المحرضين والمحرضات ، ولم يزد ما كتب في صحيفة الشعب على فضح ما في الرواية من سقوط ، وإثارة القراء لمعارضة هذه الرواية ، والاحتجاج على من نشروها بإرسال رسائل واحتجاجات موقع عليها للمسئولين .. وكل أولئك من حق حزب - أي حزب - معارض ، ومن حق صحيفة .. أية صحيفة معارضة .. وما كانت هذه المظاهرات لتقوم إلا إذا كانت النفوس مهيأة لذلك بغضب عارم دفين ضد كتاب ساقط خدش دين أمة ونبيها ﷺ وقرآنها ، ونشرت عنه صحيفة « الأسبوع » قبل أن تكتب صحيفة الشعب كلمة واحدة عنه .. أما المسئولية الأصلية عن هذه المظاهرات فترجع لاثنين : الكتاب وصاحبه من ناحية .. ووزارة الثقافة التي أعادت طبع الكتاب مرة أخرى ، وعرضته في السوق بثمن بخس .. وما كان ألف مقال لمحمد عباس أو عادل حسين لتقييم هذه المظاهرات إلا إذا كانت النفوس مشحونة بالقمعة والغضب لديها الذي أصابه حين هذا في الصبيم . وأمنتنا - كما ذكرت في مدخل هذا الكتاب معروفة - على مدار التاريخ بحاستها الدينية القوية .. وعلى الذين يلقون بالمسئولية على مقالات الشعب أن يسألوا

أنفسهم : لماذا لم تقم مظاهرات ضد حسن الألفي .. وصبور .. ويوفى والي .. استجابة لمقالات مجدى حسين وعادل حسين وغيرهما !! وهى مقالات نارية ثائرة غاضبة مصحوبة بوثائق - أو ما يعتقد كُتابها أنها وثائق - أعتقد أن الإجابة واضحة لكل من أعمل عقله فيما دار وما يدور ، وفتح عينيه ، وألقى السمع وهو شهيد !!

\* \* \*

وذهب حيدر إلى أن من عارضوه لا يتحركون من تلقاء أنفسهم ، وأن هناك أياً ذي أجنبية أو صهيونية تحرّكهم ... كلام حيدر هذا لون من العبث الصغير المكرر .. لأنها تهمة مستهلكة تثير غشيان أي عاقل ... هي التهمة التي يلتصقها كل دكتاتور بكل من يعارضه .. وهي التهمة التي يشهرها العجزة من صبية الأدب والمفكرين في وجوه الشرفاء .. والصهاينة يستفيدون من نشر كتاب حيدر لأنه يعمل على تدمير الخلق والقيم الإسلامية والإنسانية .. وهو ما يتفق مع الأهداف التي ترسمها بروتوكولات شيوخ صهيون .

أما اعتبار الهجوم عليه هجوماً مقصوداً به التنويريون والعلقانيون في الأمة كلها فيذكرني بمنطق إحدى المثلاث المشهورات التي انكشفت فضائحها المستورة ، فحملت عليها الصحف العربية ، وبعض الصحف المصرية .. فما كان منها إلا أن عقدت مؤتمراً صحفياً موسعاً ، وأعلنت فيه أن هذه الحملة ليست موجهة إلى بصفة شخصية .. ولكنها موجهة إلى مصر أجمعياً .. مصر التي أعتبر أنا رمزاً لها ، ولفنها العظيم .

وللأسف وجدت من يصدقها ، ويدافع عن منطقها .. ساعتها عرفت لماذا يهزمنا أعداؤنا .. ولماذا نتقدم إلى الخلف .. وننسل إلى أسفل .. وهذا الادعاء الحيدري يعتبر مظهراً من مظاهير النرجسية أو توثن الذات الذي أصبح يهيمن عليه هذه الأيام .. ومن كلماته :

« حينما أتكلم بوضوح عن علاقة الرجل بالمرأة يشعر هذا الجيل التقدمي والتحرر بالقرب من هذا العمل الأدبي ، وعندما أقف بجانب المرأةأشعر أن الأنثى العربية تقترب من أعماقى حيث أتحاور معها ، وأدعوا إلى تحررها الحقيقي .. لا لهذا التحرر المزيف السادس .

يسأله السائل : أتعنى بذلك أنك تحدثت بلغة سابقة لعصرك ؟ يجيب حيدر : ربما يقول النقاد ذلك .. وفي النهاية الملتقي هو الحكم .. فمن الممكن جدًا أن ينظروا إلى أسلوبى على أنه الأبقى على مدار الزمن أكثر من أسلوب الواقعية الذى تعلمناه في المدارس والجامعات .. أقصد الأسلوب الأكاديمى .. ويمكن أن نسميه الجمالية الأسلوبية التي تقترب أكثر من الأجيال الجديدة ، وبالتالي تبقى أكثر <sup>(١)</sup>.

ويتحدث عن نفسه على أنه أجرأ من اقترب وعالج المحرمات الثلاثة : الدين .. والسياسة .. والجنس .. ويقول : إن الاقتراب للكتابة في هذه المسائل يحتاج إلى جرأة لا تتوافر في أي أديب آخر غيره <sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

٦ - ووصف حيدر روايته بأنها ليست خطاباً فكريًا أيديولوجيًا يحاسب عليه .. والشخصيات تعبر عن نفسها لا عما يؤمن به هو .. وقد تناول التنويريون جدًا في التركيز على هذا المعنى : المؤلف ليس مسؤولاً عما يرد على السيدة شخصيات الرواية لأنها شخصيات خيالية .. وكل ما يدور على ألسنتها خيالي مخترع فكيف يحاسب المؤلف على خيال في خيال ؟

وهذه المسألة بصفة خاصة تعتبر جوهرية أساسية في الموضوع كله لما يتربّط على حسمها من إدانة أو تبرئة .. وابتداء ذكر القارئ بقاعدة نقدية لا ينكرها أحد وهي أن الشعر يكون حظ «اللاوعي» فيه أقوى من حظ الوعي والتيقظ الفكري ، وربما كان الدفاع السابق أقرب إلى الشعراء منه لكتاب القصة ، ولا يفهم من هنا أنها نقر الشاعر على أن يقول ما يشاء حتى لو كان فيه هدم للقيم واسعة إلى المقدسات بحججة أنه حديث اللاوعي ومنطق اللاشعور .. والمقام لا يتسع لتفصيل هذه الحقيقة .. وبالنسبة للرواية - وهي أطول الأعمال القصصية - لا يختلف اثنان في أنها «من عمل الوعي» ونصيب اللاوعي فيها محدود ؛ وأثره لا يبدو على كل حال في التصميم الفني للقصة ، ولا في التعبير عنها إلا بقدر ..

(١) أخبار الأدب - العدد ٣٦٦ ص ٩ .

(٢) انظر : السابق ، الصفحة نفسها .

فقد يكون له أثر في تلوين الشخصيات ، وتصوراتها ، وأفعالها .. ولكن أثره ضعيف في التعبير عن هذه التصورات والأفعال .. لأن التعبير في القصة يتم في حالة وعي كامل .. لا كما يتم في الشعر في بعض الأحيان تحت تأثير تيارات لا شعورية تغمر الوعي وتغرقه لحظات »<sup>(١)</sup>.

فكاتب الرواية إذن مطلق الحرية ، ويعنى كامل : يضع تصميمها وتحيطها ، ويحدد مغراها الذى يفهم من السياق ، وبطريق غير مباشر <sup>(٢)</sup> ، ويحدد شخصياتها وطبيعتها ، وكذلك الأحداث والواقع ، والبيئة التى تتحرك فيها الأحداث والشخصيات والحل أو انفراج الأزمة أو العقدة .

فاختيار الشخصيات والواقع والأداء التعبيري يتم بإرادة حرة ، وإدراك واع ، ونظام محسوب .. وكل هذه العناصر توظف كلها - في بناء فنى متلاحم - لخدمة الهدف أو المجرى الذى تغييه الكاتب الروائى قبل أن يكتب حرفًا واحدًا فى روايته .

وأصبح من البدهيات النقدية في العصر الحديث أن العمل الفنى - مهما كان ضالعاً في الخيال - يكشف إلى حد كبير عن شخصية الأديب ، وواقعه النفسي والعقلى ، وتوجهه الأيديولوجي .. ومجموع هذه الآثار الأدبية حتى الخيالى المغض منها يستخلص منه ، بالنظر الفاحص ، والبحث المستبطن البصیر - طبيعة الأمة والبيئة والعصر .. حتى قال هيجل ( ١٧٧٠ - ١٨٣١ ) عن الملائم الطبيعية كالإلاذة والأوديسة : « من يقبل على دراسة ملحمة ما يكون قد أقبل على دراسة أمة بتاريخها ورمزياتها ، لتبيان مالديها من معطيات حيوية .. فمجموع الملائم العالمية يشكل تاريخ العالم بأجمل ما فيه ، وأكثره حيوية وحرية »<sup>(٣)</sup> .

ولأستاذنا الدكتور أحمد الحوفي كتاب طالعنه من نصف قرن مضى عنوانه « الحياة العربية من الشعر الجاهلى ». استطاع أن يقدم فيه أبعاد المجتمع الجاهلي في

(١) سيد قطب « النقد الأدبي أصوله ومتاهجه » ( ص ٨١ ) .

(٢) أحمد الشايب « الأسلوب » ( ص ١٠٩ ) .

(٣) انظر : ( أبو حافة : في الشعر الملحمي ٤١ ) .

وارجع كذلك إلى : ( موسوعة السياسة لعبد الوهاب الكيالى ، وآخرين : ٢١٤ / ٧ - ٢١٧ ) .

سلمه وحربيه ، وعاداته ، وتقاليده ، وديانته ، وطعامه وشرابه .. وكل ذلك اعتماداً على استنطاق الشعر الذى نقل إلينا عن الشعراء الجاهليين .. وبعد ذلك ، وعلى النهج نفسه قدم سفراً أضخم هو « المرأة العربية في الشعر الجاهلي » .

ومن الحقائق النقدية كذلك اختلاف الأساليب تبعاً لاختلاف المنشعين .. سواء أكانوا كُتاباً .. أم خطباء .. أم شعراء .. أم مؤلفين .. إلى غير هذا .. فالموضوع هنا واحد .. ولكن الأشخاص يتعددون ، فإذا بالأسلوب يختلف في الفن الواحد باختلاف هؤلاء الأدباء .. إذ نرى لكل منهم طابعاً خاصاً - في تفكيره ، وتعبيره ، وتصوирه .. ممتازاً به من الآخر في هذه العناصر .. وقد يصبح لنا بعد ذلك أن نقول مع القائلين : « الأسلوب هو الأديب » أو الرجل<sup>(١)</sup> .

وبناء على هذا التنظير - وهي قواعد لا خلاف عليها - يكون العمل الإبداعي دالاً على شخصية صاحبه فنياً وفكرياً .. ومن ثم تنشأ مسؤولية الميدع عن إبداعه ، فهو في مجال الرواية مثلاً لا يختار عناصرها من مشاهد وأحداث وشخصيات ومغزى إلا على أساس فكري ، وبوعي كامل .. وهو في الأداء التعبيري ينتقى أيضاً من الكلمات والعبارات سرداً وحواراً ما يعد أنساب الأساليب وأقدرها على خدمة المضمون والمغزى الذي يحرص على إقناع المتلقى به .

ولكن حيدر حيدر يصر - ورؤيه في إصراره كل « التنويريين جلداً » - على أن شخصيات الرواية في « وليمته » شخصيات خيالية ، تتكلم باسمها ومن ثم لا يكون مسؤولاً عما يجري على ألسنتها ، وما يدور بينها ، أو في داخلها من حوار .

وخيالية الشخصيات ، وما يرتبط بها من أحداث لا يصدق - كما يقول الدكتور أحمد صبرة « على مجال القيم والمعتقدات المعروضة في الرواية .. إننا لا يمكن أن نقول : إن القيم هنا قيم خيالية لا علاقة لها بالواقع ، أو إن معتقدات إحدى الشخصيات لا تجد لها نظيراً في المجتمع ، أو إن أحاسيس فلان في الرواية ليست بشرية إلا على سبيل المجاز<sup>(٢)</sup> .

(١) أحمد الشايب « الأسلوب » (١٢١) .

(٢) الدكتور أحمد صبرة « تحليل السرد الروائي » (ص ٢٧٨) من دراسة في مجلة فصول :

م ١٦ - العدد الرابع . ربيع ١٩٩٨ .

ومن عجب أن ينقض حيدر عمومية حكمه « بخيالية الشخصيات » ويعترف صراحة « بأن فلة بوعناب شخصية حقيقة قابلتها في الجزائر ، واخترت لها اسم (فلة) من عندي ، أعرفها جيداً ، هي مناضلة مخذولة ، وهي ضحية الثورة ، كانت مناضلة ، وحولوها إلى عاهرة .. وهي ليست عاهرة بمعنى الكلمة ، لأنها لا تعشق إلا من تحب <sup>(١)</sup> .. وذكرت على لسانها النقد الموجه للسلطة الانتهازية .. كل سلطة انتهازية في الوطن العربي <sup>(٢)</sup> .

وكل من كتبوا عن الرواية من مؤيدین ومعارضین - يجمعون ومعهم حيدر - على أن الروایة سياسية أيديولوجية ، وهذه الأيديولوجية الخاصة تعبّر عن مجموعة من الأفكار في رأس الكاتب .. وهذه الأيديولوجية يقدمها بطريقتين مختلفتين ، قد تكون على لسان الشخصيات ، أو عبر السرد الروائي ، أو توظيف اللغة الأدبية .. وكل هذه الأشياء تقدم مجتملاً رؤية الكاتب للعالم .. فإذا كان هناك كاتب عنصري ضد السود فسوف يقول عنمن يكرهه : إنه أسود أو عبد .. وإن كان ضد العرب فسيصفهم بالبرابرة .. فالأديب موجود بشكل أو باخر في عمله .. والادعاء بأن الكاتب لا علاقة له بشخصياته ادعاء غير صحيح .. ذلك أن الشخصيات تتنطق ، وتتكلّم وتتحرك طبقاً لرؤى الكاتب للعالم <sup>(٣)</sup> .

ويرى الدكتور عبد الغفار مكاوى <sup>(٤)</sup> أن فنية الأديب وقدراته العالية ينبغي أن تجعله يتتجنب الرلل الذي يصدّم الشعور الديني والأخلاقي العام .. وأديب كبير مثل دیستوفسکی عالج في « الإخوة كرامازوف » مسائل الإيمان والإلحاد بكل جرأة كفنان كبير ، ولا أظن أنه أغضب رجال الدين .. وكذلك فعل « جيته » في « فاوست » ..

والكاتب مطالب بأن يطرق أصعب المشكلات .. ولكن بروح فنية عالية .. « هنرى ميللر » تحدث عن الجنس كجزء من الحياة .. ولكن بشكل لا يدعو إلى

(١) هي ليست عاهرة بمعنى الكلمة لأنها لا تعشق إلا من تحب « عبارات غريبة جداً ، وهو يعني أنها لا تزاول الدعاية إلا من تفتح قلبها له .. وحيدر لا يعتبر هذا عهراً أو دعارة بمعنى الكلمة ..

(٢) روزاليوسف (ص ٢١ - العدد ٣٧٥٣ - ٢٠٠٠/٥/١٣) .

(٣) سلوى بكر في تحقيق حلمني التمنم ص ٥٣ ، مجلة المصوّر - العدد ٣٩٤٥ - ٢٠٠٠/٥/١٩ .

(٤) المصوّر : السابق (٥٣ ، ٥٤) .

الإثارة ، ولا يكون دعوة للفجور .. لأنه لو فعل ذلك فلن يكون أدبياً حقيقياً .

وقدم نجيب محفوظ الكثير من الشخصيات الشريرة والمنحرفة ولكن بمقدمة أدبية عالية .. وليس أدبياً كبيراً من يصدق الشعور بفجاجة وابتدا .. وحتى لو كان لديه شخصية ملحدة أو شاذة ، وخارجة عن المألوف فيمكنه أن يقدمها بشكل رمزي ، وأسلوب راق ، ومقدمة أدبية عالية .

\* \* \*

وفي مقام محاولة التعرف على مسؤولية الكاتب عما يكتب نرفض فكرة التفريق بين الكاتب (أو المؤلف) والسارد (أو الرواى) لغموض هذا التفريق من ناحية ، وخيالية الفكرة ، وعدم واقعيتها من ناحية أخرى .

فالروائى - كما يقول الدكتور مرتاض - حين يكتب رواية فهو الذى يكتب ، وهو الذى ينشئ الشخصيات .. ويظل حاضراً فى العمل الروائى .. فهو الذى يهندسه ، وهو الذى ينسجه ويدبرجه<sup>(١)</sup> .

وهذا الحكم يساعدنا على تبيان مسؤولية الكاتب حيدر حيدر عن المضامين التى عبرت عنها روايته .. واضح أن العناصر الروائية التى اشتهرت فى بناء الرواية لم تبلغ من فراغ فعلتها الكبير من طوابع شخصية الكاتب وثقافته ومنهج حياته وعقيداته ، وأيديولوجيته السياسية .. وهذا أمر طبعى لأنه يمثل قاعدة نقدية مسلماً بها ، مؤداتها أن الكاتب - أياً كان نوع العمل الأدبى الذى يكتبه - يستمد الكثير من تجربته الشخصية ، كما يعبر عن كثير من آرائه وأفكاره ، و موقفه العام من الحياة ومشكلات الإنسان فى بناء عمله الفنى ، ومن ثم كانت الحقيقة النفسية التى تقول : إن فهمنا لشخصية الكاتب - إذا كان ذلك متاحاً - يساعدنا كثيراً فى فهم عمله الأدبى وتفسيره<sup>(٢)</sup> .

١ - تبدأ مسؤولية الكاتب حيدر - لا في اختيار موضوع روايته .. فكل ما في الحياة ومن في الحياة يصلح أن يكون موضوعاً أدبياً أو روائياً - ولكن من

(١) في نظرية الرواية ٤٤١ .

(٢) الدكتور عز الدين إسماعيل : التفسير النفسي للأدب ٢٢١ .

اختيار شخصياته .. فكلها أو أغلبها شخصيات غير سوية : مهدي جواد .. مهيار الباهلى .. فلة بوعناب .. آسيا بلخضر ... شخصيات استغرقها الجنس الحرام ، وتحكمت فيهم الشهوانية البشعة ، وكأنها رسالة حياة ، وشرعية وجود .. وال الحاج محمد شخصية لا تعرف من الدين إلا مظاهره ، وكذلك الغلو والتطرف الباطل المقيت .. وزوج لا لا فضيلة (الثاني) يزيد ولد الحاج لا يهمه في حياته إلا متع الحياة من فراش .. وطعم .. وشراب ويعيش متسلطاً دكتاتوراً في أسرته .

٢ - والإدانة الثانية للكاتب تمثل في كثير جداً من الحوار الذي أجراه على ألسنة الشخصيات .. وهو حوار - في أغلبه ساقط شكلًا ومح토ى - كما ذكرنا من قبل .. وكانت صورة الشخصيات الشاذة التي رسمها حيدر نقطة دفاع عن سفول هذا الحوار .. فإذا ما اعترضت على هذا السفول أتك الجواب الغاضب : هذه هي الواقعية ، أتريد أسلوبًا رافقاً من عاهرة كفلة بوعناب ؟

والدفاع عن الرواية بأنها صورت الواقع حتى في أدائه التعبيري السائد في مسرح الأحداث .. ومن ثم توافرت لها المصداقية الفنية ... هذا الدفاع يعتبر ساقطاً بكل المفاهيم النقدية .. والدكتور فقط الذي تولى زعامة الدفاع عن الرواية يقول :

« ... فليس شرطاً إذن أن تتحدث الشخصية كما تتحدث في حياتها اليومية .. وليس من ضير أن يترجم المؤلف أفكار الشخصية وعواطفها من العامية التي تتحدث بها في واقع الحياة إلى ما يمكن أن تنطق به لو أتيح لها أن تتكلم بالفصحي .. فالواقعية ليست واقعية مادية ، ولا محاكاة حرافية للواقع .. ولكنها واقعية فنية تصور ما يمكن أن يكون »<sup>(١)</sup>.

فمن البدهيات النقدية أن التعامل الواقعي الفني مع معطيات الحياة يخضع لمبدأين :

الأول : مبدأ الانتقاء .. فالمبدع ينتقى من الحياة الواقع والأحداث والشخصيات التي يوظفها في عمله الأدبي .  
والثاني : مبدأ التصفية أو التنقية مروراً بالوجдан الفاعل ، والعقل المميز

(١) عبد القادر القط « من فنون الأدب » (ص ٣٩) .

القدير .. وإن كانت الواقعية .. واقعية تسجيلية راصدة .. تدخل في نطاق العلوم الإنسانية .. كالاجتماع والتاريخ .

\* \* \*

وإذا سلمنا جدلاً بأن الكاتب الروائي غير مسئول عن الحوار الذي يدور على ألسنة الشخصيات فهو مسئول عن أسلوبه ومضمونه في السرد حيث إن مساحة الحرية الممنوحة له أوسع مدى ، وهو في هذه الحالة لا يستطيع أن يزعم أنه واقع تحت سطوة شخصية من شخصياته يحرص على أن يجري على لسانها ما يناسبها .. وفي سرد الوليمة من معجم السقوط الجنسي والديني الكثير .. زيادة على عرض كثير من ملامح الأيديولوجية الماركسية .. فهو يرى في سرده الروائي أن المسيرة التاريخية لا ولن يستقيم أمرها إلا إذا وجهته هذه الأيديولوجية .. كتب عن مهيار الباهلي أحد رعوس الماركسية ، ورفيق مهدي جواد في « النضال » « ... والأمر ما خارج عن طوعية مهيار ورغبتة ، واندفاعه وبراءته ، وصدقه اللامحدود ، ونبله ، كان التاريخ ينأى عن متناول يديه ، ويتشكل كالأباريق على أيدي خرافين آخرين يصنعون التاريخ بشكل مغلوط ومشوه يدعوه للرثاء .. وفي غضون جبهته وخطوطها الخمسة كان يتجلى الألم والغضب مما .. هناك كنت تقرأ أن الأشياء ليست هي الأشياء التي يبغيها ، وأن هذه التغضبات والتموجات الصبدية تشكلت من هذه الخيانة الواقعية للتاريخ الملعون الذي صدم تهيئات النفس بما لم تكن تتوقع<sup>(١)</sup> .

وكثيراً ما تعرض الرواية بالوصف والسرد مشاهد جنسية صارخة غاصبة بالأسماء الجنسية الصريحة ، وقد يستغرق المشهد الواحد عدة صفحات ، ويتبليس فيه السقوط الجنسي بالجزأة على الدين ، والاستهانة بالمقدسات .. كهذا المشهد الطويل العريض للقاء آثم طال بين مهدي جواد ، وتلميذته آسيا بلخضر .. ومنه العبارات الآتية التي تعتبر أقل حدة من بقية العبارات الصريحة الصارخة في المشهد :

(١) « الوليمة » ( ٢٥٦ ) .

(٢) انظر : ( الوليمة ص ٦٧٦ ، ٦٧٧ ) .

- ... لأول مرة يستحمان معًا بعريهما الكل .. هي ترى تفاصيل جسده ، وهو بري !! .
- ... وهي تتجلى تحت البصر الآن ( عارية ) فاقدة قداستها وحرمتها الدينية أكثر جمالاً وطفولة وتناسقاً وتطهيرًا للنفس !! .
- بين الضحك .. ورشق الماء .. والبداءات المقدسة .. والتضام العاري .. والصيحات البدائية كانت النشوة .

\* \* \*

وقد ذكرنا في ختام القسم الأول من هذا الكتاب أن كاتب الرواية حيدر حيدر - وقد أرهقها بسييل لا ذوقى ولا أخلاقي ولا دينى من الألفاظ والتراتيب - كان مندفعاً بالوعى أو اللاوعى أمام ضغط معجم لغوى خاص .. وهذا الإفراز اللغوى المنكود المرفوض يفتح المجال - فى سماحة - لدراسة شخصية حيدر بكل أبعادها !! .

والمعجم اللغوى الخاص يعني أن المبدع يكثر من توظيف ألفاظ معينة فكأنها لازمة من لوازمه الفنية والفكرية . ومنها يمكن استخلاص أحکام تتعلق بالكاتب . فإذا ما أخذنا المتنبى مثلاً رأينا أبي العلاء المعري فى رده على رسالة ابن القارح يقول : « ... كان الرجل مولعاً بالتصغير ، لا يقنع من ذلك بخليفة المغير كقوله :

- مقالى للأحيمق يا حليم

- ونام الخويدم عن ليانا

- أفى كل يوم تحت ضيئنى شويعر

وغير ذلك مما هو موجود في ديوانه ، ولا ملامحة عليه .. إنما هي عادة صارت كالطبع <sup>(١)</sup> ، وكان ابن القارح في رسالته إلى أبي العلاء يعترض على قول المتنبى : « أذم إلى هذا الزمان أهيله » .. وجاء رد المعري ملاحظاً ظاهرة التصغير في شعر المتنبى ، مجيزاً لها .. وهذا ما لاحظه عباس العقاد ، ورأى أن إكثار المتنبى من

---

(١) « رسالة الغفران » ( ٢٨ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ) .

استخدام صيغ التصغير ليس عادة صارت كالطبع .. إنما هي عادة في الطبع والخلق .. فهى « من الطبع ، وفيها ترجمة عنه ، ومجارة لوازمه »<sup>(١)</sup>.

وهذه السمة اللغوية هي مظاهر من مظاهر طموحه وتعاظمه ، وشعوره الضخم بذاته « فإذا أزدرى شيئاً ضئيلاً ، أو رجلاً حقيراً فذلك أزدراء يشوبه الضغف ، ويضاعفه ظل العظمة الملقى عليه .. فإذا الشيء شوئ ، وإذا الرجل رجيل ، وإذا عادة المبالغة في الاستصغار موصولة بعادة المبالغة في التفخيم ، أو هي هي ... وأكثر ما يرى المتنبي « مصيغراً » حين يهجو مغيطاً محنتاً ، أو يستخف متعالياً محتقراً ، كما يقول في كافور :

أولى اللئام « كُوِّفِير » بمذكرة في كل لؤم وبعض الغدر تفنيه  
ومن تصعييراته في شعره ( الخويدم - ثوبية - « تصغير ثوبية » - ثوبى  
« تصغير ثوبى » - أحيمق - شوير - أهيل ، شويهات - أطيفال ... )<sup>(٢)</sup>.

وقد تتبع العقاد ما في ديوان أبي نواس من ألفاظ الجنس والشذوذ والتهتك ، وخلص منها إلى أنه كان مصاباً بأفة النرجسية ، وما يلحق بها من لوازم مثل الاشتقاء الذاتي ، والتوثيق الذاتي<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

والمعجم الحيدري - أو معجم الهبوط - كما سميته ، وقد عرضناه في الجزء الأخير من القسم الأول من هذا الكتاب - يقودنا إلى صورة كاتب أيسر ما يقال عنه أنه مستهين بالقواعد والقيم الدينية ، والثوابت الأخلاقية ، والأعراف الاجتماعية ، مما جعل الدكتور فؤاد زكريا يصفه :

« بانعدام الحس الاجتماعي » مما جعله يستخدم في حواراته عبارات بدائية تخرج مشاعر المسلمين بحرجاً عميقاً ، وعذرها كما يقال هو أنه كان ي يريد أن

(١) العقاد « مطالعات في الكتب والحياة » ( ص ١٨٢ ) .

(٢) انظر : ( العقاد : السابق ١٨٩ ، ١٩٠ ) .

(٣) انظر : ( العقاد : أبو نواس : الحسن بن هانئ ٦٦ - ٣٣ ) ، وانظر : ( جابر قميحة : منهج العقاد في الترجم الأدبية ٣٨١ - ٣٨٦ ) .

يعرض وجهة نظر الشخص الملحد .. مع أن هاك طرقاً عديدة يمكن بها التعبير عن موقف الإلحاد لا تتضمن تلك العبارات السوقية البذيئة »<sup>(١)</sup>.

هذا زيادة على ضعف الحس الأدبي في مراعاة قواعد الذوق ، وانعدام الحس الديني ، حتى أنه يتحدث عن نفسه - باعتداد زائد - بأنه أجراً من اقتراب ، وعالج المحرمات الثلاثة : الدين والسياسة والجنس . ويقول : إن الاقتراب للكتابة في هذه المسائل الثلاث يحتاج إلى جرأة كبيرة لا يمكن أن تتوافر في أى أديب آخر غيره<sup>(٢)</sup>.

وقد انتهت الدراسات النفسية إلى الوصول إلى عدة حقائق تتعلق بالخصائص الكبرى للتفكير الإبداعي من أهمها الحساسية المرهفة لإدراك ما تنطوي عليه مواقف الحياة المختلفة من ثغرات أو مشكلات . وتعتبر هذه الحقيقة نقطة الانطلاق للتفكير المبدع<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

٧ - وقد هوجم حيدر لأنّه أتى بنص في روایته يصف القرآن بأنه خراء ..  
والنص حرفيًا هو :

« الوعي العميق بالتاريخ غائب وهؤلاء يهمشون التاريخ ، ويعيدونه مليون عام إلى الوراء .. في عصر الذرة والفضاء والعقل المتفجر يحكموننا بقوانين آلهة البدو وتعاليم القرآن خراء !! .

والعبارة السابقة جاءت على لسان مهيار الباهلي وهو يتحدث على الشاطئ في جلسة حضرها مهدي جواد وفلة بوعناب .. وقد دفع حيدر حيدر هذه التهمة عن نفسه بما يأتي :

(أ) كلمة خراء قبلها نقطة ، وبعدها علامة تعجب ، فهي مقطوعة الصلة بالقرآن . والمقصود وصف الهذيان الذي هم من على المتكلم .

(١) حقائق غائية في قضية الرواية . مقال للدكتور فؤاد زكريا ص ٥٦ - المصور - العدد ٣٩٤٥

(٢) أخبار الأدب - العدد ٣٦٦ ، ص ٩

(٣) الدكتور مصطفى سيف : الشروط الاجتماعية للإبداع (١٤ - ٢٢) من مجلة فصول .

(م ١١) - العدد الأول - ربيع ١٩٩٢

- (ب) جاء بعد ذلك من يرد عليه (وهو مهدي جواد) .
- (ج) كلمة الحراء ، وخصوصاً إذا جاءت مع الرب لا تعنى الإساءة إلى الله ، ولكنها تعنى خلصنا من هذه الحكاية .

\* \* \*

وهو دفاع هزيل ساقط لأن بقاء النقطة لا يغير من المعنى شيئاً .. بل يرفع من درجة سريان الوصف للقرآن وما قبله . وتكون الكلمة في هذه الحال خبراً لمبدأ محدود تقديره (هي) أي (المذكورات السابقة) . ومن ثم فهي جزء من الفقرة ، ولا تصلح أبداً أن تكون بداية للفقرة التالية ف بدايتها « كان مهدي جواد يتملى البحر من خلال الزجاج ... » .

ولا تصلح أن تكون بدايتها :

« حراء كان مهدي ... » .

وبعد كلمة « حراء » في الطبعتين فراغ بمساحة ثلاثة أربع سطور .. وفي السطر التالي تبدأ الفقرة الجديدة مسبوقة « بالبياضة » التي تدل على بداية الفقرة .

وقول حيدر بأنه قد جاء بعد ذلك من يرد عليهما يعني أنه يكذب نفسه .. لأنه يثبت هنا أن الوصف غير لائق ، فكان لا بد أن يكون هناك من يرد عليه .

ووجود من يرد عليه كذبة أخرى وبعد الفقرة السابقة مباشرة والمسبوقة بـ (حراء) :

كان مهدي جواد يتملى البحر من خلال الزجاج المغش . مراقباً الدوران الألهي لطيور النورس التي تقترب من الصيادين ، وقد شحيبت ظلالهم فوق الصخور ، ولکى يبعد عن رأسه نظير الكلمات الضخمة التي يطلقها عقل السيد الباهلي الملتاث كان يسلس العنان لخياله ، متقمضاً ريش طائر بحرى ... <sup>(١)</sup> .

وهذه الفقرة لا تحمل ردًا ، ولا شبه رد .. فمهدي لم ينطق بكلمة واحدة ،

---

(١) « الوليمة » (١٢٩) .

والفقرة وصف لمهدى وخواطره ومحاوله هروب النفسى من ثرثرة مهيار الذى أفسد الجلسة الجميلة الشاعرية بمحاضرة ثقيلة لا تناسب هذه الجلسة الجميلة الشاعرية .. فهى محاضرة ثقيلة ، بكلمات طنانة يطلقها عقل ملتاث فى مقام لا يناسبها ، لأنه مقام متعة .

\* \* \*

وقد خالطت فى العمل الجامعى ، والأعمال العلمية ، وسنوات الدراسة الجامعية .. لعشرات من السنين — إخوة من الشام والعراق والجزائر ، فما سمعت واحداً منهم استعمل كلمة الخراء بالمعنى الذى ذكره حيدر .  
إنها عملية كذب .. وتزوير .. وهروب غير شريف .

٨ - أما إساءة الرواية إلى الجهاد الجزائري حتى في أنقى فتراته فهو أوضح من أن تحتاج إلى شرح وتفصيل .. وليرجع القارئ إلى الكلمات التي أجراها حيدر على لسان فلة بوعناب المناضلة التي كانت تزاول الدعاية مع المجاهدين في كهوف الجبال .. فكيف يتفق هذا مع مشهدهم وهم « يهبطون من الجبال المصبوغة بالدم ، ويهللون بتكبيرات عصور الفتح الأولى ، وكل مجاهد علق على صدره قرآنًا عربيًا كان بثابة الرقية ضد رصاص المستعمر الصليبي »<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

لقد قال الرجل ، وما زال يقول ، ومن حقه أن يستشعر الاستعلاء ، ويميل رأسه صيّدا ، وينظر إلى معارضيه من علٍ ، وهو يرى الصحافة المصرية « القومية جداً » ، وكل الصحف المستقلة والحزبية تلمعه بجنون ، وتنفح فيه بخبث ، وتعانقه في حرارة ، ويرى وزير الثقافة المصرية يعلن أن الرواية تدعوا للإسلام ، وتنتصر له ، ويرى شخصيات من الوزن الصحفى التقليل تسعى إليه فى قريته ، وتحقق حلم حياتها بحدث معه ، أو « أخذ » صورة بجانبه فى « أوضاع » متعددة ،

(١) « الوليمة » (٥٠٣) .

ويرى صحيفة مصرية تنشر إبداعه « الفذ » على حلقات .. وأراني أردد قول رسول الله ﷺ : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

\* \* \*

لقد عرضنا في الصفحات السابقة تقرير لجنة الدكتور القط ، ورأينا ما فيه من دفاع عن الرواية الحيدرية مستميت ، وهو دفاع في مجموعه وتفصيلاته يجافي الحق والحقيقة .

كما عرضنا دفاع حيدر عن نفسه وعن روایته ، ورأينا ما فيه من هشاشة وسقوط . وبينما كنا نهم بدفع كتابنا هذا إلى المطبعة - بعد الجمع التصويري والمراجعة - فاجأنا الأستاذ محمد حسين هيكل بدراسة عميقه نالت فيها رواية حيدر مساحة واسعة <sup>(١)</sup> وأعتقد أن « الشورين جداً » حتى الغلاة منهم لن يتهموا الأستاذ هيكل بأنه لم يحسن قراءة الرواية ، أو أنهقرأها قراءة ردية ، أو أنه أساء فهمها ، أو عجز عن فهم ما وراء النصوص والعبارات ... إلخ .

ومن الأحكام التي ساقها في دراسته ما جاء موافقاً لما في هذا الكتاب ، ومنها جديد لم نعرضه ، ولم يعرضه أحد من قبل ، بقدر علمي . وخصوصاً ملاحظاته التي تسجل وجود شبه أو اختلاف بين سلمان رشدي وروايته « آيات شيطانية » من جهة ، وحيدر حيدر وروايته « وليمة لأعشاب البحر » من ناحية أخرى ، وفي السطور التالية نقدم أهم النقاط التي تتمثل رؤية الأستاذ هيكل في هذا المجال :

١ - ما أثير حول قصة نشر رواية حيدر في مصر لم يكن في حقيقة أمره مسألة تتصل بالحرية . ولكن جوهر القضية أن مؤسسة من مؤسسات الدولة - هي وزارة الثقافة - أعادت نشر الرواية ، وهذا يعتبر قراراً بتركية العمل عن رغبة في تعميم فائدته الأدبية ، زيادة على الدعم المادى ، فالنسخة الواحدة تتكلف عشرة جنيهات ، وتبيع بأربعة جنيهات فقط .

٢ - كان الأسلوب الذي لجأ إليه الدفاع عن « الوليمة » هو الاستدعاء الوهمي لقيم عظيمة في غير مجالها ، مثل الحق والحرية ، ومثل الاستنارة والتنوير ،

(١) على أطراف الدين والسياسة والأدب (٤ - ١٣) - وجهات نظر - العدد ١٨ - السنة

الثانية - يوليو ٢٠٠٠

ومثل العلم والثقافة . وجرى رسم الخطوط لمعارك مهيبة : مثل الانتصار للعقل ضد الخرافات ، والوقوف مع الفن والأدب ضد الجهل والأسطورة ، والتقدم مع جيوش النور حتى تندحر جيوش الظلام ... إلخ . والحقيقة أنه ليس هناك ما يسّى إلى القيم مثل استدعائهما إلى غير مجالها .

٣ - تصرف وزارة الثقافة على عجل ، كما يتصرف رجل وقعت من حوله المجدان أثناء وجوده في الحمام ، وأخذته المفاجأة فلم يعرف كيف يتصرف . وعجزت لجنة الأدباء والكتاب أن تجد لها مخرجًا في مطلب الحرية والتنوير ، لأن ذلك لم يكن موضوع الأزمة ، لأن موضوعها كان تزكية عمل مدعم بأموال الشعب .

٤ - راح الأدباء والكتاب المدافعون عن الرواية إلى اعتبار أنفسهم « هيئة مثقفين » لها تكوين وتنظيم وسلطة دون معيار متفق عليه ، وبغير اعتراف ينبع الشرعية بالقبول . ثم صدرت منهم بيانات لم يتتبّع أصحابها أنّهم خسروا المعركة قبل الطلقة الأولى ، فقد استطاع الآخرون وضعهم في موقف يبدو وكأنه معادٍ لقيم الدين والفضيلة .

٥ - ومن مقولات هؤلاء أن النص الروائي يفهمه المتذوق الفني ، وليس القارئ العادي .

وذلك منطق يجعل العمل والنقد الأدبي « دردشة » بين أفراد صفة تعرف بعضها ، وتتلاقى في دوائرها ، وتقن لغة خاصة يجري لها الحديث بين أصحابها بما يغنى عن الكلام مع بقية الناس .

٦ - ويدعى هؤلاء أن بعض العبارات المقطعة من نص « أدبي » اجتزاء متعمد لبعض نصوصه . وهذا غير صحيح على إطلاقه ؛ لأن جمهورهم لم يقرأ أعمال أفلاطون ، أو أرسطو ، ولا « رسائل إخوان الصيف » أو « مقدمة ابن خلدون » ، لكن هؤلاء اطلعوا على أجزاء وإشارات أعطت للجزء مصداقية الدلالة على الكل . وكتاب « رأس المال » لكارل ماركس الذي قسم العالم إلى معاشرين عقائديين ونوعيين لم يقرأه كاملاً إلا بضع مئات من العلماء والدارسين على امتداد قرن ونصف ، ولم يكن هناك من قرأ ، وإنما كان هناك من سمع .

٧ - ومن نقط الالتقاء بين حيدر حيدر وسلمان رشدي :

(أ) ادعاء كل منهما ، وادعاء من دافع عنهم أن « الرواية » تمثل « دفاعاً » عن الإسلام ، وقد رأينا وزير الثقافة المصري « والتنويريين جداً » يصرون على أن روایة الوليمة تعلی من شأن الإسلام والتجربة الدينية .

(ب) تبرئة الكاتب اعتماداً على نظرية « التخييل » : فأبطال « الوليمة » عليهم وحدهم مسئولية ما نطقوا به في حوارات « المتخييل » من مشاهد القصة ، وهو - كما يقول هيكل - صدى لدفاع « سلمان رشدي » بقوله أن المغضوب عليه في سياق « آيات شيطانية » لم يكن غير أحلام رآها النائم في نومه . وهل يسأل نائم عن الأحلام حين تزور ؟

(ج) وهناك وجه شبه طارئ على شخصية الرجلين وهو « الشعور الحاد بالتضخم النرجسي » ، وقد ذكرنا في الصفحات السابقة من الكتاب أن حيدر حيدر كان يفخر بأنه « أجرأ » كتاب العربية على الخوض في الدين والسياسة والجنس ، وأن أسلوبه هو أسلوب المستقبل ، وأن الهجوم عليه هجوم ظلامي على التنوير والثقافة والعقل والحرية ... إلخ .

وننقل عن هيكل سطوراً مما روتته زوجة « سلمان رشدي » التي عاشت معه أيام صدور روايته ، وهي الكاتبة الأمريكية « ماريان ويجنز » ... كان سلمان سعيداً وهو يستمتع بالضجة التي ثارت حوله ، وبالشهرة التي تحققت له ... وأنها وجدته رجلاً أنايئاً بلا قضية حقيقة ، وأن الضجة من حوله أضافت إليه « ورماً من الغرور بحجم الفيل ... » .

\* \* \*

هذه شهادة هيكل ، وهي شهادة تاريخية مهمة ، وترجع أهميتها إلى أن التنويريين جداً يعجزون عن اتهامه بأنه لم يقرأ رواية حيدر ، أو أنه قرأها قراءة ردية ، أو أنه واحد من « الظلاميين » .

وعوداً على بدء نذكر القارئ بأن حيدر والتنويريين وظفوا كل الوسائل في الدفاع والعدوان ، ومنها التزوير ، والمعالطات والبلاغ باللفاظ ، واستدعاء المسؤولين . وما يؤسف له أنهم أقحموا كتاب الله العظيم في الدفاع عن حيدر وعن مستنقعه العنف . وهذا ما نفصل القول فيه في الصفحات التالية .

[ ٣ ]

## وبالقرآن يدافعون عنه !!!

باب جديد طرقه الذين يدافعون عن حيدر وروايته ، ما كنت أحب أن يطرقه لأنه لا يخدم غرضهم إلا في الظاهر ، وعلى سبيل التعسف والتعمت والافتعال .. وأعني به الاستشهاد بالقرآن الكريم في تبرئة حيدر من إثم العبارات الساقطة التي تسيء إلى الدين والقيم والخلق . واستعانتهم بالأيات القرآنية يعتمد على تنظيم أجزاء القضية على النحو الآتي :

- جاء في القرآن على السنة أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين واليهود أقوال تعبير عن كفر بواح وإساءة إلى القرآن والرسول ﷺ .  
فمسئوليّة هذه الأقوال واقعة على أصحابها .

- وجاء حيدر بعبارات سيئة يفهم منها الإساءة إلى الدين والخلق على السنة شخصيات روایته « وليمة لأعشاب البحر » وهي شخصيات خيالية مخترعة ، وهذه الأقوال السيئة تعبير عن جوانبهم ومعتقداتهم .  
ومن ثم لا تقع المسئولية على كاتب الرواية .

\* \* \*

وفي الصحف والمجلات رأينا حماسة قوية للفكرة التي عبر عنها أصحابها بمقالات ذات عناوين زاعمة مثل : هل نصادر القرآن<sup>(١)</sup>؟ هل نحذف الآيات التي تعرض حجج المشركين من سُكْنَى اللَّهِ<sup>(٢)</sup>؟

(١) مقال لرجب البنا : مجلة أكتوبر - العدد ١٢٣٠ - ٢٠٠٠/٥/٢١

(٢) مقال محمد مسعد - صحفة القاهرة - العدد الخامس ٢٠٠٠/٥/١٦ ، وانظر كذلك مقالاً بعنوان : إساءات الكفار للذات الإلهية ، للدكتور عبد الله التجار ( ص ١٦ ، ١٧ ) من مجلة روزاليوسف - العدد ٣٧٥٤ - ٢٠٠٠/٥/٢٠

ولكن التشبيه أو الفياس مع الفارق الكبير جداً ، ولو أن « حيدر » استأنس بمنهج القرآن ، وأخذ نفسه .. ولو ببعض ملامحه ما عرض نفسه للبلاء أو المؤاخذة :  
١ - فما أورده القرآن من أقوال أعداء الإسلام أقوال حقيقة واقعية منسوبة لشخصيات حقيقة ، وإن لم يورد أسماء أصحابها .

أما الحوارات في الرواية فهي كما يقول كاتب الرواية خيالية منسوبة لشخصيات من صنع الخيال .

٢ - أقوال أعداء الإسلام جاءت في القرآن - على ما حملت من كفر وافتراضات - بلسان عربي مبين ، وأسلوب رفيع ينسق مع الأداء القرآني المعجز .  
أما الحوارات الحيدرية فكثير منها سوق هابط المستوى قبيح الخيال .

٣ - يورد القرآن أقوال المشركين وحججهم ، ويعقبها بالرد عليها بحجج وأدلة مفصلة ، أو موجزة ، أو بتهديد ووعيد .

أما أغلب ما أثير في الحوار الحيدري فلم يردد معه ردود ، وكذلك ما أثير في السرد من باب أولى .

٤ - ما جاء في القرآن من مواجهة ودفاع كان ترسياً لحقائق ومفاهيم بدونها لا يستقيم الوجود الإنساني الرаци والعقل الرشيد ، والعلاقة الإنسانية الطيبة ، والقيم الحية البناءة .

أما معارضات الرواية من حوار وتعليقات عليها فلم تكن تهدف إلى هذا أو بعضه .. إنما كانت في مجموعها تجربة للعقيدة والmorثات ، وإثارة للغرائز الدنيا ، ونقضاً للحد الأدنى من الذوق .. وهذه الطوابع لا يعدمها القارئ في تصاغير السرد الروائي كذلك .

\* \* \*

وأعداء الإسلام الذين اعترضوا عليه ، وحاربوه ، وتقولوا عليه يتمثلون في فئات ثلاثة : الكفار والمنافقون واليهود .. ونحاول فيما يأتي أن نعرض بعض مفتريات هؤلاء كما عرضها القرآن لتتبين طريقتهم ونهجهم في النيل من الدين والقرآن والرسول ﷺ ، وكذلك تفنيد القرآن لدعواهم وادعاءاتهم لتوضيح منهجه كذلك في هذا السبيل .

ولنبدأ بالكافر وبعض مواقفهم وأفاؤيلهم :

مع بداية الدعوة لما نزل عليه ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾<sup>(١)</sup>  
 صعد الصفا فقال : « يا صاحاه » فاجتمعت إليه قريش فقالوا : مالك ، قال : « أرأيكم إن أخبرتكم أن العدو مصباحكم أو نسيكم أما كنتم تصدقونني ؟ » قالوا : بلـى . قال : « فإـنـى نـذـيرـ لـكـمـ بـيـنـ يـدـىـ عـذـابـ شـدـيدـ » ، قال أبو لهب : تـبـاـ لـكـ .. أـهـلـهـ دـعـوـتـناـ وـجـمـعـتـناـ ؟ فـنـزـلـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيِّضَلِي نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَةٌ حَمَالَةُ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَسَدٍ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالرد القرآني هنا جاء على سبيل الوعيد المفصل مع بيان أمرين :

الأول : أن المركز المالي والاجتماعي لأبى لهب لن ينقذه من النار .

والثانى : إشارة إلى جريمة من جرائم امرأته ، وهى إلقاء الشوك فى طريق الرسول ﷺ ، فجاءت « حـيـثـيـةـ » لإدانتها وتعذيبها .. وإن لم يكن لها يوم الصفا حضور أو اعتراض على النبي ﷺ

\* \* \*

ووصفوا القرآن بأنه سحر ، وأنه أضغاث أحـلـامـ ، وأنه أساطير مملأة على محمد ﷺ ، وأنه قول بـشـرـ .

- ﴿ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سُخْرَيْرٌ ﴾<sup>(٣)</sup>.

- ﴿ ... وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءُهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سُخْرَيْرٌ مُّبِينٌ ﴾<sup>(٤)</sup>.

- ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحـلـامـ ... ﴾<sup>(٥)</sup>.

- ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الشـعـراءـ ، الآية (٢١٤) . (٢) سورة المسـدـ ، الآيات (١ - ٥) .

(٣) سورة المـدـرـ ، الآية (٢٤) . (٤) سورة سـبـاـ ، الآية (٤٣) .

(٥) سورة الأنـبـيـاءـ ، الآية (٥) .

(٦) سورة الفـرقـانـ ، الآية (٥) .

- ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلَمُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد نفى القرآن الكريم كل هذه الافتاءات في آيات متعددة ، وبين مصدر القرآن ، وصفاته الجليلة .. ومن ذلك قوله تعالى :

- ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ \* وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَأْكُرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

ومن وسائل الكفار في التضليل محاولة « تعجيزهم » لرسول الله ﷺ بطلب لا يهضمها عقل ، ولا يستطيع أن يتحققها أو يحقق بعضها إنس أو جن .. فإذا ما ظهر عجز النبي ﷺ عن ذلك أشاعوا أنه ليس بشي مرسلا ، لأنه عاجز عن الإتيان بالمعجزات .. ومن هذه الطلبات التعجيزية ما عرضه القرآن الكريم في الآيات التالية من سورة الإسراء :

﴿ وَلَقَدْ صَوَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا \* وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجِرْ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا \* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةً مِنْ نَخْيَلٍ وَعَنْبَ قَشْفَجَرِ الْأَنْهَارِ خَلَالَهَا تَفْجِيرًا \* أَوْ تُنْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كَسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا \* أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُوفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرِيقِكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ فُلْ مُبَبَّحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا \* وَمَا تَنَعَّمَ النَّاسُ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءُهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَقَتِ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا \* قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَنْشُونَ مُطْهَثَّيْنِ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكان الإيجاز المكثف هو أقوى الردود وأوفها على هذا التعجيز المفصل .. إن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .. والاعتراض على الرسول البشر ،

(١) سورة النحل ، الآية (١٠٣) .

(٢) سورة الحاقة ، الآيات (٤٠ - ٤٢) .

(٣) سورة الإسراء ، الآيات (٩٠ - ٩٥) .

أو بشرية الرسول ﷺ كان قائماً في نفوس الناس من قديم .. ولكن الله لم يستجب للناس في هذه لطفاً بهم ، وذلك لاختلاف الطبيعتين . خلقاً وخلقاً : الملائكة الذين خلقوا من نور ، والبشر الذين خلقوا من طين<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وقد رسم القرآن الكريم ملامح صورة المنافقين في دقة ووضوح فاضحاً أكاذيبهم وأباطيلهم ، كما نرى في الآيات الآتية :

- ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ \* يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ \* فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادُوهُمُ اللَّهُ مَرْضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْدِبُونَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُضْلِلُونَ \* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا آنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السَّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ \* وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَّنَا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعْكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُشَهِّرُونَ \* اللَّهُ يَسْتَهِرُ عَلَيْهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَغْمَهُونَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحُتْ تِبْحَارُهُمْ وَمَا كَانُوا مَهْتَدِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

لقد قدمت آيات سورة البقرة صورة جامدة للمنافقين ، وثمة ملامح أخرى عرضتها آيات أخرى ، منها :

- ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَاونَ عَنِ الْمَفْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيهِمْ نَسْوَةُ اللَّهِ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وهم جبناء كذابون ، ولا يبالون أن يحلفو بالله كذباً وزوراً جرياً وراء نفع أو اتقاء عقاب .

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٦٧ - ٨) .

(٢) سورة البقرة ، الآيات (٨ - ٦٧) .

(٣) سورة التوبة ، الآية (٦٧) .

- ﴿ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكُنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .
- ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .
- ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ... ﴾<sup>(٣)</sup> .
- ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَاحًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ولخطورة النفاق حكم الله سبحانه وتعالى على النفاق بأنه كفر ، وأن مصير المنافقين والكافر سواء : ﴿ وَقَدْ نَرَأَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفِّرُ بِهَا وَيُنَسِّهِرُ أَبْهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مُّشَلِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾<sup>(٥)</sup> .

وفي الآية توجيه كريم لل المسلمين لا يجالسوا المنافقين وهم يخوضون في أحاديث الكذب والنفاق حتى لا يحكم عليهم - وهم ساكتون لا يعترضون - بأنهم منهم ، أو أنهم قصرموا في الدفاع عن الإسلام .

ومنهم جماعة يؤذنون رسول الله ﷺ ويعيبونه ، ويقولون هو أذن سامة يسمع من كل أحد ما يقول فيقبله ويصدقه<sup>(٦)</sup> .

ومنهم من يقول : إن عاتبني حلت له ما قلت هذا ، فيقبله ، فإنه أذن سامة ، أى مستمع وقابل<sup>(٧)</sup> ، وفي هؤلاء يقول تعالى : ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنٌ قُلْ أَذْنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ذَلِكَمْ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾<sup>(٨)</sup> .

\* \* \*

(١) سورة التوبه ، الآية (٥٦) .

(٢) سورة التوبه ، الآية (٦٢) .

(٣) سورة المائدون ، الآية (٧٤) .

(٤) سورة النساء ، الآية (١٤٠) .

(٥) « تفسير الطبرى » (٢١٥/١٠) .

(٦) « تفسير القرطبي » (٣٠٣١/٤) .

(٧) سورة التوبه ، الآية (٦١) .

أما اليهود فكان أمرهم أشد وأنكى .. فقد دأبوا على الإساءة إلى الرسول ﷺ والصحابة ، ووصف الله سبحانه وتعالى بما لا يصدر إلا من الكفار والملحدة .. مع أنهم أهل كتاب .. من ذلك الخبر التالي الذي نقله إلينا ابن هشام في « السيرة النبوية » : دخل أبو بكر بيت « المدراس »<sup>(١)</sup> على يهود وقد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له : « فنحاص » ، وكان من علمائهم وأحبارهم ، ومعه حبر آخر من أحبارهم ، فقال أبو بكر - رضي الله عنه - لفنحاص : ويحك يا فنحاص ! اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً لرسول الله ﷺ ، قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل ؛ فقال فنحاص لأبي بكر : ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، ومانتضሩ إلـيـه كـمـا يـتـضـرـعـ إـلـيـنـا ، وإنـا عـنـه لـأـغـنـيـاءـ ، وما هو عـنـا بـغـنـىـ ، ولو كان عـنـا غـنـىـ ما استقرضـنـا أـمـوـالـنـاـ كـمـا يـزـعـمـ صـاحـبـكـمـ يـنـهاـكـمـ عن الـرـبـاـ وـيـعـطـيـنـاـ ، ولو كان عـنـا غـنـىـ ما أـعـطـانـاـ الـرـبـاـ .. ففضـبـ أبو بـكـرـ وـضـرـبـ وـجـهـ فـنـحـاـصـ شـدـيـدـاـ ، وـقـالـ : وـالـذـي نـفـسـيـ بـيـدـهـ ، لـوـلاـ عـهـدـ الـذـي بـيـنـنـاـ وـبـيـنـكـمـ لـضـربـ رـأـسـكـ .

فذهب إلى رسول الله ﷺ شاكراً ، وشرح أبو بكر - رضي الله عنه - للنبي ﷺ ما حديث ، وأنكر فنحاص أن يكون قد قال ما قال ، ومن الآيات التي نزلت في هذا الموقف : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءٌ سَنَكْبُثُ مَا قَالُوا وَقَاتِلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْخَرِيقِ ﴾<sup>(٢)</sup> .  
ويظهر أن حرصهم على الحياة ، وحبهم للمال دفعهم - على سبيل الإسقاط - إلى وصف الله - جل وعلا - بما يفترون - بما عبرت عنه الآية التالية :  
 ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلْتُ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنَوْا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْشُوتَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أَنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَنْقَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَذَابَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلُّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادُوا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) المدراس : البيت الذي يتدارس فيه اليهود كتابهم .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٨١) - « سيرة ابن هشام » (٥٥٩/١) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٦٤) .

نقلت الآية اتهامهم الباطل لذات الله بالبخل ، وجاءت الآية بالرد الفورى  
على هذه الأبطولة :

- (أ) بالدعاء عليهم ولعنة .
- (ب) بنفى التهمة ونسبة الغنى والكرم إليه سبحانه .
- (ج) من صفاتهم التمادى في الطغيان والكفر حسداً من عند أنفسهم كلما رأوا ما ينزل على النبي ﷺ من نعماء .
- (د) تجذر العداوة والبغضاء في قلوبهم ، فهم لا يجتمعون على حق أبداً .
- (هـ) إفساد الله كيدهم وخططهم للإيقاع بالمؤمنين .
- (وـ) ومن سجاياهم السعي في الأرض بالإفساد كأن الإفساد والتخرير رسالتهم في الأرض .. والله لا يحب من هذه صفتة<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وتألزمهم لعنة الله إذ يعلنون لکفار قريش أنهم أحق بالأمر من محمد وأصحابه ، وأن عقيدتهم الوثنية خير من الإسلام .

ففي العام الخامس للهجرة انطلق نفر من زعماء اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضرى ، وحيى بن أخطب النضرى ، وهوذة بن قيس الوائلى فى نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حزروا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، وقدموا على قريش فى مكة فدعوهם إلى حرب الرسول ﷺ وقالوا : إننا سنكون معكم عليه حتى نستأصله .

فقالت لهم قريش : يا معاشر اليهود .. إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، ألم يُنذِّرنا خير أم دينه ؟  
قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر : « تفسير ابن كثير » (٣/٩١) .

(٢) « سيرة ابن هبتم » (٢/٢١٤) .

وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبِلِ وَالظَّاغُورِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سِيَلاً \* أُزْلِكَ الَّذِينَ لَعَنْهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

واستقراء هذه الآيات - وهي بعض قليل من كلّ كثير - يضع أمامنا بعض ملامح القرآن الكريم في التعامل مع خطاب أعداء الإسلام ، وتفنيده أباطيلهم وأكاذيبهم :

- ١ - تراوح المعروض من خطابهم ، وكذلك تفنيده بين الإيجاز والتفصيل ، وذلك في توافق دقيق يراعي مقتضى الحال .
- ٢ - النظر إلى مصادر السيرة النبوية ، ومعارضة أخبارها بما جاء من آيات يصل بنا إلى نتيجة مطردة .. وهي أن القرآن الكريم قدّم خطاب الكفار والمنافقين واليهود بأداء مساوٍ أو مقارب جدًا لأدائهم .
- ٣ - اعتمد القرآن في تفنيد دعاوى المخالفين - زيادة على الأدلة العقلية - على نوعين من الأدلة - أو وسائل الإيضاح :

(أ) الأول : الحاضر المشهود : ومثاله أن الكفار كانوا يزعمون أن القرآن ليس من عند الله .. وأن محمداً عليه السلام كان يقصد غلاماً رومياً نصارياً في مكة اسمه (جبر) يعلم محمداً عليه القرآن ويبليه عليه . وقد نقض القرآن هذه الفريدة بقوله : إن القرآن بلسان عربي مبين ، وهذه الحقيقة لا ينكرها الكفار .. وهذا الغلام (جبر) الذي يلحدون إليه - أي يشيرون إليه مذعين أنه معلم محمد عليه - لا يعرف العربية ، ولا يتحدث إلا الرومية .. وهي أيضًا حقيقة لا ينكرها الكفار . وبهذا الدليل الحاضر المشهود نسف القرآن ادعائهم<sup>(٢)</sup> .

والثاني : التاريخي الغائب .. وإن كانوا يعرفون كثيراً منه ، كتاريخ الأمم ،

(١) سورة النساء ، الآيات (٥١ ، ٥٢) .

(٢) انظر : « تفسير الطبرى » (١٤/٢٣٣).

وقصص الأنبياء ، وأخبار الطغاة من الملوك .. فالقرآن - على سبيل المثال - وهو يرد بعض حججهم - يذكرهم بإصرار الطغاة - من أمثال فرعون وقارون من أهلكهم الله - على كفرهم لأن المرسل بشر .. وليس ملائكة .

٤ - وظف القرآن في تفنيد دعاوى المخالفين طريقتي السلب والإيجاب ، أو النفي والإثبات ، فينفي عن الذات الإلهية والرسالة والرسول ما تقول به الكفار ، وأثبت ما هو لها نقىض .. فينفي عن القرآن أن يكون قول شاعر ، أو قول كاهن ، ويثبت له : أنه قول رسول كريم ﷺ .

وقد يكون النفي قبل الإثبات بطريقة ضمنية ، كما في آية المائدة التي ذكرناها من قبل ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلْتُ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنَاهُمْ بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْشُوتَانِ ... ﴾ [سورة المائدة ، الآية ٦٤] .

٥ - وجاء التهديد والوعيد في موقعه المناسب من سياقة الآيات .. فمن لا يعمل عقله ، ويؤثر أن يعيش بصيرة عشواء ، وقلب أعمى كان تهديده وإنزال العقاب به أمراً يتافق مع طبيعة العدل .. وصدق الشاعر إذ قال :

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا فاحرب أجدى على الدنيا من السَّلَمِ  
والشر إن تلقه بالخير ضفت به ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحس

٦ - عرض خطاب الكفار مصحوباً بالرد عليه - وهو رد يخاطب العقل  
والشعور - وراءه أهداف نبيلة أهمها :

(أ) إقناع الضالين بترك الكفر والضلال ، واعتناق الإسلام ديناً .

(ب) تحذير الإيمان في نفوس المسلمين ، ووقايتهم من الوقوع في الشك الذي يشيره أعداء الإسلام وهم يرون القرآن وقد فند مفترياتهم بالدليل الناصع ، واللحجة الدامغة .

\* \* \*

ومرة أخرى : أدعو القارئ أن يعيد قراءة الصفحات السابقة ، وبعدها مباشرة يعود إلى ما استخرجناه من معجم لغوي لحيدر حيدر ، والذى سجلناه في ختام القسم الأول من هذا الكتاب ، ليرى إن كان يجوز لحيدر أن يستبيح ما استباح قياساً على

ما عرضه القرآن من حجج المشركين؟ وهل أصاب من زرع في صحيفة «القاهرة» هذا العنوان المثير: هل نحذف الآيات التي تعرض حجج المشركين من كتاب الله؟ ويواصل تساءله داخل المقال: ... ألم يعترض القرآن بالكافرين وحقوقهم .. بل وأورد حججهم بين دفتيره نتلوها في صلواتنا فننال الجزاء الكبير؟ هل زرع هذا من عقيدة المسلمين شيئاً؟ وهل سنطالب الوزارة بحذف هذه الآيات الكريمة من كتاب الله أيضاً؟ وأى عقيدة تلك التي تهترئ لجمل معدودة سطرت في أحد الكتب<sup>(١)</sup>.

وأمام قوله: (جمل معدودة) يؤسفني أن أؤكد أن الكاتب لم يقرأ رواية حيدر، بل لم يتصل بها ، ولكنني أكرر: ليعد الكاتب الكريم إلى الصفحات السابقة .. وليعقد موازنة سريعة بين ما ذكر فيها وبين المعجم الحيدري الهابط الساقط وأترك الحكم بعد ذلك ل بصيرته وذائقته .

\* \* \*

ومرة أخرى أقحم بعض التنويريين جداً القرآن الكريم في الدفاع عن حيدر وروايته : لماذا تحرمون على حيدر الكلام في الجنس ، وعرض مشاهد جنسية في سياق روائي ، مع أن القرآن ذكر أسماء الأعضاء الجنسية صراحة ، وبه كذلك مشاهد جنسية صارخة ، كما أنه تحدث عن الشذوذ الجنسي في قوم لوط؟<sup>(٢)</sup> .  
والإسلام يعترف بالجنس ، وعمق تأثيره على الوجود الإنساني .

ولا يغفل الإسلام عما يحدّثه التجاذب الفطري بين الجنسين من مشاعر وخواطر وأفكار وسلوك .. ولكنه يقيسها بمقاييسه الدائم الذي يقيس به كل شيء: بما سار مع الناموس ، ناموس الحياة والكون فهو صالح ، وهو صواب .. وما خالف هذا الناموس فهو خطأ ، وهو عمل غير صالح .

إنه لا ينكر الجنس ، وما يرى حوله من مشاعر وأفكار لأن منهجه الذي يسير

(١) محمد مسعد - مجلة القاهرة - العدد ٥ - ٢٠٠٠/٥/١٦

(٢) من حديث أحد الرملاء في مناقشة هاتافية مساء ٢٠٠٠/٥/٢٧ ، وقد أخذت نفسى بما طلبه من عدم ذكر اسمه « حتى لا يغضب العامة » على حد قوله !!

عليه في معالجة النفس هو الاعتراف بالطاقات البشرية كلها نظيفة ، وفي معرض النور .. لا مستقدرة ، ولا مختلسة في الظلام<sup>(١)</sup>.

ومشاعر الجنس ككل شيء آخر في القاموس الكبير : فكل ما يؤدي منها إلى الصعود والرفة .. كل ما يؤدي إلى القوة والتماسك .. كل ما يؤدي إلى التوازن .. كل ما يؤدي إلى جمال المشاعر وصفاء النفوس ، وطلقة الأرواح فهو جميل ، ومباح ، ومطلوب .

وكل ما يؤدي إلى الهبوط والنكسه إلى عالم الحيوان ، والضعف والانحلال والتفكك ، والانحراف الذي يفقد التوازن ، وغلوط المشاعر ، وعراة الشهوة التي تخنق طلاقة الروح فهو قبيح .. ومنكر .. وحرام<sup>(٢)</sup>.

والجنس و موقف الإسلام منه موضوع كبير يحتاج إلى مؤلفات ضخمة .. ونكتفي في هذا المقام بالإجمال السابقة التي تلقي إضاعة خاطفة على موقف الإسلام من الجنس ، لنلقي إضاءات سريعة على أمور ثلاثة في القرآن :

الأول : الأسماء الجنسية في القرآن ، ويعنى الرميل أسماء الأعضاء الجنسية .. الواقع أن القرآن لم يذكر منها إلا كلمة « فرج » وجاءت مضافة إلى مريم - عليها السلام - العذراء في مجال وصفها بالعفة ، وقد رماها المبطلون بالزنى :

- ﴿ وَالَّتِي أَخْصَنْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

- ﴿ وَمَرِيمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَخْصَنْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُشِّبَهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

وجاءت كلمة « فرج » بالجمع خمس مرات في القرآن الكريم ، في مجال الإشادة بالمعتففين الذين يصونون أعراضهم من السقوط ، ودعوة المسلمين لذلك :

- ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) محمد قطب : منهاج الفن الإسلامي ٧١ . (٢) نفسه ٧٢ . (٣) سورة الأنبياء ، الآية (٩١) . (٤) سورة التحريم ، الآية (١٢) . (٥) سورة المؤمنون ، الآية (٥) .

- ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَخْفَظُوا فِرْوَجَهُمْ ... ﴾<sup>(١)</sup>.

- ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُبْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَخْفَظْنَ فِرْوَجَهُنَّ ... ﴾<sup>(٢)</sup>.

والعرب كانوا يستخدمون الكلمة للرجل والأخرى على سواء ، بلا حرج .. وإن استخدمو تكنيات كملمس العفة ، وغير ذلك . فالقرآن إذن لم يستخدم « أسماء جنسية صارخة ... » كما ذكر صاحبى فى مهاتفته .

\* \* \*

أما تصوير القرآن لطبيعة قوم لوط - عليه السلام - في « شذوذهم الجنسي » فكان بالتلخيص الذى جاء أقوى إيحاء ، وأشد تأثيرا في المشاعر والعقول من التصرير :

- ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقُكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ \* إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِفُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومشهد آخر يدين قوم لوط - عليه السلام - بإصرارهم على إثبات الفاحشة الشاذة ، ويعتبر آخر المشاهد في حياة هؤلاء العصابة .. فقد بعث الله بعض ملائكته ، وزرروا ضيوفا على لوط - عليه السلام - لقد جاءوا في صورة فتية فيهم جمال وفتنة وصباحة وإشراق ، ففزع لوط خوفا عليهم من قومه الذين علموا بوجودهم ، وأصرروا على أن يرورو نفهم الشهوانى الشاذ منهم ، وعرض لوط بناته لهؤلاء ليزروجوا بهن ، فرفضوا هذا العرض رفضا حاسما ، فكان الانتقام الربانى الرحيب<sup>(٤)</sup> :

- ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيهَا سَافِلَهَا وَأَفْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِيلٍ مَّنْصُودٍ ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة النور ، الآية ( ٣٠ ) .

(٢) سورة النور ، الآية ( ٣١ ) ، وانظر : سورة الأحزاب ، الآية ( ٣٥ ) ، وسورة المعارج ، الآية ( ٢٩ ) .

(٣) سورة الأعراف ، الآيات ( ٨٠ ، ٨١ ) .

(٤) انظر : ( سيد قطب : في ظلال القرآن ١٩١٣/٤ - ١٩١٥ ) .

(٥) سورة هود ، الآية ( ٨٢ ) .

والمشهد بتمامه عرض في الآيات الآتية :

- ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ دُرُغًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ \* وَجَاءَهُ قَوْمٌ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَأَتَقْرَأُ اللَّهُ وَلَا تُخْرُونَ فِي ضَيْفِي أَئِنِّي مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ \* قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ \* قَالَ لَوْلَآ لِي يَكُنْ قُوَّةً أَزْعَوْيِ إِلَى رُكْنِ شَدِيدٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

ولننظر إلى تعبير لوط - عليه السلام - عن شذوذ قوله :

- ﴿ ... أَتَأْثُرُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقُوكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ ... ﴾<sup>(٢)</sup>.

- ﴿ إِنْكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ... ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولننظر إلى تعبير قومه عن شذوذهم :

- ﴿ ... مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ .

وكلها عبارات تعبير في دقة عن المعنى المقصود .. ليس هذا فحسب .. ولكن تلقى بدلاتها وإيحاءاتها القوية المؤثرة .. فقولهم : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ تعبير عن المعنى المقصود وهو « ممارسة الشذوذ » ، وتوحي - زيادة على أداء المعنى - بتمكن آفة الشذوذ منهم ، وشيوعها فيهم ، واستهارهم بها .

و واضح أن التعبير عن هذه الآفة جاء بأسلوب يتفق مع ما يتسم به البيان القرآني من سمو وجلال ورقة حتى في التعبير عن الأمور والنوازع الدنيا .. وأدعو القارى أن يعود إلى الكلمات الحيدرية التي عبرت عن هذه النوازع وموافق السقوط ، ليؤمن بخطأ - بل بخطيئة - من أراد أن يغالط ، ويشبه أو يقيس هذا على ذاك .

(١) سورة هود ، الآيات ( ٧٧ - ٨٠ ) .

(٢) ، (٣) سورة الأعراف ، الآيات ( ٨٠ ، ٨١ ) .

كان حديث القرآن عن الشذوذ الجنسي ومنهجه في التعبير عن هذه الآفة هو الأمر الثاني .. أما الأمر الثالث الذي أثاره الزميل هاتفياً فهو أن القرآن به مشهد - أو مشاهد - جنسية . لينطلق من ذلك إلى حق حيدر - بالقياس - في عرض مشاهدة الجنسية .

والمشهد المتكامل في هذا المجال عرضه القرآن في سورة يوسف - عليه السلام - ، و تعرضه للفتنة على يد امرأة العزيز .. ولكن الله عز وجل أنقذه منها .. يقول تعالى :

﴿ وَرَاوِدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَادَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مُثَوايِّ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ \* وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَءَاهَا يُزْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَيَضْرِفَ عَنْهُ الشُّوَّهُ وَالْفُحْشَاءُ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ \* وَاسْتَبَقَ الْبَابَ وَقَدَّتْ قُمِيقَهُ مِنْ دُبُّرِ وَالْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَ الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ شُوَّهًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> .

فالمشهد يعرض صورة امرأة استبدت بها الشهوة العارمة ، وحاولت أن تطفئ نار شهوتها بأى ثمن ، مستبيحة لنفسها ما لا يليق بالإنسان السوى : تدعوه لنفسها ، وهي الشريفة الحسيبة النسبية ، وهو غلامها الذى اشتراه زوجها ، وجعله فى خدمتها ، وغلقت الأبواب - كل الأبواب حتى لا يفلت منها ، فلما حاول الإفلات منها تشبثت به ، ومزقت قميصه من دبر ، ورمت ضحيتها بدائها وانسلت ، فكذبت على زوجها ، واتهمت يوسف - عليه السلام - بأنه حاول اغتصابها .

وفي المقابل نلتقي بشخصية الطاهر العف الشريف الذى يرعى جميل سيده الذى آواه ، وأحسن مثواه ، ويحاف ريه لأنه من عباده المخلصين .. ومتند « توابع المشهد » في صورة يوسف - عليه السلام - ، وينتصر الحق على الباطل مهما كانت شدة المعاناة : محنـة في فتنة الجنس ، ومحنة في سنوات السجن ظلماً ، وكل أولئك يفرز بعد ذلك درسه الذى لا يتختلف أبداً .. النصر للحق ولو طال الزمن .. وهذا الدرس النبيل من أهم الفروق بين الأدب الغث الهزيل ، والأدب

الرقيق الجليل !!

(١) سورة يوسف ، الآيات ( ٢٣ - ٢٥ ) .

وهذا المشهد الذى قدمه القرآن ، والذى امتدت توابعه على امتداد قصة يوسف - عليه السلام - ، وما يهدىه من دروس وعبر قصة كاملة من قصص الهبوط الجنسى ، ودفعه من دفعات العramaة الحسية التى تنسى فى ساعة الشهوة الغليظة كل اعتبار .. فكيف تجد طعم الجنس فى هذه القصة التى تتحدث عن هبوط الجنس ؟ هل تجد فى ذلك العرض الذى يهدف إلى إثارة التلذذ بالجنس ، والإعجاب بلحظه الهبوط ، والمتاعب بالمشاعر المنحرفة ، والفطرة الموكوسة ؟ أم تخس - مع جمال العرض ودقته وأمانته وصراحته - بالنفور من تلك الفطرة المنحرفة والتقرز من ذلك الهبوط ؟

ذلك طريق التعبير عن مشاعر الجنس المنحرفة حين يراد التعبير عنها بطريقة الإسلام .. أمانة في الوصف بلا إثارة جنسية ، ولا تلذذ ، ولا إفساد «<sup>(١)</sup>».

\* \* \*

وكما حاول أنصار رواية حيدر « توظيف القرآن » للدفاع عن الرواية ، وتبرير ما جاء بها من « سقوطات » حاول بعضهم « استدعاء » التراث للغرض نفسه ، وكانت صحيفة « القاهرة »<sup>(٢)</sup> هي أبرز الصحف التي تكفلت بهذه المهمة ، وجاء العنوان الذى شغل ربع صفحة الموضوع - مثيراً ... جد مثير :

أحرقوا كتب السيوطى والقرطبي ، والجاحظ ، وابن قتيبة ، والغزالى ،  
وابن القيم .. واجعلوا حياتنا ظلاماً .. دامساً !!!

والمقال - كما يظهر من عنوانه - أو عنوانيه - متقد الانفعال ، يستهله كاتبه بلال فاضل بالهجوم الضارى على الدكتور محمد عباس الذى وصفه الكاتب بأنه « أديب فاشل ، يعمل تاجرًا فى الأشعة الطبية .. حيث يجني منها الملايين التي تتكىء من التفرغ لكتابة الصفحات الوعظية المطولة التي يختلط فيها الغث بالسمين » !!

وبعد حملة أخرى على صحيفة الشعب وحزب العمل يبدأ الكاتب فى معالجة

(١) محمد قطب : مرجع سابق ( ٧٧ ) .

(٢) العدد السادس / ٥ / ٢٠٠٠ .

موضوعه الأصلي الذي كاد يفلت من قارئه لشدة انفعال الكاتب .. والمحور الأساسي للموضوع هو : كثير من الفقهاء والعلماء الكبار من أسلافنا لهم كتب - أو فصول في كتب - ضمت أدبًا مكشوфаً .. بل جنسياً صريحاً صارخاً .. وهو لا يجرؤ على نقل سطور منها حتى لا يخرجه الظلاميون من الملة .

وبعد أن يقدم كاتب المقال ثباتاً بأسماء علماء وفقهاء وأسماء كتب فيها « جنسيات صارخة » من وجهة نظره أنهى مقاله بـ « بيت القصيد .. بالهدف الذي تغيّاه المقال :

« إذا كنتم ستحرقون أى رواية أو عمل أدبي لاحتوائه على ما ترونـه كفراً دون أن تنتظروا إلى سياقه .. فمن باب أولى أبدعوا بحرق كل هذه الكتب ، واجعلوها ظلاماً .. رغم أن الله عَزَّ وَجَلَّ يريدـها نوراً » .

و واضح أن هذا لون من الدفاع المستميت عن رواية حيدر باستدعاء تراثيات لفحول من العلماء والفقهاء والأدباء القدامى ، وضرب مثلاً بـ ابن القيم .. فهو - كما يقول كاتب المقال - عن كتابه الطب النبوى : به فصل كامل اسمه « في العشق - والباء » - والباء هو الجنس - حافل برواية القصص والحكايات عن الجنس والأوضاع الجنسية ، والحديث عن اللواط والعنود والزنـا .. ولست أجرؤ على نقل أى سطر من سطوره هنا » .

وأقول : يا ليتك أقدمت ونشرت منه صفحة ، أو صفتين ، ولا أقول : جرئت .. فالمسألة ليست في حاجة إلى جرأة .. فالفصل الذي جاء في ثلاثة صفحـة ( ٢٤٩ - ٢٧٨ ) ليس فصلاً روائياً قصصياً .. بل هو فصل طبـي جمع بين : الطب النفسي ، والطب العضوى ، وهو من أحسن الفصول التي كتبها ابن القيم في كتاب عنوانه « الطب النبوى » ، ومثل هذه الكتب العلمية الطبية تذكر الأسماء بصراحة يقتضيها الشرح والتفسير .. وليس في ذلك ما يثير الغرائز والشهوات .. وهو فصل « تشريعى » كذلك ، يشرح فيه هدى النبي ﷺ وسلوكـياته في هذه المسائل .

ولم يتحدث عن اللواط إلا في خمسة أسطر وعلى سبيل الإشارة إلى قوم لوط - عليه السلام - ( ص ٢٦٦ ) . وقدم ابن القيم دراسة نفسية فقهية رائعة عن

العشق ، وأنواعه ، وحلاله وحرامه ، وهدى النبي ﷺ في علاجه (٢٦٥ - ٢٧٨) .  
و الحديث عن طرق الجماع حلالها وحرامها ، والصحي منها والضار هو حديث  
الطبيب الفقيه في كتاب طبى فقهى . يمتد الانتفاع به إلى عصرنا الحاضر<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

ويقول كاتب المقال : « العلامة أبو حامد الغزالى يتحدث في كتابه « إحياء علوم الدين » تحت عنوان : « القول في شهوة الفرج » حديثاً صريحاً واضحاً عن الجنس والزنا واللواط ، مورداً حكايات وقصصاً مكشوفة ، ومستخدماً إياها لإيضاح آداب الإسلام وتعاليمه » .

وما أشار إليه كاتب المقال خضع أيضاً للتهويل ، وبحثت عما فيه من « الحكايات والقصص المكشوفة » فلم أجده .. وقد جاء الحديث عن شهوة الفرج في تصانيف كتاب كامل عن آداب النكاح (٦٨١ - ٧٥٢) من المجلد الأول من كتاب « إحياء علوم الدين »<sup>(٢)</sup> .. وهي دراسة فقهية نافعة ، وخصوصاً للدارس المتخصص .

ولكنني لا أنكر أن هناك كتبًا في الإلحاد والزنادقة تصدى لها الفقهاء والعلماء قديماً بالنقض والتفنيد . وهناك كتب في الخلاعة والجحون أراد بها أصحابها التسلية ، وتدليل الغرائز والتطرف .. ولكن من قال : إن هذه الكتب يجب أن تكون مثل الأعلى الذي يحتذيه الكتاب في عصرنا ، أو على الأقل يستأنسون به ؟ لماذا لا نوجه شبابنا وأقلامنا إلى الأدب الجاد البناء .. بدلاً من أدب الجحون والسقوط والشذوذ ، وننحن في زمن يحتاج إلى بناء أمتنا على أسس متينة منخلق القويم ، والقيم الإنسانية العليا ، حتى نستطيع أن نتحصن ، ونتصدى لتيارات الإباحية والعولمة التي تهب علينا في قوة وعنف .

(١) اعتمدت على طبعة مؤسسة الرسالة ( ط ٣ - ١٩٨٢ ) - حقق نصوصها وخرج أحاديثها ، وعلق عليها الأستاذان / شعيب الأرنؤوط ، وعبد القادر الأرنؤوط .

(٢) اعتمدنا على طبعة دار الشعب بالقاهرة ( د . ت ) .

وهناك حقيقة يجب ألا نغفل عنها في هذا المقام .. وهي أن كتب التراث .. ومنها الكتب التي استشهد بها الكاتب ، لم يكن ينسخ منها إلا عدد قليل جداً لأنها كانت تكتب باليد ، وقد يكتب الكتاب ، ولا يطلع عليه إلا صاحبه ، وكثيراً ما تدور في كتب التراث مثل العبارة الآتية : « ... وقد علمت وأنا ببغداد أن فلاناً كتب كتاباً في موضوع كذا ... وليس منه إلا نسخة في خزانة فلان ... » ، فمسألة النشر والانتشار في هذه الأيام كانت صعبة جداً ، ومحظوظة جداً .. بعكس الزمن الذي نعيشه .. زمن العولمة والتقنية والانتشار السريع .

## حرية الإبداع

### أم حرية العدوان؟!!

في زحام الحملات العاتية التي شنها «التنويريون جداً» على «الظالميين» وما زالوا يشنون لم نعد للأسف من يصرخ بصوت متشنج : «إن هؤلاء يريدون أن يحكمونا بشرائع الغاب التي كانت سائدة من خمسة عشر قرناً حيث لا حرية .. والأمر كان للسيف والسهم والرمي ... » وهي عبارة تشبه إلى حد كبير ما أجراه حيدر حيدر على لسان «مهيار الباهلي» ، والعهد المشار إليه هو فترة النبوة ، وعهد الخلفاء الراشدين .  
ولا أملك إلا أقول : «... كَبِرْتُ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبَاً»<sup>(١)</sup> ، فالإسلام هو دين الحق ، ودين الحرية .

وقد جاء الإسلام ليرفع من كرامة الإنسان - من حيث هو إنسان - فكرمه بالعقل ، وكفل له الرزق والطيبات ، وحقق له أفضلية على كثير من المخلوقات .. يقول تعالى : «وَلَقَدْ كَرَمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمْنَ خَلْقِنَا تَفْضِيلًا»<sup>(٢)</sup> .

فالإسلام إذن من منطلق «تكريم بنى آدم» عمل على تحرير الإنسان من الرق .. ليس هذا فحسب .. بل كان أول نظام يمنح الإنسان - بصرف النظر عن جنسه ولونه ومعتقداته - بما يمكن أن نسميه «الحرية الشاملة» .. ولا يعني هذا الحرية المنطلقة المتسيبة بلا ضوابط ولا قيود .. فتلك هي الفوضوية بعينها .. الفوضوية التي تقود الفرد إلى الضياع وفساد الدين ، وتهدم بالمجتمع إلى الخراب والانهيار .. ولكن المقصود بالحرية الشاملة تلك التي تتناول كل جوانب الحياة ،

(١) سورة الكهف ، الآية (٥) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٧٠) .

وتمكن الإنسان من العيش والمعايشة بإرادته دون أن يكون مقهوراً أو مظلوماً ، أو واقعاً تحت ضغط غير مشروع ، أو هي كما عرّفها أحد المفكرين المحدثين : «الانطلاق المشروع في الرأي .. والاعتقاد .. وفي القول .. وفي الفعل .. وفي الاتصال بالغير » <sup>(١)</sup>.

\* \* \*

وقد كفل الإسلام للإنسان حرية التفكير ، وحرر العقل الإنساني من الأوهام ، والخرافات ، والوقوع في أسر التقليد الأعمى .. ومن حق الإنسان أن يتمتع بهذا النوع من الحرية .. فقد خلقه الله من مادة « الطين » ، ونفخ فيه من « روحه » ، وكرمه « بالعقل » الذي وعيحقيقة الأشياء اسمًا وسمى .. والعقل هو الذي كفل له أن يكون خليفة الله في أرضه :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَتَحْنُّ نُسُبَّحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* وَعَلَمَ عَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِثُونِي بِاسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قَالُوا سَبِّحْنَاكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْنَا نَنْهَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ \* قَالَ يَا آدَمُ أَبِثْهُمْ بِاسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَبَثَاهُمْ بِاسْمَائِهِمْ قَالَ أَنْمَ أَفْلَ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبَدِّلُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْثِمُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ولقد كرم الله الإنسان بالحواس - لا للذاتها - ولكن بقدر ما توصل صاحبها إلى طريق الفهم والاهتداء ، والتقوى والإصلاح .. ﴿ أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ \* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ \* وَهَدِيَّةً لِلْجَدِيدَيْنِ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وإذا لم تستطع الحواس أن ترتفع بالحقيقة الإنسانية في نفس الإنسان ، ولم تكن وسائل لتحصيل العلم ، والوصول إلى اليقين والهدى ، والتحرر من ربقة الظلم فوجودها كعدمها سواء ، بل إن الإنسان في هذه الحالة يكون أحاط مكانة من

(١) الدكتور محمد البهـي : الإسلام والفلسفـات المعاصرـة ٥٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآيات (١٣ - ٣٣) . (٣) سورة البلد ، الآيات (٨ - ١٠) .

البهائم .. لأن البهائم تستخدم حواسها بأقصى طاقاتها حفاظاً على بقائها .. أما هو فقد عَطَّل حواسه التي أنعم الله بها عليه لاستعمالها كصاحب رسالة كرمه الله باستخلافه عنه في الأرض .. وما قيمة العقل إذا ما عطلت طاقته عن الخير ؟ وما قيمة العين إذا لم تبصر طريق الهدى ؟ وما قيمة الأذن إذا لم تصنع لصوت الحق واليقين ؟

﴿ وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَنْفَقُهُنَّ بِهَا وَلَهُمْ أَغْيَانٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ إِذَا أَذَانَ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاجُولُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

والقرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به ، والرجوع إليه ، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية .. بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، وتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله ، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه<sup>(٢)</sup>.

وبهذا المفهوم الشامل للعقل ، وتحريماً له من الجمود والتوقف والتخلص عن التفاعل الحي مع ما يرى من مظاهر الكون والحياة دعا الإسلام إلى النظر والتفكير والتأمل ، ونعي على الذين لا يفكرون ، ولا يتأملون خلق الله ، ولا يعملون عقولهم خلوصاً إلى اليقين ..

﴿ وَفِي الْأَرْضِ عَاءِاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ \* وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٌ مُّسَمٌ ... ﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي عشرات من الآيات القرآنية .. بل مئات تتكرر كلمة « العقل » وما ارتبط بها من ألفاظ « الفقه » ، و « العلم » ، و « التفكير » على النحو الآتي :

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٧٩) .

(٢) العقاد : التفكير فريضة إسلامية ص ٥ .

(٣) سورة الذاريات ، الآيات (٢٠ ، ٢١) . (٤) سورة الروم ، الآية (٨) .

- (أ) «عقل» ومشتقاتها : (عقلوه - تعقلون - تعقل ... إلخ) ذكرت ٤٨ مرة .
- (ب) «علم» ومشتقاتها : (علم - يعلم - يعلمون ... إلخ) ذكرت ٨٦٦ مرة .
- (ج) «فقه» ومشتقاتها : (تفهون - تفقه - يفهوم - يفهمون ... إلخ) ذكرت ٢٠ مرة .
- (د) «فکر» ومشتقاتها : (فکر - تتفکرون - یتفکرون ... إلخ) ذكرت ٨٧ مرة .
- (هـ) «وعي» ومشتقاتها : (تعيها - أوعي - واعية ... إلخ) ذكرت ٤ مرات .

ومجموع الألفاظ في الماد التي ذكرتها ١٠٤٣ (ثلاث وأربعون ألف) لفظة ، وكلها تدور على تقدير القرآن للعقل والنظر والتفكير .. وهذه الماد التي عرضنا لها هي الماد المباشرة . وهناك مئات من الألفاظ تدور حول العقل والتفكير بطريقة غير مباشرة لم نعرض لها<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

والإسلام يقرر للإنسان أن يفكر فيما شاء كما شاء وهو آمن من التعرض للعقاب على هذا التفكير ، ولو فكر في إثبات أعمال تحرمها الشريعة .. والعلة في ذلك أن الشريعة لا تتعاقب الإنسان على أحاديث نفسه ، ولا تؤاخذه على ما يفكر فيه من قول أو فعل محروم .. وإنما تؤاخذه على ما أتاها من قول أو فعل محروم .. وذلك معنى قول الرسول ﷺ : «إن الله تجاوز لأمتي بما وسوسوا أو حدثت به أنفسها ، مالم تعمل به أو تشكلم»<sup>(٢)</sup> .

وقد تدرج القرآن الكريم في تدريب الناس على التفكير في مراحل متباينة :

(١) انظر : جابر قميحة : المدخل إلى القيم الإسلامية ٦٤ - ٦٧ .

(٢) عبد القادر عودة : التشريع الجنائي الإسلامي ٣١/١ .

الفطريق الأول : إعمال الفكر بالنسبة للمحسوسات والمرئيات <sup>(١)</sup>.

والطريق الثاني : يخاطب فيه القرآن الناس لإقناعهم عن طريق الأسباب والمبينات <sup>(٢)</sup>.

والطريق الثالث : وهو طريق الاتجاه الرفيع بعد أن يكون العقل قد تدرج في التفكير حتى وصل إلى هذه المرتبة ، وفي ذلك يقول تعالى :

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup>.

كما أن هناك طرائق أخرى للتفكير تجمعها جميعاً آية واحدة هي قوله تعالى :

﴿ سَرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ <sup>(٤)</sup>.

هذه هي حرية الفكر والتفكير في الإسلام ، ربطها الله سبحانه وتعالى بوجود الإنسان ذاته ، ودعاه القرآن إلى استعمال حقه في التفكير والتأمل مستخدماً طاقاته العقلية دون أن يعطلها بالتقليد الأعمى ، أو يهدرها فيما لا ينفع ولا يفيد .

وكذلك كفل الإسلام للإنسان حرية الاعتقاد .. وكان من قواعد الإسلام الراسخة قاعدة ﴿ لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ ... ﴾ <sup>(٥)</sup> ، و﴿ لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ ﴾ <sup>(٦)</sup> ،

أما الرسول - عليه الصلاة والسلام - فما عليه إلا البلاغ ﴿ ... وَمَا عَلَى الرَّوْسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ <sup>(٧)</sup> . وسييل هذا البلاغ هو الحكمة والموعدة الحسنة <sup>(٨)</sup> .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(٩)</sup>.

بل إن الإسلام ليأمر النبي - عليه الصلاة والسلام - وكل مسلم ألا يغلق بابه

(١) ارجع إلى سورة الفاتحة ، الآية (١٧) وما بعدها ، وسورة ق ، الآية (٦) وما بعدها .

(٢) راجع سورة التحل ، الآية (١٠) وما بعدها .

(٣) سورة الذاريات ، الآية (٢١) .

(٤) سورة فصلت ، الآية (٥٣) ، وانظر الدكتور العيلي : الحريات العامة ، ٤٣٦ ، ٤٣٦ .

(٥) سورة البقرة ، الآية (٢٥٦) . (٦) سورة الكافرون ، الآية (٦) .

(٧) سورة العنكبوت ، الآية (١٨) ، وانظر سورة النور ، الآية (٥٤) .

(٨) انظر : سورة التحل ، الآية (١٢٥) .

(٩) سورة يونس ، الآية (٩٩) .

في وجه مشرك استجوار به .. بل عليه أن يجيره ويحميه ولا يتخلى عنه إلى أن يبلغ بـ الطمأنينة والأمان ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ إِنْ تَجَارَكَ فَأَجِزْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَةً ... ﴾<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

وقد كانت عهود النبي ﷺ وخلفائه للذميين دليلاً قاطعاً على كفالة الحرية الشاملة لهم وخصوصاً حرية الاعتقاد ، كما نرى في عهد النبي ﷺ لنصارى نجران<sup>(٢)</sup> ذلك العهد الذي أكدته ووثقه خلفاؤه الأربعة .. فنرى في عهد أبي بكر - رضي الله عنه - لهم ينص العهد على أنه « أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبي ﷺ على أنفسهم وأرضهم وثلثهم - أى جماعتهم - وأموالهم وحاشيتهم ، وعبادتهم ، وغائبهم ، وشاهدهم ، وأساقفتهم ، ورهبانهم ، وبيعهم .. »<sup>(٣)</sup> .

وحينما فتح المسلمون إيليا (القدس) كتب عمر رضي الله عنه كتاباً سنة (١٥٥) نص فيه على أنه « .. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريقها ، وسائر ملتها ، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ، ولا من حيزها ، ولا من صليبيهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود ... »<sup>(٤)</sup> .

وعقد الأمان أو عقد الذمة يوجب على المسلمين حماية الذميين من العداون الخارجي ، ومن الظلم الداخلي ، وحماية أموالهم ، وتأمينهم عند العجز والشيخوخة والفقر ، وكفالة حرية التدين والاعتقاد والعمل والكسب<sup>(٥)</sup> .

يقول ابن حزم في كتابه « مراتب الإجماع » : « من كان في الذمة وجاء أهل

(١) سورة التوبه ، الآية (٦) .

(٢) كان ذلك في العام العاشر للهجرة . انظر : نص العهد في تاريخ الطبرى ١٢٨/٢ ، والخارج لأبي يوسف ١٥٧ . وفي الخارج كذلك نص عهد عمر رضي الله عنه لهم ١٦١ ، ونص عهد عثمان رضي الله عنه ١٦٢ .

(٣) الخارج لأبي يوسف ١٦٠ . (٤) تاريخ الطبرى ٦٠٩/٣ .

(٥) انظر في تفصيل ذلك : د. يوسف القرضاوى : غير المسلمين في المجتمع الإسلامى ٩ - ٢٥ .

الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ، ونموت دون ذلك صوتاً لن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ<sup>(١)</sup>.

ومن المواقف التطبيقية لهذا المبدأ الإسلامي موقف شيخ الإسلام « ابن تيمية » حينما تغلب التتار على الشام ، وذهب الشيخ ابن تيمية ليكلم « قطلو شاه » في إطلاق الأسرى ، فسمح القائد التترى للشيخ بإطلاق أسرى المسلمين ، وأبى أن يسمح له بإطلاق أسرى أهل الذمة .. فما كان من شيخ الإسلام إلا أن قال : « لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسرى من اليهود والنصارى . فهم أهل ذمتنا ، ولا ندع أسيئراً لا من أهل الذمة ، ولا من أهل الملة » . فلما رأى إصراره وتشدده أطلقهم له<sup>(٢)</sup>.

فاختلاف العقيدة لم يمنع المسلمين من رعايتهم للذميين والوفاء بعهودهم معهم ، وحمايتهم مما يحمون منه أنفسهم ، حتى عاش الذميون يتمتعون بالعدل والحرية شأنهم شأن المسلمين .. بل كان بعضهم في بعض العهود مراكز ومناصب ونفوذ وثروات تفوق ما كان عليه كثير من المسلمين .. مما لا يتسع المقام لشرحه ، وضرب الأمثلة له .

\* \* \*

ولكن قد يتجلج في الخاطر تساؤل مؤداه : إذا كان الإسلام يدعو إلى حرية الاعتقاد ، ويحيطها بكل هذه الضمانات فلماذا لا يترك للمسلم حرية الارتداد عن دينه ، واعتناق دين آخر .. بل يعاقبه الإسلام بالقتل ؟ أليس في هذا نوع من الإكراه للإنسان على البقاء على الإسلام الذي جاء بقاعدة « لا إكراه في الدين » !؟ ولكن هذا الخاطر أو هذه الشبهة سرعان ما تنمحى إذا وضعنا نصب عيوننا الحقائق الآتية :

- ١ - الإسلام هو أكمل الأديان وأوفاها وأشملها ، وأكثرها رعاية لحقوق الإنسان وكرامته ، فننکوصل المسلم عن الإسلام بعد إهداً لعقله وشخصيته بترك الفاضل إلى المفضول .
- ٢ - لم يجبر الإسلام أحداً على اعتناقه .. إنما أساس دعوته إلى الناس يتمثل

(١) عن كتاب القرضاوى السابق .

(٢) نفس الصفحة .

في الحكمة والموهبة الحسنة .. وقد نص القرآن - كما رأينا - على أنه لا إكراه في الدين .. وترك المسلمين النصارى واليهود والمجوس في بلاد الشام والعراق ومصر على دينهم ، ولم يفرضوا الإسلام على أحد منهم .

٣ - اعتناق الشخص للإسلام يعني « التزاماً جاداً » بقواعد هذا الدين ما دام قد اختاره بمحض إرادته .. وتعتبر الردة في هذه الحال « خيانة عظمى » و« إخلالاً خسيسًا » بهذا الالتزام .

٤ - والارتداد عن الدين يؤدي إلى تصور غير صحيح لهذا الدين وأنه غير صالح ، ومن أجل هذا فكر بعض أهل الكتاب في الدخول في الإسلام والارتداد عنه سريعاً للإيحاء إلى الناس بعدم صلاحته ، قال تعالى : ﴿ وَقَاتَ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ عَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ظَاهَرُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَأَكْفَرُوا بِآخِرَةٍ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

٥ - والإسلام ليس بدعاً في هذا .. فال المسيحية هي الأخرى تهدر دم المرتد عنها ، وكذلك تفعل الأديان الأخرى .

٦ - والإسلام : لا يقتل المرتد حال ارتداده ، وإنما يعطيه أمداً يحاسب فيه نفسه ، ويستتاب فيه .. فإن لم يتوب ويشب إلى صوابه قتل<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

ولا قيمة لحرية الفكر وحرية الاعتقاد والتدين ما لم يكن هناك حرية التعبير ، فالتفكير والاعتقاد من الأمور الخفية ، والتعبير عنهم هو المظهر العملي التطبيقي للحرية في لونيها السابقين .

وقد رفع الإسلام « الكلمة البانية » مقاماً علىها ، وسمها « الكلمة الطيبة » ، وهي تلك الكلمة الفاعلة الهدافية التي تحمل العلم والحق والفضيلة والخير للناس : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً أَضْلَلَهَا ثَابَتْ وَفَرَغَهَا فِي السَّمَاءِ \* ثُؤْرَتِي أَكُلَّهَا كُلًّا حِينَ يَأْذِنُ رَبِّهَا وَيَضْرُبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة آل عمران ، الآية (٧٢) .

(٢) انظر د. محمد حسين هيكل : الحكومة الإسلامية ١٢١ ، ١٢٢ . عبد الوهاب خلاف : السياسة الشرعية ٣٤ - ٣٦ .

(٣) سورة إبراهيم ، الآيات (٢٤ ، ٢٥) .

كما ذم القرآن « الكلمة الخبيثة » التي تُكتب الناس في النار على وجوههم . كما يقول الحديث النبوي الشريف . إنها الكلمة التي تؤدي إلى تخريب الفرد وتدمير المجتمع ﴿ وَمَثُلَ كَلِمَةٍ خَيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ اجْتَسَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾<sup>(١)</sup> .

وتنطلق الكلمة الحرة لا يقيدها إلا ضوابط الخلق والنظام ، وهي - في الواقع - ليست « قيوداً وموانع » بل هي « معايير وضوابط » .. والمسلم مطالب على سبيل الإلزام أن يواجه الباطل والمنكر باللسان إن عجز عن المواجهة والتغيير باليد ، فإذا ما قادته هذه المجابهة إلى الموت فهو الشهادة .. بل أعلى مراتب الشهادة وأكرها .. فيقول النبي عليه الصلاة والسلام : « أكرم الشهداء على الله رجل قام إلى وإلى جائر فأمره بالمعروف ، ونهاه عن المنكر فقتله »<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وانطلاقاً من هذا المفهوم الشامل السديد للحرية يكون لزاماً على المسلم أن يكون عضواً فاعلاً في مجتمعه ، وأن يكون صريحاً صادقاً العزم وهو يساهم في معالجة قضايا أمتة .. لا يسكت عن حق ، ولا يغفل عن باطل .. ولأمر ما كان الفعل ﴿ قُل ﴾ هو أكثر أفعال الأمر وروداً في القرآن فقد وجه للمخاطب الواحد ٣٣٢ مرة :

- ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ... ﴾<sup>(٣)</sup> .
- ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ... ﴾<sup>(٤)</sup> .
- ﴿ ... قُلْ مَنَّا نَعْمَلُ الْأَنْجَرَةَ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ ... ﴾<sup>(٥)</sup> .
- ﴿ قُلْ يَا قَوْمٍ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي غَامِلٌ ... ﴾<sup>(٦)</sup> .

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٢٦) .

(٢) انظر الغزالى : إحياء علوم الدين ١١٩٤/٧ .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٢٠) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (٣٢) .

(٥) سورة النساء ، الآية (٧٧) .

(٦) سورة الأنعام ، الآية (١٣٥) .

- «**قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَعْصُوْا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ...**»<sup>(١)</sup>.

﴿قُلْ﴾ هذه الكلمة التي لا يفوقها في العدد إلا لفظ الجلالة في السياقات القرآنية تمثل دعوة صادقة «لإعلام» المتجدد في مجال الحق والعدل والخير .. فالمؤمن مأمور أن يقول .. والآخر مأمور أن يسمع ، وأن يقول كذلك .. وبذلك يتواصل ترداد الدعوة ويتجدد ما دام هناك قول موجه ، وموجه في الوقت نفسه . وقد ربي النبي ﷺ أصحابه على أن «يقولوا» أن يعبروا عن رؤيتهم ، ولو تعارضت مع رؤيته - مالم تكن وحيًا ، وكان يستجيب للرأى الآخر ما دام فيه خير ، وكان مبرأ من المعصية .

في بدر أمر المسلمين أن يعسكروا في مكان .. أبدى الحباب بن المنذر رضى الله عنه رأيًا مخالفًا .. أن ينزل المسلمين في مكان آخر ، وقدم مبررات هذا الرأى ، فنزل النبي ﷺ عن رأيه ، وأخذ برأى الحباب .

وتكرر الأمر في غزوة خيبر ، وأخذ النبي ﷺ برأى الحباب<sup>(٢)</sup>.

وفي بدر قبل تلاحم الجيشين يقول النبي ﷺ لأصحابه :

- «إني قد عرفت أن رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا .. فمن لقي منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري ابن هشام بن الحارث<sup>(٣)</sup> فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله .. فإنه إنما أخرج مستكراً» .

قال أبو حذيفة بن عتبة :

- أُقتل آباءنا وأبناءنا ، وإن خوتنا وعشيرتنا ونترك العباس !؟ والله لئن لقيته لأُلْحِمَه<sup>(٤)</sup> بالسيف .

(١) سورة النور ، الآية (٣٠) .

(٢) انظر : سيرة ابن هشام ٦٣٠/١ .

(٣) كان أبو البختري بن هشام أكفر الناس عن رسول الله ﷺ وهو في مكة ، وكان لا يؤذيه ، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه . وكان من قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بنى هاشم وبنى المطلب .

(٤) أي لأضربه بالسيف حتى يخالط السيوف لحمه .

بلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر رضي الله عنه :

- « يا أبا حفص .. أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف ؟ ! » .

وشعر أبو حذيفة بالأسى والندم فكان يقول : « ما أنا بأمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عن الشهادة » . فقتل يوم اليمامة شهيداً<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وفي « أُمُد » نزل رسول الله ﷺ عن رأيه ، وأخذ بالرأي الآخر الذي يرى الخروج إلى قتال الكفار خارج المدينة ، وكان ما كان من انكسار المسلمين<sup>(٢)</sup> ، ولكن الشورى ظلت قاعدة ثابتة في الحكم والسلوك .

وفي غزوة « الحَنْدِقَ » ، وفي صلح « الحديبية » ارتفعت كذلك أصوات تعبير عن رأى أصحابها في مسائل عامة كان وراءها دائمًا حسن النية والحرص على مصلحة المسلمين .

وكان يوم السقيفة - بعيد وفاة رسول الله ﷺ يوم ممارسة حقيقة « للتعددية التعبيرية » .. آراء طرحت .. ومناقشات طالت .. وكلّ يقدم أسانيده وحججه .. ولا مانع أن يكون هناك بعض الحدة والانفعال ، ثم كان الانتصار لأنصع الآراء وأقواها وأدخلها في الحق ، وأجدرها بتحقيق مصلحة الإسلام والمسلمين .. وبعد ساعات طالت يجمع الحاضرون على « الخليفة » أبي بكر الصديق رضي الله عنه<sup>(٣)</sup> .

---

(١) سيرة ابن هشام القسم الأول ٦٢٩ .

وأعتقد أن عامة المسلمين لم يكونوا يعلمون آنذاك أن العباس كان بهشاشة عين للرسول - عليه الصلاة والسلام - في مكة وكان يكشف له أسرارهم في كتب يبعث بها سراً للنبي ﷺ [ انظر للمؤلف : أدب الرسائل في صدر الإسلام - الجزء الأول ٢٢ - ١٠١ ] .

وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : « كنت غلاماً للعباس ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس ، وأسلمت أم الفضل ، وأسلمنت ، وكان العباس يهاب قومه ، ويكره خلافهم ، وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال متفرق في قومه » . [ سيرة ابن هشام القسم الأول ٦٤٦ ] .

(٢) انظر : سيرة ابن هشام ٦٣/٢ وما بعدها .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٦/٢ .

يقول أستاذنا الدكتور ضياء الدين الرئيس :

« إن مساجلات الرأى دارت في هذا الاجتماع بحرية وفي صراحة ..  
بحيث مثلت وجهات النظر المختلفة حتى أنها دعت كاتباً غريئاً هو الأستاذ  
« ماكدونالد » أن يشهد بأن هذا الاجتماع يذكر إلى حد بعيد مؤتمر سياسي  
دارت فيه المناقشات وفق الأساليب الحديثة <sup>(١)</sup> .

وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ووجه بمعارضة قوية حين قرر  
محاربة المرتدين ، وحين قرر تأمير أسامة بن زيد رضي الله عنه على جيش لقتال  
الروم ومن والهم في شمال الجزيرة .

وفي عهد عمر رضي الله عنه تعارضه امرأة في مسألة المهر ..  
ويهدده رجل من عامة الناس أنه يعامله بالسيف إن وجد فيه اعوجاجاً ..  
ويهدده آخر بأنه لا طاعة له في عنقه لأنه رآه يلبس ثوباً ضافياً ظن أن فيه  
جوراً على مال المسلمين ..

وعارضه جماعة من المسلمين على رأسهم بلال رضي الله عنه لأن عمر رضي  
الله عنه رفض توزيع أرض السواد على الفاتحين <sup>(٢)</sup> .

وتععددت صور « الصوت الآخر » وتحول بعض هذه الأصوات إلى فتنية  
ومروق كما نرى في حالة الخوارج الذين كفروا الخلفاء الراشدين ، وكل المسلمين  
إلا فرقتهم ، ورفقوا السلاح ، وأراقوا الدماء .. ومع ذلك لم يكفرهم الإمام على  
رضي الله عنه .. ولما سُئل : أكفار هُنْ ؟ أجاب : « من الكفر فروا .. هم إخواننا  
بالأمس .. بغوا علينا اليوم ، لهم مالنا ، وعليهم ما علينا ما أقاموا الصلاة » .

\* \* \*

هذه بعض ملامح الحرية في الإسلام .. وهذه بعض ممارساتها العملية في عهد  
النبوة والخلافة الرشيدة الذي كان محكمًا بالشريعة الوضيئة السمحنة ، وما كانت  
كما زعم « التنويريون جدًا » شريعة غاب لامكان فيها للحرية .

(١) النظريات السياسية الإسلامية ٣٩ .

(٢) انظر التفصيل في كتاب الأموال للقاسم بن سالم : ١٨ وما بعدها .

فالحرية في الإسلام حرية حقيقة شاملة .. وهي حرية منضبطة لأن تسيبها يحولها إلى الفوضوية المدمرة .. وقد أشرنا إلى ضوابطها فيما سبق .. وكلها تهدف إلى صيانة النفس .. والعقل .. والدين .. والعرض .. والمال .. فحرية التملك - وهي استجابة لغريزة حب الجمع والتملك - لو كانت مطلقة تحولت إلى سلب .. وسرقة .. واغتصاب .. وحرية الجنس لو لم تضبطها قواعد الشرع والنظام لتحول الإنسان بها إلى درك أسفل من درك الحيوانات .

وحرية التعبير إذا لم ترُع حرمة الدين والأعراض لتحولت إلى بذاء .. وسفول .. وانتهاء للعقل .. والشرف .. وقيم الأمة وتاريخها .. كما نرى في الحملات المعلنة التي تشن على من هاجموا الرواية الحيدرية .. فهم ظلاميون .. أغيباء .. متخلفوون .. عاجزون عن قراءة الأدب الرفيع .. وإذا قرعوا لا يفهمون .. وإذا فهموا الظاهر فهم لا يفهمون ما في العمل الأدبي من إيحاءات ودلائل .. وبعضهم « يقبض » من الخارج ، وله اتصالات بجهات خارجية ، وهم يعارضون من أجل تحقيق كسب سياسية واجتماعية !! .

والتنويريون يبكون على الحرية بصفة عامة .. وحرية الإبداع بصفة خاصة .. تلك الحرية التي هتك حرمتها « الظلاميون » في شخص الفذ العلماقي حيدر حيدر .. وهذا ليس جديداً عليهم .. وهم يعتقدون مبدأ : ضربني وبكي .. وسبقني واشتكي .. وهؤلاء - وأغلبهم يساريون ماركسيون - يريدون حرية الإبداع لأنفسهم بإطلاق .. دون ضوابط أو قيود .. ويحرمون على من يعارضهم طاقة واحدة من طاقات الحرية ، ينفذون منها إلى إبداء وجهة نظرهم .. كتب واحد من زعمائهم المشهورين تحت عنوان « من التنوير إلى الإللام » :

« السؤال الملحق المؤرق الذي لا يفارق ذهن المرء وهو يتبع مسيرة التنوير في مصر المحروسة هو ماذا حادث للتنوير؟ إن الزمن الذي نعيشه يبدو مناقضاً للتنوير معادياً له .. فرمال الإللام تزحف من الإللام على الرادي لتحجب ما تأسس من استنارة ، وسيوف الجهالة تحاول استئصال ما ترسخ من مبادئ للعقلانية ، ورماح التعصب لا تكف عن مناوشة كل ما ورثناه من وعي

نقدى ، وأقدام التقليد تدوس فى غلظة جاسية على كل ما يولده السؤال من  
تطلع إلى أفق معرفى لا حد لفضائه »<sup>(١)</sup> .

واعتقدت أن الرجل سيتحدث عن كارثة نعيشها من قرابة عقدين من الزمان  
اسمها قانون الطوارئ ، بمقتضاه أصبح الدستور فى تابوت الصمت !!  
واعتقدت أنه سيتحدث عن تزوير الانتخابات ، وحكم الحزب الواحد الذى  
يركب الأمة من نصف قرن ..

واعتقدت أنه سيتحدث عن مهزلة اسمها نظام التعليم فى مصر .. ذلك النظام  
الذى يعد انعدام النظام أهم سماته ، والذى اتخذ من الطلاب حقول تجارب لكل  
فاشل من الأنظمة المختلفة !!

واعتقدت أنه سيتحدث عن قوم مدنيين من خيرة شباب الوطن يحاكمون  
أمام قضاء عسكري بتهمة محاولة « اختراف » الجماهير ، وازدراء الحكم الحاضر !!  
واعتقدت أنه سيتحدث عن مذلة « التطبيع » واحتراق الصهاينة لواقعنا ،  
وعقولنا ، حتى أصبح لهم علينا عزة .. وأنصار .. ودعاة من جلدتنا ، ويتكلمون  
لساننا ، ولا يعرفون شيئاً اسمه القدس ، ولا شيئاً آخر اسمه الحياة !!

واعتقدت أنه سيتحدث عن الفساد الذى يضرب أطنابه فى كل مكان حتى  
أصبحت الرشوة هى المعيار الطبيعي لقضاء المصالح ، وأصبح « نهب البنوك » هو  
« مودة » العصر ، والاستيلاء على أراضى الدولة حقاً من حقوق كبار من ذوى  
الкроش المنتفخة .

كل ذلك .. ولا شيء من ذلك خطير على بال الرعيم التنويرى وهو يستعرض  
مظاهر - أو أسباب - الإللام الذى زحف ويزحف لاتهام التنوير .. ولكنه علل  
ذلك بأشياء عجيبة .. منها : أن مقص الرقيب ي Mizq الأفلام .. والتلميذات ..  
والمسرحيات باسم السياسة مرة .. والأخلاق أخرى .. والدين مرات .. فلا يستمع  
المشاهد بالفيلم أو المسرحية أو التمثيلية إلا بعد أن يشوه مقص الرقيب مصدر المتعة  
الجمالية ، فيحذف حتى قبلة الزوج لزوجته<sup>(٢)</sup> .. وصحف تقلق صفحات

(١) د. جابر عصفور : هوماش على دفتر التنوير . ٢٤٩

(٢) السابق نفسه الصفحة .

الأدب .. والفكر .. والثقافة في رمضان (لتحل مكانها صفحات الفكر الديني) ..  
وطلاب يوقفون محاضرات العلم في كليات الجامعة بحجة أداء الصلاة ... »<sup>(١)</sup>.

الدكتور جابر عصفور يرى أن الظلام سائد ، والحرية ذبيحة لأن الرقيب يمنع  
القبلة من الأفلام .. وأنا أشك في هذه المعلومة .. فما زالت الأفلام المصرية غاصة  
بأطول القُبْلِ في العالم .. بل وأردها ، وأشدتها إثارة للغشيان .. وعلى فرض  
حدوثه .. هل يقضى ذلك على جماليات الفيلم المصري؟! يا سيدي إن الهند  
- الدولة النووية .. الدولة التي تصدر الآن تكنولوجيا إلى كثير من دول العالم  
متنوع فيها « التقبيل » - أيًّا كان نوعه - في الأفلام والمسرحيات وكل عمل  
فني .. وأعمالها الفنية تفوق أعمالنا عشرات المرات موضوعيًّا .. وجماليًّا ..  
وتتسويقيًّا .. في الأسواق العالمية ..

وماذا لو أن الفكر الديني أخذ مكان صفحة أسبوعية أى أربع صفحات في  
شهر واحد من عام؟! ألم تر أن هذه الصفحة تحذف أحياناً بسبب زحمة  
الإعلانات .. أو بسبب زحف خطاب شخصية مهمة؟!

والطلاب إن كانوا يتكونوا المحاضرات للصلاة فإنما يلفتون - عمليًّا - أنظار  
المسئولين إلى خلل في « الجدول » الذي لم يراع تخصيص نصف ساعة يوميًّا  
للصلوة ! ألم تر أن الدراسة تعطل يوماً أو أكثر بسبب زيارة كبير .. أو مؤتمر ..  
أو ما شابه ذلك؟! فلماذا نستكثر نصف ساعة في اليوم على أداء فريضة؟

والرجال الكبار جدًا في الصحف القومية يكونون ويصرخون من أجل حرية  
الإبداع التي يمثلها حيدر حيدر بروايته الساقطة ، أذكر هؤلاء بالواقعة التالية :

كان حزب الحكومة اسمه « حزب مصر » فلما أعلن السادات فجأة إعلان  
« الحزب الوطني » أسرع أعضاء الحزب القديم إلى الانضمام إليه في سرعة البرق  
دون تردد .. فكتب مصطفى أمين تحت عنوان [ فكرة ] في صحيفة الأخبار في  
١٩٧٨/٨/١٥ :

كنت أتمنى لو أن أعضاء مجلس الشعب لم يهربوا إلى الانضمام إلى  
حزب الرئيس السادات الجديد .. كنت أتمنى لو أنهم انتظروا حتى يعلن

(١) السابق . ٢٥٠

السادات برنامج الحزب ، وبخشوه ، ودرسوه ، ثم اقتنعوا به ، وبعد ذلك قرروا الانضمام .. كت أقتنى لو أنهم انتظروا حتى يتالف الحزب فعلاً !!  
كت أقتنى لو أن أعضاء مجلس الشعب ذهبوا أولاً إلى دوائرهم الانتخابية ، وتحدثوا إلى الناخبين الذين انتخبوهم عن رغبتهم في تغيير لونهم الحزبي الذي حملوه في المعركة الانتخابية ، وبعد أن يحصلوا على تأييد ناخبيهم يعلنون انضمامهم إلى الحزب الجديد !! ... » .

مجرد أمنية .. الرجل المهدب قال : « كت أقتنى » .. ولم يقل : « كان يجب » .. ومع ذلك أصدر عبد المنعم الصاوي وزير الإعلام قراراً يمنع مصطفى أمين من الكتابة السياسية ابتداء من يوم ١٨/٨/١٩٧٨ .. وفي مؤتمر بمدينة « تلا » بتاريخ ٢٢/٨/١٩٧٨ نوه السادات بهذا القرار ، وهاجم مصطفى أمين بشدة .  
ولم يعرض أحد من التنويريين جدًا على هذا القرار الجائز ، ولم يرتفع صوت من دار الأخبار يقول : لا .. بل بالعكس .. نشرت الأخبار ما يؤيد القرار ويباركه .. ففي يوم ١٧/٨/١٩٧٨ فوجئ الناس بمقال للمخرج السينمائي حسام الدين مصطفى منشوراً في الأخبار نصه :

### لا يا أستاذ مصطفى نضال السادات هو البرنامج

الأستاذ مصطفى أمين بعد التحية : قرأت كلماتكم التي تلومون فيها أعضاء مجلس الشعب الذين هرولوا إلى الانضمام إلى حزب الرئيس السادات الجديد .. وقلت : « كت أقتنى لو أنهم انتظروا حتى يعلن السادات برنامج الحزب ، وبخشوه ، ودرسوه ، ثم اقتنعوا به .. وبعد ذلك قرروا الانضمام ». .

أرجو أن تسمح لي أن أبدى رأيي في لومكم هذا : إن هرولة أعضاء مجلس الشعب للانضمام إلى الحزب الجديد هو أمر طبيعي ، وتصرف تلقائي صادق .. لم يتظروا إعلان برنامج الحزب لأن أنور السادات نفسه هو البرنامج .. تاريخ السادات النضالي الطويل منذ شبابه الأول حتى اليوم هو

البرنامج .. حكم السادات منذ ١٥ مايو ١٩٧١ حتى اليوم هو برنامج حكم الحزب الجديد ..

الستان القادمتان .. وبعدهما ينزل الرخاء على مصر والمصريين هو مستقبل حكم الحزب الجديد .. هذا كله يكون برنامج حزب السادات الجديد ، وهو برنامج يختلف عن برامج الأحزاب في العالم .. فكلها برامج مكتوبة .. أما حزب السادات ف برنامجه حي .. بل هو متذبذق الحيوية .. و برنامجه نعيشه أقوى ألف مرة من برنامج نقرؤه ... » .

وهو منطق غريب يستدعي سؤالاً مؤداه : هل يعني هذا أن الحزب الوطني يعيش الآن بلا برنامج بعد أن قتل « برنامجه الحي » يوم المنصة في السادس من أكتوبر سنة ١٩٨١ ؟

\* \* \*

ومن البكائين على « حرية الإبداع » - ورمزه هنا الإبداع الحيدري - كبير من كبار الماركسية .. ولعله أهم زعمائها في الوطن العربي ، وما زال يدافع عن الماركسية بحرارة ، وعما كان يسمى « الاتحاد السوفياتي » بحرارة أشد ، ويهاجم الإسلاميين - أعني الظلاميين من وجهة نظره - لأنهم - كما يرى - أعداء دائمون للحرية والديمقراطية .. وهم دائمًا ل حرية الإبداع بالمرصاد .. وأجدني مضطرباً إلى تذكيره بمقال السيد « ليين » الذي نشره سنة ١٩٠٥ بعنوان « تنظيم الحزب وأدبه » وفيه يقول :

« لنتخلص من رجالات الأدب غير الحزبيين .. لنتخلص من هواة الأدب المثاليين .. على قضية الأدب أن تصبح جزءاً من القضية العامة للبلوريتاريا .. وجهازاً صغيراً من الآلة الاشتراكية الديمقراطية الموحدة والكبيرة التي تحركها الطبيعة الواقعية للطبقة العامة كلها .. على النشاط الأدبي أن يصبح عنصراً مؤلفاً لعمل حزبي اشتراكي ديمقراطي منظم »<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) هنري أورفون : الجمالية الماركسية ٢٢

وقد يكون هذا التاريخ بعيداً عن ذاكرة الماركسيين - وهم أشد المتابعين على حرية الإبداع .. أما القريب جداً من ذاكرتنا وذاكرتهم أيضاً فهى مأساة الأديب السوفيتى الذى حصل على جائزة نobel « بوريس باستراناك » ، وطرد من جنة الشيوعية والشيوعيين بسبب قصته الشهيرة « الدكتور زيفاجو » .. ولنبدأ « قصة القصة » من بدايتها ، ونر موقف كبار الماركسيين منها :

إن هذه القصة - وهى لا تعدو أن تكون قصة - قد أثارت ثائرة المفكرين والكتاب الشيوعيين الرسميين ، فراحوا يصفون مؤلفها « باستراناك » بأنه « خائن » و « رجعى » و « مرتد » و « هرطيق » و « عدو لبلاده » !

لماذا ؟ .. الجواب هو أن السبب الوحيد فى الثورة العاتية الصاحبة التى أعلنتها الكتاب والمفكرون الرسميون على « باستراناك » ، هو أن القصة لا تتجدد الشيوعية ، ولا تتجدد القادة البلاشفة ، والمجتمع الشيوعى .

السبب هو أن « باستراناك » لم يزيف الواقع ، ولم يتزمر بالقيود الجامدة التى تفرضها « الواقعية الاشتراكية » الزائفة على الكتاب ورجال الفكر .

السبب هو أن « الصدق » فى التعبير عما يعتمل فى النفس يصبح فى المجتمعات الشيوعية - جريمة لا تُغتفر ، ما دام هذا « الصدق » لا يخدم الأهداف الشيوعية .. مثلما يصبح « الكذب » و « تزييف الواقع » حسنةً و عملاً جليلًا ما دام « التزييف » و « الكذب » يخدمان الأهداف الشيوعية .

ولهذا كان جزاء « صدق » ( باستراناك ) هو تلوث اسمه وطرده من « اتحاد الكتاب السوفيت » . وكان جزاء تمسك المفكرين والكتاب الشيوعيين الرسميين بالقيود الصارمة التى تفرضها « الواقعية الاشتراكية » الزائفة على المفكرين والكتاب - بكل ما فيها من دعوة إلى « الكذب » و « تزييف الواقع » - هو تمجيد هؤلاء المفكرين والكتاب الشيوعيين الرسميين ووضعهم فى أعلى المناصب ، وإسباغ الرعاية والتكرم عليهم .

وإنه لشمنٌ باهظ .. هذا الذى يدفعه هؤلاء المفكرون والكتاب الشيوعيون الرسميون .. وإنه لجزء بخشن ذلك الذى يدفعون كرامتهم وحرفيتهم وضمائرهم ثمناً له !!

وحسينا لكي ندرك إلى أى مدى تبدل ضمائر المفكرين الشيوعيين الرسميين ، وإلى أى مدى تصهرهم الشيوعية في بوقتها ، وإلى أى مدى تُصَبِّ عقولهم في قوله جامدة ، أن نقرأ نص الخطاب الذي بعث به « الكتاب الشيوعيون الرسميون » إلى « باسترناك » ونشرته صحيفة « ليتراتورنيا جازيتا » - أى الجريدة الأدبية - في اليوم الرابع والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٥٨ ، على أثر إعلان فوز « باسترناك » بجائزة نobel العالمية » .

\* \* \*

جاء في هذا الخطاب ما يلى :

« يا بوريـس باسترناك ... إليـك رأـيـنا فيـ روـايـتك وـماـأـثارـتـهـ فـيـنـاـ مـنـ قـلـقـ وـحـيـرـةـ .. وـالـأـمـرـ لاـيـقـفـ عـنـ اـخـلـافـنـاـ فـيـ تـذـوقـ الـقـيـمـ الـجمـالـيـةـ ، أوـ تـقـدـيرـ الـكـفـاءـةـ الـفـنـيـةـ .. بـلـ أـشـدـ خـطـوـرـةـ .. فـهـوـ يـتـعـدـىـ ذـلـكـ إـلـىـ الـاتـجـاهـ الـعـامـ لـلـرـوـاـيـةـ .. إـلـىـ مـنـهـجـكـ الـفـكـرـيـ بـأـكـملـهـ » .

« فـالـمـنـطـقـ الدـاخـلـيـ لـلـرـوـاـيـةـ سـلـسـلـةـ مـتـصـلـةـ تـبـدـأـ بـرـفـضـ الثـوـرـةـ الـاشـتـراكـيـةـ ، وـقـضـىـ مـؤـكـدـةـ أـنـ مـاـنـجـمـ عنـ الـحـرـبـ الـأـهـلـيـةـ مـنـ تـحـولـاتـ اـجـتمـاعـيـةـ أـدـىـ إـلـىـ اـزـديـادـ أـعـبـاءـ الـشـعـبـ ، إـلـىـ تـدـهـورـ الـشـقـفـينـ الـرـوـسـ مـادـيـاـ وـمـعـنـوـيـاـ .. وـتـنـتـهـىـ بـأـنـ ثـوـرـةـ أـكـتوـبـرـ كـانـتـ خـطـأـ تـارـيـخـيـاـ ، وـأـنـ اـشـتـراكـ الـشـقـفـينـ فـيـ تـحـقـيقـ اـنـتـصـارـ الـاشـتـراكـيـةـ لـيـسـ إـلـاـ كـارـثـةـ لـاـمـهـرـ بـمـنـ آـثـارـهـ ، وـأـنـ مـاـأـسـفـتـ عـنـهـ ثـوـرـةـ شـرـ كلـ الشـرـ » .

« وـهـذـهـ الرـوـاـيـةـ اـنـتـكـاسـ نـالـمـ لـهـ نـحـنـ الـذـيـنـ قـرـأـنـاـ لـكـ :ـ مـيـلـادـ جـدـيدـ ، مـوجـاتـ قـطـارـ الصـبـاحـ .. وـهـىـ أـشـعـارـ تـرـقـرـقـ فـيـهاـ أـنـغـامـ لـاـتـأـلـفـ مـعـهـاـ أـبـداـ الـنـغـمةـ السـائـدـةـ.ـ فـيـ قـصـةـ :ـ دـكـتـورـ زـيـفـاجـوـ .ـ

« وـرـغـمـ وـقـوـعـ روـايـتكـ فـيـ جـزـعـيـنـ مـنـ النـاحـيـةـ الشـكـلـيـةـ .. إـلـاـ أـنـ خـطـأـ فـاصـلـاـ فـعـلـيـاـ لـاـ عـلـاقـةـ لـهـ بـهـذـاـ الشـكـلـ هـوـ الـذـيـ يـشـطـرـهـ إـلـىـ أـجـزـاءـ .. وـالـخـطـ الفـاـصـلـ هـوـ عـامـ الـثـوـرـةـ ١٩١٧ـ .. فـالـرـوـاـيـةـ تـجـسـدـ حـيـاةـ الـشـقـفـينـ الـرـوـسـ وـلـعـلـهـ تـجـسـدـ مـوـتـهـمـ !!ـ تـجـسـدـ مـوـقـعـهـمـ مـنـ الـثـوـرـةـ الـتـىـ تـجـمـعـ أـعـاصـيرـهـ ، وـوـضـعـهـمـ أـثـنـاءـ اـنـدـلاـعـهـ ، ثـمـ اـضـمـحـلـاـلـهـمـ نـتـيـجـةـ لـاـنـتـصـارـهـ » .ـ

« والثالث الأول من الرواية .. وهو يصور العشرين عاماً التي سبقت الثورة لا يفضي إلى رفض قاطع للثورة المقلبة رغم اعتقادنا بوجود بذور هذا الرفض .. فمن ناحية التعبير اللغوي المجرد تُقرُّ أنت بما في نظام الملكية الفردية من جور ، وفارق ظالمة .. ولكنك حينما تنتقل إلى تصوير الواقع الجزئية الحية تبرز لنا صورة مشرقة عن هؤلاء السادة الرأسماليين وخدم نظامهم من المشقين .. فهم كائنات نورانية تفيسن نبلاً ونقاءً يكاد يقتلهم التحرق إلى إسداء الخير .. وهم فوق ذلك تستحوذ عليهم التزعة الإنسانية الفياضة ويعجزون حتى عن إيذاء ذبابة ! .

« وماذا يبقى من تصريحاتك عن رفض النظام الروسي الرأسمالي قبل الثورة ؟ إن قبولك الكامل له لا يخفيه التذكر خلف ألفاظ الرفض .. فهو قبولٌ يرتكز على تصويرك رأسماليين يتبرعون بكل ما يملكون للعمل الشوري ويعيشون وفقاً لما تمله ضمائركم ، ومشقين يتمتعون بحرية عقلية كاملة لا تتدخل لتعكير صفوها أدوات القيسير البيروقراطية ، وفتيات فقيرات يلقين سادةً أغبياءً مُحتلين حناناً ، وعملاً لا تواجههم المصاعب في اكتساب الثقافة » .  
« والشخصيات التي تزدحم بها روایتك تحيى في دعية واطمئنان ترفرف عليها العدالة القيصرية السابقة ، وقد يود بعضهم أن يصلوا إلى مستوى أعلى قليلاً .. قليلاً جدًا من الدعوة والعدالة .. وهذا قصارى انتمائهم للثورة ! » .

ثم لا شيء عن الجحيم الذي كان يقاسم الشعب والذي جعل من الثورة أمراً حتمياً .. لا شيء إلا حديث بعض شخصياتك عن الثورة .. وهؤلاء هم نماذجك الأساسية الذين تبدي لهم العطف ... وأسلوب حياتهم لن يصبح أقل إمتاعاً إذا ما أُمجهضت الثورة ... فهم يستطيعون السعادة دونها .. على النقيض من الشعب الذي أخفته بعيداً عن أحداث هذا الجزء .. كشيء راكم خامد لا قيمة له ولم تحدد منه موقفاً معاذياً إلا عندما بدأأت النيران تندلع من هذا البركان ، وبقى أبطالك الفرديون من المشقين الممتازين يعيشون في ثراء فكري ولا تغفهم إلا مشكلات الوجود الذهني .. فأنت تقول : « إن غريرة القطيع هي ملاد الابتهاج العقلى .. سواء تعلق الأمر بالإخلاص لسولوفييف أو كانت أو ماركس .. الأفراد وحدهم باستطاعتهم البحث عن الحقيقة .. وهؤلاء الأفراد يقطعنون علاقتهم بكل الذين لا يعيشون الحقيقة ..

وما أقل الأشياء التي تستوجب منا الولاء في هذا العالم ! » على حد تعبير أحد « أبطالك » ، نيكولاي نيكولايفيش .

« وتنشب الثورة التي طال عنها الحديث دون عون هؤلاء الأفراد الباحثين عن الحقيقة » .. فرجال « الفكر » و « المثل » لم يبذلوا أية تضحية من أجل معتقداتهم .. بل واصلوا حياتهم العقلية الأثيرة لديهم .. ولكن الثورة فادحة الثمن ، وتفرض على مشعلى نيرانها أعباء قاسية من معاناة الجوع والبرد وشظف العيش ، وتجعل مصارعهم دائمة .. والدكتور زيفاجو هذا الفرد الموهوب الممتاز لا يريد أن يتعرض لشيء من ذلك .. إن حياته ثمينة وليس كحياة أفراد القطيع ، ويجب أن يصونها وبهيئة لها الراحة وسط الدمار والخرائب ، وهو يستشعر نحو الثورة نفوراً كبيراً .. وليس هذا الموقف في نظرك منطويًا على الجبن والذلة .. فهو وأمثاله لا يريدون الحياة الآمنة ، والدعة المطمئنة إلا من أجل الإنسانية .. لأنهم منابع حياة عقلية لا تنضب .. ولم تكن الثورة حدثاً ضخماً يعيد تشكيل حياتهم ما داموا يواصلون سيرتهم القديمة ، وغاية ما تصبو إليه نفوسهم ألا يعكر صفو حياتهم طارق جديداً .. من أجل عيون الإنسانية ! » .

« والثورة تستوجب تحديد موقف معها أو عليها ، وتلح في المطالبة .. فينزلق شعور الاغتراب عنها إلى العداء السافر لها .. ويخفي زيفاجو أنه طبيب حتى لا يزعجه الآخرون أثناء وقت استشرى فيه الوباء .. وهو يقول « في العالم الجديد الذي يبنيه القلب على نعط ملوكوت الرب .. ليس ثمة شعب بل أفراد » .

« فالشعب ليس موجوداً بالنسبة إلى هذا الفرد الموهوب .. وهو لا يحمل نحوه أية مسؤولية ، ومسئوليته كلها تنصب على ذاته وعلى قلة ضئيلة أثيرة لدى هذه الذات » .

« وتقول لارا فيدوروفنا وال الحرب الأهلية في أوجها لحبيها زيفاجو : أنا وأنت مثل آدم وحواء عندما كانا في البدء ، لا يمتلكان ما يستران به الجسد .. نحن عاريان شريдан .. ونحن آخر ما تبقى من السمو الرائع الذي ثبّتني على مر آلاف السنين في هذه الأرض منذ آدم وحواء .. وفي ذكرى هذا السمو الذي ينقشع الآن نعيش ونحب ونبكي ويتعلق كل منا بأحضان الآخر » .

« فكل ما تبشر به الثورة من خصب وازدهار للملاليين الناس لا أهمية له أمام هذه الكبراء والأناية الحمقاء .. فإن كنت تنتمي إلى نفط محمد فمعنى أن تفقد إنسانيتك وأن تستحق اللعنة ». .

« ونحن لاننكر وجود أمثال زيفاجو أثناء الثورة وال الحرب الأهلية ،  
ولاننكر الطابع النموذجي لهذه الشخصيات ». .

« ففي اعتقادنا أن دكتور زيفاجو يمثل فعلاً نمطاً معيناً من المثقفين الروس ،  
وهو نفط ولوح بالكلام عن شقاء الشعب ويجيد تحميقه ولكنه عاجز كل  
العجز عن أن يفعل شيئاً يزييل هذا الشقاء .. وتشعر فمادج هذا النمط بأهمية  
ذاتية استثنائية ، ويعيشون بمغزل عن الشعب ، وهم على استعداد في أوقات  
المخة لخيانته والتخلص عنه ، ورغم أنهم شديدو الحساسية تجاه أي أذى يصيبهم  
مهما تضاعل ومهما يكن متحيلاً إلا أنهم قادرؤن على تبرير ما ينوع الشعب  
تحته من أثقال ، وعلى إضفاء عبارات جميلة على هذه الأوضاع ». .

« ولكن لهذا النوع هو صفة المثقفين الروس ؟ وهل من الصواب أن  
يبرزوا رغم قصورهم وهربيهم وتفاديهم أن يحددوا موقفاً بوصفهم نخبة  
منازة ؟ هل من حقهم أن يجلسوا القرفصاء كقضاة يصدرون الأحكام على  
الثورة والشعب الروسي .. أو القطيع الآخر العاجز عن التفكير ؟ فمن حق  
هذا الزيفاجو أن يكون قاضياً وجلاضاً في الوقت نفسه !؟.. إنه يقول : « إن  
هذا النظام يناصبنا العداء .. وفلسفته غريبة على ؟ فإن أحداً لم يأخذ رأيي  
فيما إذا كنت موافقاً على هذه التحولات » ... ويقول : هل الماركسية علم ؟ ..  
إن العلم شيء أكثر اتساقاً . أنتكلمون عن الماركسية الموضوعية ؟ أنا لا أعلم  
مذهبها أكثر ذاتيةً وابتعاداً عن الواقع من الماركسية » .. « ولماذا كل هذه  
التحضيرات من أجل حياة المستقبل ؟ .. لقد خلق الإنسان ليعيش لا ليُفنى  
في التحضير للحياة » .. هذا هو ما يقوله . .

« أي أن فلسفة زيفاجو لا تدور إلا حول محور واحد هو ذاته الضيقة ،  
ولا يدخل الشعب وانتصاره وما يكابده ، في حسابه على الإطلاق . بل إن  
انتصار الثورة يملؤه حنقًا ، ويشير فيه الحنين إلى العالم الذي فقده ، إلى جنة العزلة  
المريضة حيث لا يزعجه دوى الملاليين وهي تستيقظ من إغفالها وحيث لا تصلك  
أذنه ضوضاء البناء . إنه لا يؤمن بأنه بإمكان الإنسان إعادة تشكيل الحياة .

فالحياة نعيشها ونمارسها ، ولا يجب أن يفسدتها التحضير للغد ، وليس مستساغاً أن نرهن الواقع مقابل حلم . ويلوح له أعداء الثورة أصدقاءً ويحس بالحب لهم ، ولكن انطواهه على نفسه يمنعه من أن يقاتل في سبيلهم ، فيظل مستغرقاً في ازدراء الثورة وقادتها الأغياء والتحرق العقيم إلى فردوس أعدائهم ! « ولنعد إلى الفصل الذي اضطر فيه زيفاجو إلى إطلاق الرصاص على البيض ، وهو فصل يشير في مجموعه إلى إعجابك - ككاتب - ببطل قصتك ، وإلى أنك تنشاطره أفكاره وموافقه » .

« فما هي هذه الأفكار والمواصفات ؟ لنجزها هنا : فقد أزعجه الدكتور زيفاجو على أن يشتراك مع جنود الأنصار ، وكان أعداؤهم في الناحية الأخرى رائعين مشيرين للإعجاب من وجهة نظر زيفاجو ، وهم فوق ذلك أعزاء على قلبه ، وهو معهم بكل روحه ، فلماذا لم يذهب إليهم بجسمه أيضاً ؟ لأنه خشي أن يعرض حياته للخطر ، وليس ثمة سبب آخر . ولا شك في أنك مستيقن من كفاءة هذا التبرير لازدواج موقف بطلك ! ثم يصوّب زيفاجو ناره إلى شجرة محترقة حتى لا يصيب أعزاءه البيض .. ولكن المصادفة تجعله يقتل ثلاثة منهم .. ولم يعد يشعر بالعاطف على البيض ، بل على عاملة التليفون الثورية التي قتلوها ، ثم ينتقل عطفه إلى الجندي الأبيض الذي قتله هو . حينما يكتشف أنه لم يتم تحايل على إطلاق سراحه رغم تأكيد الجندي بأنه عائد إلى صفوف أعداء الثورة ليقاتل الحرmer من جديد !

« ألا يشير زيف عواطف زيفاجو وضحتها ، وخاناته المتعددة لما ي عليه وحداته النفور والاشمئزاز ؟ ولكنك حاولت جاهداً بكل ما في موهبتك من قوة أن تتلمس له المعاذير . ووصلت في النهاية إلى تبرير الخيانة . ولم تجد تبريراً في تمجيدك للفردية ، واعتبار العالم الذاتي الذهني قمة الكمال الروحي ، يُضَّحِّي من أجل حمايته بكل شيء .

« ولم تقف عند ذلك ، فقد جعلت من زيفاجو شاعراً يحمل مسؤولية نقل شعره إلى العالم . وختمت الرواية بقطوعات بعثرت فيها موهبتك لأنك حريص على أن تتم المطابقة بينك وبين زيفاجو .

« ويتوت زيفاجو بعد أن ظلت حياته كلها مرتبطة بالآلام كآلام المسيح ،

ويترك وصيته الشعرية منتهيةً بكلمات المسيح : « ستسبح إلى القرون من الظلام كقافلة من السفن كي أحكم بينها ». .

« ولكن ألا تقتصر « آلام » الطبيب الشاعر على تمجيده لنفسه فوق مصاف البشر ؟ وألم يكن الحافر لهذا المسيح العقلى هو أن يقتل زملاءه ويخونهم ويفوضهم لينقد ( روحه ) هو ؟ ما بعد زيفاجو عن المسيح . فقد كانت نفسه شغله الشاغل ولم يهتم بالإنسانية أدنى اهتمام . .

« وأنت لست بعيداً عن الرمزية ، فإن موت زيفاجو في أواخر العقد الثاني يرمز إلى مصر المثقفين بعد أن أصابتهم الثورة في المقتل !! فزيفاجو في رأيك هو أسمى تعبير عن روح المثقف الروسي ، ولكنه في رأينا أخط درك يصل إليه المثقف . .

« وفي رأيك أن المثقفين الذين ساروا مع الشعب وصوروا نضاله وانتصاره قد هجروا رسالتهم الحقيقة ، وانتحروا انتحراً أدبياً ولم يقدموا شيئاً ذات قيمة ، ولكننا نعتقد أن هذا هو الطريق السليم الذي سار فيه الكتاب قبل الثورة وأن الفصال الوعي من مصالح الشعب ردّة أيديولوجية تصيب الأدب بالعقم والجمود . .

« ونود أن نضيف هنا أن ما تحفل به الرواية من ازدراء للشعب وإيان الثورة ، يعارض تعارضًا صارخًا مع تقاليد الأدب الروسي الرائعة . ولم تُنشر حتى الآن إلى الناحية الفنية من روایتك ، ولا يفوتنا أن نسجل ما في السرد من تشتبه وما في البناء من تزعزع ، بل ما في الرواية من تفرق الأوصال ، فأجزاؤها المختلفة لا تتألف في لوحة متكاملة . ولكن تصويرك للطبيعة كان حافلاً بالجمال والشاعرية . .

« ومهما يكن كلُّ منا ثقيلاً على نفسك ، فقد أطلقتنا على الأشياء أسماءها الحقيقة ، فموافقنا من الشعب والثورة والإنسان العادي متناقضة .

« وإن كنت ما زلت قادرًا على إنعام التفكير فيما قلنا ، فلا تدع الفرصة تفلت . ونحن نود ذلك من كل قلوبنا .. » .

\* \* \*

وحسينا أيضًا ، لكن نقف على مدى الجمود المذهبى في الأدب الذى

يخضع له الكتاب - في ظل الشيوعية - أن تقرأ قرار «اتحاد الكتاب السوفييت» ... وفيما يلى نصه :

« انعقد مجلس رئاسة اتحاد السوفييت ، ومكتب اللجنة التنظيمية لاتحاد الكتاب في الجمهورية الروسية الاشتراكية الاتحادية السوفيتية ، ومجلس رئاسة قطاع موسكو من اتحاد الكتاب في الجمهورية الروسية الاشتراكية الاتحادية السوفيتية لمناقشة موقف بوريس باستراناك . ووصل الأعضاء إلى قرار إجماعي يغترب هذه المواقف متعارضة مع رسالة الكاتب السوفيتي ، ووجهة ضد تراث الأدب الروسي ضد الشعب والسلام والاشتراكية . وبدأ هذه المواقف منذ زمن طويل بتصرير حاته التي تحذر « الفن الخالص » ، وتنتهي بأن أصبح الآن أداةً من أدوات الدعاية البورجوازية ، ومصدراً يسير المثال من مصادر الرأسمال السياسي للعناصر المسئولة عن الحرب الباردة ، وللعناصر التي تسعى إلى تشويه كافة الحركات التقدمية والثورية . إن هذه العناصر لا تخفي تدهور باستراناك الأخلاقي والسياسي لأنها حرية على تكريم ما قد يكون لديه من موهبة أدبية ، بل لأنه انضم إلى صراعهم الضاري - رغم عقمه - ضد حركة التاريخ الصاعدة .

« وقد اختنق نشاط بوريس باستراناك الأدبي منذ زمن طويل في العزلة المقلقة داخل الذات الفردية ، وفي الانفصال عن الشعب والمشكلات الحاضرة . ولا تعبر روايته « دكتور زيفاجو » التي أثارت غباراً كثيفاً من الدعاية إلا عن غرور زائف وضحلة فكرية . فهي صيحة فزعية يطلقها سجن الأنانية الفردية ، تنم عن ألمه ولو عنته ، لأن التاريخ لم يسر في الطريق المتعرج الذي وَدَ أن يسير فيه . وفكرتها الأساسية زائفه متبدلة الثُّقْطَت من كومة فضلات أدب الانهيار ، فبوريس باستراناك يود أن يشير الشكوك حول شرعية ثورة أكتوبر وضرورتها الآن ، حينما يتأهب الاتحاد السوفيتي للاحتفال بعيدها الحادي والأربعين ، كدولة قوية متقدمة تقف في طليعة الثقافة العالمية والعلم . وقد أصبح انتصار الاشتراكية حقيقة تاريخية راسخة في بقاع شاسعة من أوروبا وأسيا . ويقدم بوريس باستراناك الفلسفة الفريسة المريضة بطل قصته من مناهضة الفكر التقدمي والفعالية الخلاقة .

« وقد حاول اتحاد الكتاب السوفييت - وهو الذي يحيط العمل الإبداعي بالرعاية - طيلة سنوات أن يساعد بورييس باسترناك في التحقق من أخطائه وفي تجنب التدهور الأخلاقي ، ولكن باسترناك الآن قد قطع آخر صلاته بوطنه وشعبه ، وجعل من اسمه وإنماجه سلاحاً سياسياً في أيدي الرجعيين ». « ولا ينطوى قرار منح جائزة نوبل لرواية « دكتور زيفاجو » - رغم تنكره خلف كلمات رنانة عن شعر باسترناك ونشره - إلا على موقف سياسي وضيع من جانب العناصر الرجعية » .

« ويصاحب منح باسترناك جائزة نوبل حملة هوجاء ضد الاتحاد السوفيتي ، هي في حد ذاتها دليل على الطابع الدعائى للأدبى لقرار منح الجائزة » .

« ومن دواعي الأسف أن هذه ليست المرة الأولى في منح جائزة نوبل لهؤلاء الذين يخدمون تجار الكراهية ومثيري الحرب الباردة ، والذين يشنون الحملات الصليبية ضد التقدم الاجتماعي والتزعة الإنسانية . ولم تستطع لجنة نوبل الأدبية أن ترى كنوز الأدب ذات الشهرة العالمية في إنتاج ليوتولستوي وتشيشوف وجوركى وماياكوفسكي وغيرهم ، ولم تقع عينها على « بونين » إلا بعد أن هرب من الاتحاد السوفييتى وناصبه العداء ، وقد أبصرت الآن بالمرتد باسترناك . ولا عجب أن اعتبرت هذه الجائزة في الصحافة الغربية جائزة معادية للشيوعية . ويفضح رجال الفكر فى السويد وفي غيرها من البلاد عن رأيهم القائل بأن باسترناك نال جائزة نوبل لأسباب سياسية بحتة .

« ونظراً لتدهور باسترناك السياسي والأخلاقي ، ولخيانته الشعب السوفييتى وقضية الاشتراكية والسلام والتقدم واستهدافه خدمة الحرب الباردة مما أدى إلى منحه جائزة نوبل ، فإن مجلس رئاسة اتحاد الكتاب السوفييت ، ومكتب اللجنة التنظيمية لاتحاد الكتاب فى الجمهورية الروسية الاشتراكية الاتحادية السوفيتية ، ومجلس رئاسة قطاع موسكو من اتحاد الكتاب فى الجمهورية الروسية الاشتراكية الاتحادية السوفيتية ، لا تعتبره منذ الآن كاتباً سوفيتياً ، وتفصله من اتحاد الكتاب السوفييت » . (٢٨ أكتوبر ١٩٥٨) <sup>(١)</sup>.

(١) ماهر نسيم : الأدب الشعوى ١٤٨ - ١٥٦ .

هذا هو ما قاله «المفكرون الشيوعيون» الرسميون في خطاب بعنوان «باسترناك» ؛ وما قرره «المفكرون الشيوعيون» الرسميون في اجتماع عقده «اتحاد الكتاب السوفييت» .

وليس ثمة شك في أن الخطاب والقرار يكشفان عن «الجمود الفكري» ، و«الديكتاتورية الفكرية» في ظل النظم الشيوعية . فهذه النظم تحرم الكتاب والمفكرين من «الحرية الفكرية» وتجعل منهم مجرد أدوات تستخدمها الأجهزة الشيوعية الرسمية في خنق الحريات ، والقضاء على الاستقلال في الرأي ، وصب عقول المفكرين والكتاب في قوالب جامدة ، وحملهم على تمجيد الحياة الشيوعية ، بكل ما تخلف به من رذائل ومتالib ، وإرغامهم على الكذب وتزييف الواقع ، وإدخال الفزع في نفوس أولئك الذين لا يرضخون ولا يخضعون للأجهزة الشيوعية .

وتلك هي محنـة الأدب الشيوعي الذي لا يؤمن بالحرية ولا يؤمن بالصدق ، ولا يؤمن بالكرامة الإنسانية<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وبعد كل ما سبق نرى أننا عشنا مع خطابين غريبين عجيبين : خطاب يواجه «باسترناك» .. وأصحابه مفكرون شيوعيون كبار . وخطاب يقف مع حيدر .. وأصحابه لجنة من النقاد الكبار بزعامة الدكتور القبط .

الخطابان متفقان في روح الغلو والإسراف والحمدة في إصدار الأحكام .. وكأنها نهاية لا تحتمل الشك ولا تقبل الجدل !! .

ولكن المفارقة المضحكة المبكية أن هيئة - أو هيئات - الحكم على باسترناك هيئات شيوعية ماركسية تحاكم رواية إنسانية المضمون ، راقية المعانى ، مستكملا كل عناصر الفن الروائى الرفيع ، وتحكم عليها بالهبوط والخروج والمرور ، وعلى مؤلفها بالغدر والخيانة و ... و ...

(١) السابق ١٥٧ .

أما لجنة الحكم على رواية حيدر فهي هيئة عربية مصرية مسلمة تدافع بحرارة عن عمل هابط يجافي روح الفن والذوق والدين !!  
الأولى : تهاجم على طول الخط .

والثانية : تدافع باستماتة على طول الخط .  
الأولى : لم تجد في رواية باسترناك حسنة واحدة .  
والثانية : لم تجد في رواية حيدر سيئة واحدة .. وهذا من أعجب العجب !!!.

\* \* \*

## خاتمة المطاف

لقد طال بنا المسار ، وتعددت منا الوقفات مع هذه الوليمة الحيدرية الدميمية .. وأعتقد أنني منصف غير مسرف إذا قلت : إن رواية « وليمة لأعشاب البحر » :

- في ميزان الإسلام رواية ساقطة داعرة !!

- وفي ميزان العقل رواية مختلة فاسدة !!

- وفي ميزان الأدب والنقد رواية ضعيفة مهترئة .

وهو حكم لم نلقه على عواهنه ، ولم يكن مدفوعاً بحماسة وعشوانية ..  
فكل صفحات هذا الكتاب تمثل حياثات ميدانية واقعية موثقة لإبراز هذا الحكم  
وببيان وجه الحق فيه !!

\* \* \*

و قبل كتابة هذا الكتاب تصدى لنا لرواية حيدر ، وقلنا فيها ما نرى أنه الحق ..  
جاء ذلك في مقالات نشرت في صحيفة « الشعب » وصحيفة « آفاق عربية » ،  
وكذلك في ندوات .. وأحاديث .. ولقاءات إذاعية ، وتلفازية .. وكنا وما زلنا  
نقصد بعملنا هذا ولو حقه وجه الله - عَزَّ وَجَلَّ - ، وإحقاق الحق ، والانتصار  
للكلمة الطيبة النظيفة .. ولكن بعض الإخوة - بحسن نية - عاتبنا على  
هذا التصدي .. لأنه كان سبباً لشهرة حيدر وشهرة روایته التي أصبحت توزع  
بعشرات الألوف .. بعد أن كانت توزع بالأحاد والعشرات .. بل أصبحت تباع في  
السوق السوداء ..

قال الأخ الكريم - وأنا أحاوره - : لو سكتتم وما نطقتم ، وما كتبتم لظل  
حيدر هذا حيَا دفيناً مجهولاً في قريته بأقصى شمال سوريا ، ولظللت روایته هذه  
مجهولة أو محصورة في أضيق نطاق .

قلت لصاحبى : إن الاستهانة بالشر فى بدايته ، أو لصغره وخفاء تأثيره سيعوله - بالإغفال تدريجياً - إلى قوة ضاربة ، وتيارات ضاربة يصعب حصارها ومواجهتها ، وأذكرك بما كتبته فى مدخل هذا الكتاب :

- معظم النار من مستصغر الشر .

إذا نحن طامناً لكل صغيرة فلا بد يوماً أن تُساغ الكبائر

إن التفريط في عقال بعير سيجر إلى التفريط في البعير نفسه ، ثم في القطيع ،  
ثم في المرعى والحمى .

والتغافل عن بغلة عترت في أرض العراق سيقود إلى إهمال إصلاح الطرق ،  
ثم مرافق الوطن والأمة .

وإهمال « بشرة » ملتهبة في الجلد ، قد يؤدي بالتدريج إلى تورم خبيث يودي بالحياة .

ونحن - الأدباء والنقاد الإسلاميين - رساليون .. ورسالتنا في الحياة نابعة من قاعدة جليلة شامخة من قواعد هذا الدين الخاتم الذي نؤمن به .. وهي قاعدة « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ». ورحم الله أبا حامد الغزالى الذى قال : « إن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين . ولو طوى بساطه ، وأهمل علمه وعمله لتعطلت البوة ، واضمحللت الديانة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلاله ، وشاعت الجهالة ، واستشري الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم النداد <sup>(١)</sup> . »

\* \* \*

قال صاحبى - وأنا أحاوره - : ولكنك لا تستطيع أن تنكر أنكم بتصديكم هذا لحيدر قد مكتتموه - أو سهلتهم له - أن يدخل التاريخ من أوسع أبوابه !! .

قلت له : أتفق معك في أنه دخل التاريخ .. ولكنني أختلف معك في

(١) إحياء علوم الدين ١٨٦/٧ .

« وصف الباب » الذى دخل منه إلى التاريخ .. إنه لم يدخل التاريخ من « أوسع » أبوابه .. ولكنه دخل التاريخ من « أدنى » أبوابه ... من الباب الذى دخل منه أشهر داعرى الفكر ، وساقطى الأدب ، وعتاة المزيفين ، ودعاة الهدم والتدمير ، ومصاuchi الدماء والمدموع والتسخاع .. إنها الشهرة التى لا تفارقها اللعنة ، وعلى مدار التاريخ تستهدفها البصقات !!!

\* \* \*

ولكنى — إحقاقاً للحق — أقر وأعترف بأن رواية حيدر « وليمة لأعشاب البحر » قدمت للأمة والفكر — من حيث لا تقصد ولا يقصد صاحبها خدمات جليلة عديدة تنضوى كلها — على تعددها — تحت كلمة واحدة هى « التعرية » .. تعرية كثيرين كانوا يتذمرون بأردية ثقيلة صفيحة من الغش .. والخداع .. والكذب .. والادعاء ، وتعرية كثير من القيم النفعية كانت تتحكم في مسيرة الأمة فكراً وأدباً !!

وأول من تعرى — أو عُرِّي — وربما أسعده ذلك — وزير ثقافتنا « الوسيم جدًا » الخديوى فاروق حسنى الذى أنفق من مال الشعب المطحون مائة وسبعين مليون جنيه فى ليلة واحدة .. لا على تجهيز وزفاف « قطر الندى » بنت خماروته .. ولا فى ألف ليلة وليلة .. ولكن فى ليلة واحدة سماها ليلة الاحتفال بالألفية الثالثة !!

لم يستح الخديوى فاروق حسنى أن يعلن فى قناة الجزيرة أن رواية حيدر ليس فيها ما يسىء إلى الإسلام .. بل إنها تخدم الإسلام ، وتعتبر دعاية طيبة له .. فلما قال له الأستاذ حسين عبد الغنى : ولكن الرواية فيها عبارات تسىء إلى الدين والأخلاق .. قال الوزير « الجميل » : هذه رؤيتهم والمعروف أن الأخلاق نسبية .. والوزير « الجميل » يردد ما تبناه السفسطائيون من أمثال هيبياس وأنتيجون وبروتاغوراس فى القرن الخامس قبل الميلاد من القول بنسبية الأخلاق .. والنظرية بتبسيط شديد جدًا تعتمد على محورين هما :

١ - لاثوابت أخلاقية ملزمة تستوجب الإجماع عليها .

٢ - شخصية الأخلاق انطلاقاً من التصرف الحر دون قيد .. فالطيب الحلال : طيب حلال إذا رأيته أنت كذلك .. وهو خبيث حرام إذا حكمت عليه بذلك !! وتفريعاً على « نسبية » الأخلاق الفاروقية المحسنة يعتمد تكيف السلوك على منطق التبرير الذاتي ، فأنت أستاذ نفسك ، وحاكم ذاتك . فالرسوة تستساغ إذا كيفت بأنها إكرامية ، تلين القلوب ، وتسهل « مصالح » المواطنين .

والخمر - لا حرمة فيه - لأنه يجمع الأصدقاء ، وقليل منه - كما قال بعضهم - يصلح المعدة .

والشذوذ الجنسي السالب لا عيب فيه - كما نقل عن « كبير » مصاب بهذه الآفة - فعياقة العالم من أمثال أبي نواس وأندريه جيد ، وأوسكار وايلد كانوا « كذلك » ، وقال الكبير : وفيما تسمونه شذوذًا سمو بالروح .. إنه « يوجا حقيقة » تُدلل الجسد .. وبإذلاله تسمو الروح .

\* \* \*

ومن « المعزّين » كبير من كبار وزارة الثقافة لا يعرف الفرق بين الفاعل والمفعول ويرجع الجزاية ، ولا يحسن جملتين متتاليتين كتابة أو نطقاً . ورعاة ثقافة يأمرن المطابع أن تدور بكل غث يضرب الدين والعقل والمنطق وقيم شعبنا الأصيل .. فـأين الثقافة يا رعاة الثقافة !! يا عجبا !! بل ياأسفا .. هل فقد الشيء يعطيه !!؟

وأثبتت « معارك » الوليمة أننا نعيش - لا أزمة نقدية - ولكن نكبة نقدية هي - في واقعها وحقيقةها - انعكاس قوى لأزمة أخلاقية حادة جداً قوامها الكذب والنفاق .. والتفريط والإفراط .. والطيش والاندفاع وسوء الظن .. ولأنرك التعميم إلى التخصيص والتعيين : ماذا يعني الاعتراض على رواية حيدر ؟ إن هذا يعني أن المعترض : إرهابي .. من دعوة الفتنة .. سفاح دموي .. قاتل من ورثة خالد

الاسلامبولي<sup>(١)</sup> يقبض من الخارج .. يهدف إلى تحقيق مكاسب سياسية واجتماعية .. ظلامي .. رجعى .. جامد .. ضيق الأفق .. من أعداء الثقافة وحرية الإبداع .. جاهل .. أحمق من دعاة الإسلام الحزبي<sup>(٢)</sup>.

أما القضاة أو الحكماء الذين خلعوا هذه الصفات على المعارضين ، واحتضنوا روایة حيدر فقد وصفوا أنفسهم بأنهم : التنبيريون .. المثقفون الشرفاء .. أنصار الإبداع والحرية .. حراس الفكر والعقل .. رموز التنبير والانطلاق الفكري !!

وهم يصرخون في وجه الظلاميين :

« من وكلكم وأعطيكم الحق في الدفاع عن الدين ، ومحاجمة الإبداع !! ». ونسوا أن السؤال نفسه يمكن أن يواجههم « الظلاميون » به ، ويهتفوا في وجوههم : وأنتم .. من وكلكم وأعطيكم الحق في الدفاع عن « الإفرازات الإبداعية » المتقدمة الساقطة ؟

\* \* \*

والخلاصة أن التنبيريين اتخذوا من الرواية الحيدرية : معيار حكم ، وميزان تقييم : فمن « معها » تنبيري تقدمي مثقف بإطلاق .. ومن « عليها » ظلامي رجعى بإطلاق .

ونسى التنبيريون في - سعار حماستهم - أنهم بهذا « الميزان » قد وقعوا في الحرج والتناقض بما تكشفه الأسئلة الآتية :

- إلى أي فصيل ينسبون الكاتب إبراهيم عيسى ، وهو من أقواهم يسارية ، وله مقال قوى جداً في فضح حيدر وروايته ؟

- وما مكان الدكتور فؤاد زكريا على « فيلسوف العلمانية » ، وله حملة شديدة على الرواية ، واللجنة القطبية التي كتبت تقريرها « العجيب » عن الرواية ؟

(١) انظر : عبد العظيم رمضان في مقاله ص ٢٠ من مجلة أكتوبر العدد ١٢٢٩ - ٢٠٠٠/٥/١٤

(٢) انظر : سيد خميس في مقال له ص ١٠ من أخبار الأدب العدد ٣٩٣ - ٢٠٠٠/٦/٢٥

- وهل يصنف الكاتب المعتمد الأستاذ « سامح كريم » في الظلاميين أم التنويريين بعد أن وصف رواية حيدر بأنها « متواضعة جداً من الناحية الفنية حتى لا يكاد المرء يقلب بعض صفحات حتى يشعر بالسأم والملل ، فليست فيها بريق وجاذبية العمل الإبداعي الجميل .. وإنما اشتغلت على الكثير من تشابك الأحداث ، وتدخلها بشكل مزدحم يتوجه معه القارئ .. الأمر الذي يجعله يقيّد الأحداث واحدة بعد الأخرى في قصاصة صغيرة منعاً للنسفان والسهو حتى يمكن متابعتها والتتحكم في خيوط نسجها .. وهو أمر ليس في صالح العمل الإبداعي الذي يفترض فيه أن يروق القارئ ، ويسوقه من أولى صفحاته إلى آخرها ، فلا يتركه إلا وقد فرغ منه تماماً متنجاً لديه متنه ولذته .. »<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

أما حيدر حيدر فقد أخذ التنويريون جداً ينفخون فيه من أرواحهم ، ويلمّعونه .. يلمعونه بكل ما يملكون من قوى وإمكانات ، فلم يعد هو ذلك القزم القمي الدميم القابع في « حسين البحر » بأقصى شمال سوريا .. لأنّيس له إلا كله .. ولكنّهم « شيئاً » و « عقلقاً » فهو في نظرهم :

- خير من غير عن عصره .. بل هو سابق لعصره .

- وهو أجرأ من عالج وتناول الدين والسياسة والجنس<sup>(٢)</sup> .

- وهو رمز للإبداع الحر ، والمبدعين الأحرار .

- وهو شهيد فكر ، يطلب الظلاميون الخونية لقتله .

- وهو ... وهو ...

(١) مقال بعنوان : « يسألونك عن الإبداع » (الأهرام ٢٠٠٠/٦/١٣) .

(٢) صدقهم حيدر فيما يقولون ، وصدق نفسه ، فوصف أسلوبه بأنه سابق لعصره ، وأنه الأبقى على الزمان ، وأنه أجرأ من تناول « المحرمات الثلاثة » : الدين .. والسياسة .. والجنس .. وهذه الجرأة لا تتوافر في أيّب آخر غيره [ انظر أخبار الأدب : العدد ٣٦٦ . ص ٩ ] .

وهو يذكرنا بحالى شكري بحملاته المذكورة على ما سماه « بالكهنوت » وعُرِفَ به قوله : « الكهنوت كلمة جامعة مانعة ، لا سبيل أمامها للتخلص من الجذر الديني وشعيراته الميتافيزيقية : السر .. الغيب .. المقدس .. المحرم .. المطلق .. المفارق .. الأزل .. الأبدى .. الأوحد ... [ انظر مجلة المنار - العدد ٥٧ السنة الخامسة - سبتمبر ١٩٨٩ - القاهرة ] .

وانطلق المخطوبون من التنويريين إلى لقاء الرجل ليظفروا منه بكلمات أو كليمات « يعطرون » بها صحفهم ، وأحدهم لم يكتف بهذا .. بل شرع يعيد نشر « الوليمة » في نشرته الأسبوعية ، ووالله لقد أخذني الخجل حينما قرأت لواحد من هؤلاء يصف ما عاناه من مشاق على مدى أربع وعشرين ساعة بالطايرة والسيارة إلى أن وصل إلى « المحروس » حيدر حيدر ، وظفر منه بحدث ، وحرص على أن يتقطع معه عدداً من الصور في أوضاع مختلفة ، وظفر منه كذلك بتوقيعه على « الأتوجراف » الخاص به ( !! ) . كتب السيد المحترم في نشرته الأسبوعية المغمورة « ... على باب المنزل ( منزل حيدر ) يوجد كلب حراسة ، وقامت بمداعبته ( !!! ) وخلال ثوانى ( كذا ) فتح لنا الباب الكاتب الروائى حيدر حيدر ، يرتدى فانلة بنصف كم ، وبنطلون ( كذا ) ، ويبدو عليه الشباب والحيوية والعبقرية ( !!! ) .. » .

وتذكرت ما كتبه أنيس منصور في كتابه القيم « حول العالم في ٢٠٠ يوم » واصفاً المشاق التي عانها حتى التقى بـ « الدالى لاما » أيام أزمته المشهورة .. ولكن شتان . وتذكرت - بعد قراءتى الكلمات السابقة - جملة الدكتور محمد عباس المشهورة « وضحكـت ، وضحكـت .. وضحكـت » لا من قدرة « السيد التنويرى المحترم » على مداعبة كلب الحراسة .. ( وكلاب الحراسة من صفاتها الشراسة ) ، ولكن من وصف حيدر بأنه تبدو عليه العبرية ... هكذا .. بسهولة يا تنويرى ؟ الشباب والحيوية نعم .. وارتباطهما بالبنطلون والفانلة أم نصف كم .. جايز .. لكن « العبرية » ... !!!؟

\* \* \*

نعم هذه بعض « التعرييات » التي قدمتها رواية « وليمة لأعشاب البحر » من حيث لا تقصد .. ومن حيث لا يقصد كاتبها حيدر حيدر .. ولكنى أذكر القارئ مرة أخرى بأن هذه الرواية :

- في ميزان الإسلام رواية ساقطة داعرة !!
- وفي ميزان العقل رواية مختلقة فاسدة !!
- وفي ميزان الأدب والقدر رواية ضعيفة مهترئة .

أقولها بعد دراسة طويلة ، ومعايشة واعية .. أقولها لا أقصد بها إرضاء أحد ..  
ولا إغضاب مخلوق .. ولكن أقصد بها وجه الحق .. وتحرير الحقيقة .. بلا إسراف  
أو تقصير .. بلا إفراط أو تفريط .

والحمد لله رب العالمين في الأولى والآخرة .

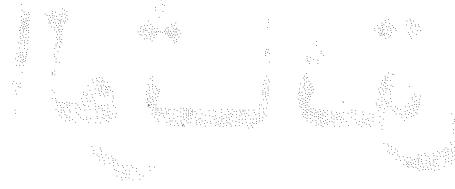
### د. جابر قميحة

ربيع الآخر ١٤٢١

الموافق يوليوز ٢٠٠٠



**الوثائق**



# بيان مجمع البحوث الإسلامية

بشأن رواية

## وليمة لأعشاب البحر

مؤلفها : حيدر حيدر

طبع ونشر الهيئة العامة لقصور الثقافة التابعة لوزارة الثقافة بالقاهرة .

تم عرض موضوع الرواية المشار إليها على «لجنة البحوث الفقهية» فكلفت اثنين من أعضائها المتخصصين بكتابه تقريرين منفصلين عن الرواية لعرضهما في جلسة استثنائية «مجمع البحوث الإسلامية» حدد لها يوم الأربعاء ١٣ من شهر صفر ١٤٢١ هـ الموافق ١٧ من شهر مايو سنة ٢٠٠٠ م ، وقد تم عرض هذين التقريرين والرواية على المجمع في جلساته الاستثنائية وتبين ما يأتي :

**أولاً :** أن وزارة الثقافة التي نشرت هذه الرواية لم تستطع رأى الأزهر الشريف أو مجمع البحوث الإسلامية مع ما ورد فيها من أمور كثيرة تتصل بالإسلام والعقيدة والشريعة .. وذلك على خلاف ما يقضى به القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦٦ م بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها ولائحته التنفيذية والقوانين المتصلة بحماية حق المؤلف وتنظيم وزارة الثقافة مما قطعت فيه الجمعية العمومية لقسمي الفتوى والتشريع بمجلس الدولة بفتواها الصادرة بجلسة ٢ من فبراير سنة ١٩٩٤ (ملف رقم ١٥٨ - ٦٦ ) من أن الأزهر الشريف هو وحده صاحب الرأي الملزم لوزارة الثقافة في تقدير الشأن الإسلامي للتاريخ أو رفض الترخيص بالمصنفات ، وأن شيخ الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية ، وما يتبعه من إدارات هو صاحب الولاية في فحص المؤلفات والمصنفات التي تتعرض للإسلام لإبداء الرأي فيها .

**ثانياً :** إن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات التي تحقر وتنهي جميع المقدسات الدينية بما في ذلك ذات الله - سبحانه وتعالى - والرسول عليه السلام والقرآن الكريم واليوم الآخر ، والقيم الدينية .

ومن ذلك أنها تستهزئ بذات الله ، مثل وصفه بأنه «فنان فاشل» (ص ٢١٩) ، وأنه نسي بعض مخلوقاته من تراكم مشاغله التي لا تهدى في بلاد العرب وحدها (ص ٢٥٧) وأنه أقام مملكته الراهمية في فراغ السمارات ليدخل في خلود ذاته بذاته (ص ٤٢٦) .

كما يفترى على الرسول - عليه الصلاة والسلام - بأنه يتزوج لأكثر من عشرين امرأة ما بين شرعية ، وخليلية ، وممتعة (ص ١٤٨) ، وأنه كان يتزوج من عذاري القبائل بغية توحيدها (ص ٤٢٦ ، ٤٢٧) .

وأنه حرف في آيات القرآن الكريم ونسب إلى ما ليس منه كقوله : « والله تعالى - قال في كتابه العزيز :  
(إذا بلتم بالمعاصي فاستتروا) (ص ١٤٨) .

كما أن الرواية تخرص صراحة على الخروج عن الشريعة الإسلامية وعدم التمسك بأحكامها وذلك بالدعوة إلى ضرورة الانفصال عن الدين .. والله .. والأخلاق .. والتقاليد .. والأزمات الموجلة .. والجنحة .. والجحيم الخرافيين .. وطاعة أولى الأمر والوالدين ، والزواجه المبارك بالشرع ، وسائر الأكاذيب والطقوس التي رسمتها دهور الكذب (ص ٣٤٨) .

ثالثاً : إن الرواية خرجت عن الآداب العامة خروجاً فاضحاً .. وذلك بالدعوة إلى الجنس غير المشروع ، واستعمال الألفاظ في الواقع وأعصابه الجنسية للذكر والأذى بلا حياء مما يعف اللسان عن ذكرها وكتابه نصها حفاظاً على الحياة العام الذي انتهكته الرواية .

رابعاً : إن الرواية لم تكتفى بذلك .. بل حرضت صراحة على إهانة جميع الحكام العرب ، ووصفتهم بأقبح وأقذع الأوصاف مما يعف المقام عن ذكرها ، وطالبت بالخروج عليهم والثورة ولو بإراقة الدماء .

خامسًا : اتضحت لجمع الباحثون الإسلامية من كل ما سبق أن ما ورد برواية « وليمة لأعشاب البحر » مؤلفها حيدر حيدر خروج عمما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وينتهي المقدّسات الدينية والشائع السماوية ، والآداب العامة ، والقيم القومية ويشير الفتنه ويزعزع ثقافتك ووحدة الأمة التي هي الركيزة الأساسية لبناء الدولة ، ويضع على عاتق من نشروا هذه الرواية دون استطلاع رأى أهل الاختصاص المسؤولية الكاملة عن هذا التجاوز والآثار المترتبة عليه .. دينياً واجتماعياً .. وذلك على النحو الموضح تفصيلاً بالتقديرتين المقدمتين من عضوي مجمع الباحثون الإسلامية المشار إليهما .

والله ولِي التوفيق .

شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى

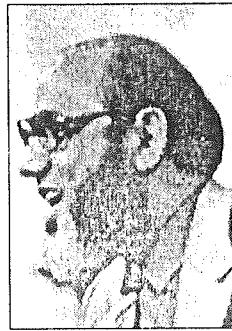
تحريراً في ١٣ من صفر سنة ١٤٢١ هـ

الموافق ١٧ من مايو سنة ٢٠٠٠ م

# لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا إِلَهَ أَكْبَرُ



د . عبد المنعم البرى



عبد الحمíd الفرماوي



العجمي الدمنهوري

التوحيدى لا يرى في رأيه بوضوح في الوطنية واستدراج العاهرات بعد انتصاف الليل، مونيكا حضارة الأنبياء، تاتي له في الصلاة كأنك جزء من الصلاة.

وفي رواية أخرى تحت عنوان «راحة النعاع» يقول المؤلف: برعاية وزارة الثقافة إذا قدر لأحد أن يدخل فسوف تكون ببرية، احضرها أصدقائى، لم أدر ما الذى اعتناني وحتى أثناء الممارسة السريعة الملهوفة والتي انتهت في ثوانٍ كنت متضايقاً من حجم كبر ثديها ومن أنها كانت عبارة دفع لزج متسخ، قابلتها بعد ذلك بيام فدخت لى أنها كانت خارجة لتوصها من المستشفى قالت:

كنتوا كثير قوى تبتوئنى».

تلك الحقارات المسنة يتفق عليها من حرّ مال الدولة، وتفرق بها الأسواق بازدهر الإنماض والدستور جعل الأسرة أساس المجتمع توأمها الدين والأخلاق ووزارة الثقافة تبدل أموال الأمة في تدمير الشباب وإشاعة الرذائل بين جموعه مما نتج عنه سلوكات تنشر بالثبور وغضائين الأمور، وليس لإدمان واشكال الاتكحة الفاسدة وعبادة الشيطان وزنا المحارم وأغتصاب البنات إلا يوازن تلك الفمرات المرة لهذا الفرس الخبيث الذي أفرغ قلوبنا من انبهار القيم، وتحطيم سياج الأخلاق وإيقاد نيران الشهوات.

يا سيادة الرئيس: إن هذه المطبوعات التي تصدير عن وحدات وزارة الثقافة في عهد الوزير فاروق حسني قد ضمت إلى تدمير الأخلاق تطاولاً سافراً على المقدسات الدينية من سحرية بالذات الإلهية، والقرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم حتى لقد قال كاتب رواية «الصقار»: إنه كان إذا قضى حاجته يتظاهر

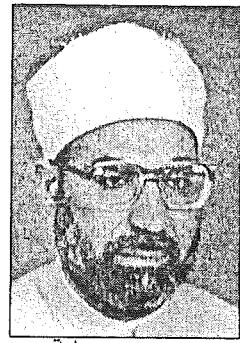
بصفحات وأوراق القرآن بدلاً من النظير بالباء!!

يا سيادة الرئيس: ثم كانت الطامة الكبرى والداهية الذهباء، تلك الرواية «وليمة لاعتسب البحر» التي قال عنها الوزير فاروق حسني: إنه ليس فيها ما يسع للإسلام، وإنها تدعو للعقيدة والإيمان وتجل الإسلام! رغم أنها اتفق بكل قبيح من القول ورذيل الأعمال، فالكتاب المدعوه «حيدر حيدر» يسب فيها الله عن وحل ويسيخر علينا من القرآن العظيم، ويرمى سيد الخلق

السيد محمد حسني مبارك، رئيس جمهورية مصر العربية، سدد الله على طريق الحق خطأه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

سيادة الرئيس: إن جمهرة علماء الأزهر وهم يلتدون حولوك الكبير لتحقيق ما فيه خير البلاد والعباد يفزعون إلى الله تعالى ثم إليك لندرك ما يصر بمصرنا وما نزل بها من فتن من شأنها أن توقد نيراناً تتبدد بها الجهود وتاتي على الأخضر والباس.

لقد دامت وزارة الثقافة منذ سنوات على إصدار مطبوعات استهدفت أخص خصائص الأمة في العقيدة، وفي الأخلاق وفي سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ينشر كتب وروايات ومقالات في المطبوعات المختلفة التي تصدر عن وحداتها الثقافية حتى نات من الشروع النبيل «مهرجان القراءة للجميع»، «دسوؤا بين إصداراته» مطبوعات سلسلة منها «محمد واليهود»، الذي حمل محايطة للهود مع تحامل وتشويه للإسلام وكتابه، وكتاب «موسم الهرة إلى الشمال» مؤلف سوداني حظرت السلطات السودانية نشره هناك ثم وجد طريقه بوزارة الثقافة المصرية وتم نشره ضمن اصدارات «مهرجان القراءة» عام ٩٦ وكتاب «دعوة للحوار»، الدكتور حسن حتى، وقد تم نشره كذلك عام ١٩٩٦، حيث صفت من تلخيص لواقعه التي لم تجد من المسؤول بـ«العلم غير واحد فقط» دافع عنه ونجح في التعرية، حضر به، رواية «الصقار» التي صدرت ضمن سلسلة كتابات جديدة عام ١٩٩٧، وكتابات «المجموعة التجسدية»، وهي عبارة عن قصص قصيرة يجمعها هدف واحد وفي هذه الروايات إشارات ملهمة للتراث الجنسي - الشباب بالتصوير المشوش للعلاقات الجنسية بما العشاق والزنا، في عبارات فاجرة ماجنة فيها إشارة للرذائل وذبح للضحايا، من ذلك ما جاء في ديوان «مرأة يروق لها البحر» وفيه: فتاة تقاسمح في حبها الله تأحبه ولا أنصبه العدا، من سخونة الأرداف وقلق النهدين، أنت اختبرت خصوبتي، وسخونة رغوتي دليل وحيد على اندفاع الماء للنار، وربما أنسبر ليلة بكمالها مع أبي حيان



د . محمود حماده



د . مصطفى إمام



د . يحيى اسماعيل

تزيونها لتطهير موقع المسؤولية من كل ما يسيء إلى الوطن وقيمه ومبادئه ومقداسته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وكل أعلموا فسبيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) صدق الله العظيم

العلماء الموقعون على النداء:

١- د. العجمي دمنهوري خليفة - استاذ ورئيس قسم الحديث وعلوم بجامعة الازهر (سابقاً)، استاذ الحديث المتفرغ بجامعة الازهر ورئيس جبهة علماء

الازهر.

٢- الشیخ سید عبدالمقصود عسکر - امین عام مساعد مجمع الجواثہ الاسلامیہ السابق

٣- د. سعید ابوالفتوح البیسیونی - استاذ الشریعة المساعد بكلیة حقوق جامعة عین شمس وامین عام جبهة علماء الازهر.

٤- د. حسن یوش عبید - استاذ التفسیر وعلوم القرآن المساعد بجامعة الازهر، وكيل جبهة علماء الازهر

٥- د. محمد عبدالمتع البری - استاذ الدعاة والثقافة الإسلامية بجامعة الازهر، ورئيس مركز الدراسات الحرة سابقاً.

٦- د. ابراهیم محمد الخولی - استاذ البلاغة والتقديم بجامعة الازهر

٧- د. مصطفی محمد إمام - استاذ اللغويات بكلية اللغة العربية جامعة الازهر

٨- د. ابراهیم محمد قاسم - استاذ البلاغة والتقديم بكلية اللغة العربية جامعة الازهر

٩- د. محمد على عبده زايد - استاذ البلاغة والتقديم بجامعة الازهر

١٠- د. يحيى اسماعیل احمد حبلوش - استاذ الحديث وعلوم بجامعة الازهر سابقاً

الازهر وأمین عام جبهة علماء الازهر وعضو جبهة علماء الازهر

١١- د. عبدالستار فتح الله سعید - استاذ التفسیر وعلوم القرآن بجامعة الازهر وام القرى.

١٢- د. عبدالحیی حسین الفرمایی - استاذ التفسیر وعلوم القرآن بجامعة الازهر وام القرى.

١٣- د. محسود على حمایة - استاذ ورئيس قسم الدعاة بكلية اصول الدين - فرع انسیوط.

١٤- د. احمد على طه ریان - استاذ الفقه المقارن بكلية الشریعة والقانون - القاهرة.

١٥- د. الخشوعی محمد الخشوعی - استاذ الحديث المساعد بكلية اصول الدين - القاهرة.

١٦- د. مروان محمد شاهین - استاذ الحديث الشریعی وعلوم بجامعة الازهر.

صلی اللہ علیہ وسلم بالفسق والزنا مع الدعوات المترکزة للفسق والفحوج وتهییج الفرائذ الجنسیة.

ومع هذا يقول وزير الثقافة عنها إنها تجل الإسلام.

أى تجلیل واى إسلام يا سيدة الرئيس في وصف کاتب الرواية لله عز وجل بأنه فنان وفانشل (ص ٢٠).

أى تجلیل واى إسلام في قول الكاتب عن رسول الله صلی الله علیہ وسلم انه «تزوج أكثر من عشرين امراة بين شرعيه وخليله ومتعدة» (ص ١٦٨) والخليلة هي المشهورة غير الزوجة.

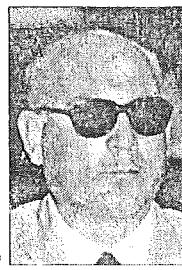
أى تجلیل واى إسلام هذا في قول الكاتب على لسان محاوره: «خرا بربك دعك من الانحطاط العضوى» بغير تعقيب.

أى تجلیل واى إسلام هذا والكاتب يقول معلقاً: كان يداعب تلال المؤخرة الحريرية وحلمة الثدي للتنويع، الآمان لكم انتم الرجال، صح والله صح لم يبق الرجل للمحبب في اكثر من عش، تلك رغبة ربنا ونبينا محمد اول المرسلين (ص ٢٠٩). هل كان رسولنا صلی الله علیه وسلم اول المرسلين والله جل جلاله يقول فيه (ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبیین):

أى تجلیل واى دین يا سيدة الرئيس في قول الكاتب، فتحركت قاردة ثدييها، ثم استندت ببنصفها ..... ونفسك عن الاسترسال رعاية لحرمتک وحرمة الدولة وحق القراء (ص ١٦٢).

أى تجلیل واى إسلام هذا والكاتب المارق يقول في واطع فلة، اكتشف الله في جسدھا، واندفع الھب فاكتشف الله في جسد فلة الهاھر» (ص ٢٥٩) سیدة الرئيس: إن علماء الازهر الشریف يناشدونکم سرعة التدخل شخصیاً لوقف هذه الجرائم وتطهیر وزارة الثقافة من كل من أساء إلى الدين والوطن والأخلاق، وبدد المال العام فيما يضر بالأمة، كما يناشدونکم رفع الحصار عن الدعاة المخلصین الذين يعرفون كيف يدعون إلى الفضائل وبحاریون الرذائل بالحكمة والمواعظة الحسنة حسبة خالصة لوجه الله تعالى، ثم يناشدونکم بالتدخل الشخصی لإعادة الوحدة إلى صفوف علماء الازهر وجمع كلمتهم على ما فيه خير البلاد والعباد، ورفع الظلم الواقع على بعضهم من بعضهم حتى يفرغوا لاداء حق الدلاع عن الله تعالى ومساعدة الدولة في مطاردة الفساد والمفسدين.

سیدة الرئيس: نرفع إليکم هذا النداء نحن هداة الأمة وأنتمها أملین سرعة تدخلکم بالوسائل الحکیمة التي



د . محمود مزروعة



د . عبد الله شحاته

**مجمع اللغة العربية.**

- ٣٩- ١. د. عاطف احمد امان - استاذ الحديث وعلومه  
بجامعة الازهر والملك خالد بالسعودية.  
٤٠- الشیخ محمد احمد النجومی - من علماء الازهر  
الشريف.  
٤١- ١. د. محمود فرج سليمان - استاذ ورئيس قسم  
أصول الفقه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات.  
٤٢- ١. د. متیع عبدالحليم محمود - وكيل كلية أصول  
الدين القاهرة.  
٤٣- ١. د. عبدالله عبد الحیی عبدالرازق - استاذ  
ورئيس قسم الدعاة بجامعة الازهر سابقاً.  
٤٤- ١. د. محمد عبد السميع  
٤٥- د. عطية السيد فياض - مدرس الفقه المقارن  
بكلية الشريعة.  
٤٦- د. شعبیب عبدالمنعم مرسي الغباشی - مدرس  
الإعلام بكلية اللغة.  
٤٧- الشیخ ماهر عثمان عقل - واعظ عام بوزارة  
الداخلية سابقاً، عضو جبهة علماء الازهر.  
٤٨- ١. د. حسن احمد جبر - استاذ التفسير وعلوم  
القرآن بكلية اصول الدين - الرقازيني.  
٤٩- الشیخ محمد المهدی الاطربی - من علماء الازهر  
الشريف.  
٥٠- إسماعیل على محمد على - استاذ الدعوة  
والثقافة الإسلامية المساعد بكلية اصول الدين  
المنصورة.  
٥١- ١. د. رکی محمد أبو سریع فرغی - استاذ  
التفسیر وعلوم القرآن كلية الدراسات الإسلامية  
والعربية.  
٥٢- الشیخ احمد عیسی - عضو لجنة الفتوى بالازهر  
الشريف سابقاً.  
٥٣- ١. د. صلاح زیدان - استاذ اصول الفقه المساعد  
بجامعة الازهر  
٥٤- الشیخ على طه سعد - من علماء الازهر الشريف.  
٥٥- فرید على حلبط - مدرس مساعد بكلية الشريعة  
والقانون.  
٥٦- یسری محمد السيد هانی - استاذ ورئيس قسم  
الدعوه بكلية اصول الدين، فرع المنصورة.  
٥٧- یسری عبد العلیم عجور - اصول الدين، القاهرة.  
٥٨- ١. د. محمد انور بیومی - مدرس مساعد، اصول  
الدين، شہین الكوم.  
٥٩- د. عبدالفتاح إسماعیل - استاذ الجراحة  
والاوعية الدموية الدقيقة وحاصل على الإجازة العالمية  
في الدعوه والثقافة الإسلامية، جامعة الازهر  
٦٠- علاء السيد عنتر - مدرس الحديث وعلومه بكلية  
أصول الدين بطنطا

١٧- ١. د. محمد السيد جبريل - استاذ التفسير وعلوم  
القرآن بجامعة الازهر.

١٨- ١. د. احمد محرم الشیخ ناجی - استاذ ورئيس  
قسم الحديث بكلية اصول الدين فرع اسيوط.

١٩- ١. د. مجاهد محمد هریدی - استاذ التفسير  
ولعلوم القرآن بكلية اصول الدين فرع اسيوط.

٢٠- ١. د. عبدالقادر محمد ابو العلا - استاذ وعميد  
كلية الشريعة والقانون فرع اسيوط

٢١- ١. د. عبداللطیف خلیف.

نائب رئيس جامعة الازهر الاسبق

٢٢- ١. د. محمد حربی محمود شریف - مدير عام

الوعظ ورئيس لجنة الفتوى بالشرقية

٢٣- ١. د. عبدالعظيم المطعني - استاذ البلاغة والتد

بجامعة الازهر

٢٤- ١. د. توفیق عبدالغنى سالمان - وكيل كلية اصول

الدين فرع شہین الكوم

٢٥- ١. د. عبدالفتاح فرج موسى - مفتیش باوقاف دفتر

الشيخ، عضو جبهة علماء الازهر

٢٦- ١. د. جمال عبدالحمید فتحیة - دكتوراه في

الحديث وعلومه

٢٧- ١. د. محمود محمد مزروعة - استاذ العقيدة

والفلسفة بجامعة الازهر وام القری، مقرر لجنة

البحوث العلمية بجبهة علماء الازهر سابقاً.

٢٨- ١. د. طلعت محمد عفیفی سالم - استاذ الدعوة

والثقافة الإسلامية بجامعة الازهر.

٢٩- ١. د. عبد الرافع عبد الحلیم الفقی - مدرس الدعوة

والثقافة الإسلامية بجامعة الازهر.

٣٠- د. رمضان احمد الدقن - مدرس اللغة العربية

بكلية اللغة العربية

٣١- ١. د. فرج محمد ابراهیم الوصیف - استاذ الدعوة

والثقافة الإسلامية بكلية الدعوة فرع المنصورة جامعة

الازهر.

٣٢- د. ریاض السید عاشور - مدرس الدعوة والثقافة

الإسلامية بجامعة الازهر

٣٣- ١. د. عبد الله محمود شحاته - استاذ الشريعة

الإسلامية . كلية دار العلوم، القاهرة.

٣٤- ١. د. ابو اليزيد ابو اليزيد الفجمی - استاذ

العقيدة والفلسفة بكلية دار العلوم بالقاهرة.

٣٥- ١. د. عبد البديع ابو هاشم محمد - استاذ

التفسیر وعلوم القرآن المساعد بجامعة الازهر.

٣٦- ١. د. عبد الرحمن محمد عویس - استاذ تفسیر

وعلوم القرآن المساعد بجامعة الازهر.

٣٧- الشیخ ابراهیم عبد الجلیل مقداد - مفتیش باوقاف

الدقهلیة.

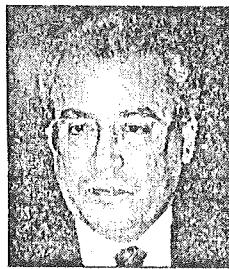
٣٨- ١. د. محمد نایل الصواف - عميد كلیات اللغة

العربية بجامعة الازهر ولیبیا والسعویة، وعضو



## «وليمه لأشباب البحر» د. عبد القادر القط

### الكاتب المثير للفتنة هو الذي أهان القرآن وليس الرواية



د. جابر عصفور



د. صلاح فضل



كامل زهيري



د. عبد القادر القطب

شخصيات أخرى، وأى اجتراء لعبارة من عمل روائي وفهمها خارج سياقها وبعيداً عن شخصية الناطق بها ورد المستمع لها فهو فهم غير سليم، ومن ناحية أخرى فإن وظيفة الأدب الروائي هي نقد الحياة وتنميق الوعي الجمالي بها، وهذا يقتضي المحافظة على حرية التخييل من ناحية وقوف التعبير الفني وصحته من ناحية أخرى.

وأية محاولة لانتقاص حرية التخييل أو إضعاف الصدق تؤدي إلى إضرار بالوظيفة الأدبية الجوهرية.

والرواية تقدم تجربة واسعة لعراقيين يعتنقان الفكر الشيعي، ويقاومان مع كثير من عامة الشعب العراقي الحكم العسكري القائم على العسف والطراوة والقتل والتهديب والمحاكمات الصورية أيام حكم انقلاب عسكري معروف، وحين لا يجدان بد المطاردة والسجن والتعذيب مني من المرت إلا الهجرة إلى بلد عربي يتوصّل فيه الآمان والترحيب بهاجران إلى الجزائر بعد أن كانت ثورتها قد نجحت وطرد المستعمرون وبهما حنث بفسمه بذلك، ولكن قبل أن يسيف الشمر، إنه من السلالة النبوية على الرغم من أنه أصبح ثورياً شيعياً، وبهذا المقدّس وبهذه النعمة إن أكون وفيها

يبدأ شيئاً من الطائشة النفسية تعيّد إليها الاستقرار في تلك المدينة الجزائرية الصغيرة «بونه» على ساحل البحر.

لكن الجزائريين كانوا يجتازون حينذاك فترة انتقال يسودها القلق والاحساس بأنّ السياسيين والانتهازيين قد جنوا ثمار ثورتهم التي ضحى الآلاف الشهداء بأرواحهم في سبيلها، فكان في نفسهم كثير من الشك فيما بينهم وكثير من الشك يمين يفتدهم من الغرباء، وهكذا تحول العذاب الجسدي والنفسي

تقدّم رواية «وليمه لأشباب البحر» رؤية مركبة للواقع السياسي المتحرك للتبارارات التي ساق بها الوطن العربي في النصف الثاني من القرن العشرين، وتبرر المشاهد الاستهلاكية للرواية الروح التي تسسيطر على اتجاه المعنى فيها، حيث تصوّر وداع مهدي جوادـ الشخصية الحوريةـ قبل رحلته إلى الجزائر على النحو التالي: «اخت في لون المرأة وشهقة النحب ترفع القرآن بيـدـ وباليد الأخرى صحنـاً من الطهـينـ على الكتاب المطهر يضع راحة كـفـ ثم يعبر

بخشـيةـ وجـلـاـ، منـحـنـاـ بـقـامـتـهـ وـراسـهـ تـحـتـ قـوسـ الطـحـينـ تـمـتـمـاتـ وـادـعـيـةـ تـنـطـلـقـ منـ اـعـماـقـ السـلـالـةـ الـتـىـ تـوـدـ طـلـقـهاـ: أـقـسـمـ بـهـذـاـ المـقـدـسـ وـبـهـذـهـ النـعـمـةـ إنـ أـكـونـ وـفـيـهاـ

والـأـنـسـيـ فـيـ الـغـرـبـ الـبـعـيـدةـ رـائـحةـ الـبـيـتـ وـالـأـرـضـ وـالـخـبـرـ، وـصـلـوـاتـ الـأـجـادـ، وـالـحـلـبـ وـالـدـمـ، وـصـرـخـةـ الـحـسـينـ وـهـوـ يـذـيـ بـهـ

محضر اجتماع اللجنة العلمية المشكّلة لإعداد تقرير عن رواية «وليمه لأشباب البحر»

اجتمعت اللجنة العلمية المشكّلة بقرار الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة رقم ٥٤ لسنة ٢٠٠٠ لإعداد تقرير عن رواية «وليمه لأشباب البحر»، للكاتب السوري حيدر حيدر في تمام الساعة من مساء الثلاثاء ٢٠٠٠/٥/٩ بحضور كل من:

١. د. عبد القادر القط مقرر اللجنة
٢. د. صلاح فضل عضواً
٣. د. كامل زهيري عضواً
٤. د. مصطفى مت دور عضواً
٥. د. عماد بدر الدين أبو غازى أميناً للجنة

وقد اعتبر عن عدم الحضور:  
١. د. أحمد هيكل لم رضه  
وقد استعرضت اللجنة التقارير الفيدرالية المقدمة من أعضائها وناقشت فيها باستفاضة (مرفق صورة منها) ثم انتهت إلى صياغة تقرير جماعي يعبر عن رؤية اللجنة (مرفق نص التقرير).

وقد انتهى الاجتماع في تمام الساعة التاسعة والنصف مساءً.

- أمين اللجنة:  
 د. عماد بدر الدين أبو غازى  
 مقرر اللجنة:  
 د. عبد القادر القط  
 تقرير اللجنة العلمية عن رواية «وليمه لأشباب البحر»

الذى لقياه فى العراق الى قلق دانم

والحساس بالغربية والعجز عن التواصل مع ابناء مهجرهم إلا من خلال علاقات عاطفية شخصية محدودة، يصفها الرواى بالسلوب شعري جميل وهو يصور حب مهدى جواد وسلوى الاخضر فى رحاب البحر والطبيعة يحكوننا بقوتين الة البدو وتعاليم القرآن.. خرا» ثم تتابع الرواية على الفور شرح رد فعل الشخصية الثانية «كان مهدى جواد يتسلى البحر من خلال الزجاج المنشئ محفوفة بالمخاطر مع مجتمع المدينة الصغيرة المحافظ، ورسم الراوى صلة اخرى ذات طبيعة حسية خالصة وان لم تخل من مشاركة فى ذكريات المقاومة العراقية والثورة الجزائرية بين مهيار الباهلى وقلة المناية، وهلا، يهمشون

العميق بالتاريخ غائب، وهلا، يهمشون التاريخ ويهدونه مليون عام الى الوراء.. فى حصر الذرة والفضاء والعقل المتفجر، يحكوننا بقوتين الة البدو وتعاليم القرآن.. نحن بینهم كما كان رسولنا محمد مع المهاجرين والأنصار». وحيثما تقول أسبا عن المستعمرين الفرنسيين: «غرسوا في ذاكرتنا ان المسلمين والعرب كانوا غارة فاتحين، كانوا يؤكدون لنا ان القرآن ماخوذ عن الانجيل والتوراة، واللغة العربية لغة دين وشعر لا لغة علم، وهذا هو سبب تخلف العرب في العلوم والحضارة الحديثة». يرد عليهما صديقها مهدى بقوله: «هذا طبيعي، إنهم منطقيون ومنسجمون مع غيائهم. الاستعمار في النهاية ليس العنف وحده، بل التزوير والاستلال والقطيعة مع الجماعة».

ثانية: ما جاء في صفحة ١٤٨ من الحوار التالي الذي يدور بين مهدى جواد مدرس اللغة العربية وال حاج محمد. صاحب المنزل الذي يسكن فيه - عقب نقاش حاد اتهم فيه الحاج محمد المدرس بالفاشية مجرد أنه كان يعطي درساً لتلميذه لديه، وشرع في طرده ليسكن مكان شخصي فرنسي سوف يضاعف له الأجر، ويأتي الحوار هكذا:

«فاجأه مهدى هازنا: عمي الحاج، بمصلحة محمد على رأسك هل أحببت في حياته؟

وقال الحاج: واحدة واحدة. على ستة الله ورسوله

- طبعاً تزوجتها

- أكد.

ـ ولكن الله قال: انكحوا ما طابت لكم. ورسولنا المعلم كان مثالنا جميما، ونحن على سنته. لقد تزوج أكثر من عشرين امراة، بين شرعية وخليلة ومتعدة: وكان صلوات الله عليه وسلم يقول: (تناسلاوا). تناسلاوا. فإني مخاير بكم الأمم) استبد الخصي بالحاج: الرسول تزوج حسب الشرعية. أما أنتم فتريدونها شريعية، والله تعالى قال في كتابه العزيز: (إذا بليتم بالمعاصي فاستتروا). وهذا المشهد يدور بين شخصيتين متباينتين، أحدهما مدرس غريب يتعرض للطرد من مسكنه، بمحنة خروجه على الأخلاق وقد كان ملتزم بها حتى هذا المشهد، بينما يكن السبب الحقيقي في الرغبة في مضاعفة الكسب ونو بالتعامل مع بقايا الاستعمار الفرنسي، والطرف الثاني يتذرع بالدين وهو جامل به، والشيعي لم يخطئ، في نسبة الآية الكريمة «انكحوا ما طابت لكم»، ولكن الحاج الجامل نسب إلى القرآن ما ليس فيه، وهنا تكمن المفارقة القصصية. وكل منهما يعبر عن رأيه و موقفه، وتذرع المدرس بفعل الرسول ويقول مهيار الباهلى - أحد الشخصيتين

ويقرأه هذا المشهد يتضح أن يعبر عن موقعين لشخصيتين تنتهيان الى الحزب الشيوعي، احداهما تقدّجربة الجزائري في التأميمات باسم الدين والقرآن، وتزكى على الجانب الالاديني، وتصف التجربة بأنها خرا.. وهو شيوخى ايضاً. لا يقبل كلامه ويحكم عليه بأنه ملتحن العقل، وعندئذ لأبد لانا من ملاحظة مالي:

١ - نسبة هذه الآتوال الى الرواية والموقف غير صحيحة، لأنها تصدر عن شخصية متخلية، تناسب معتقدها، وهي في منظور شخصية أخرى نوع من لوثة العقل.

٢ - الغاء النقطة التي جاءت بعد لفظة القرآن والقول بإن الوصف الذي جاء عقبها ينصب على كلمة القرآن فيه تحريف مقصود، واسامة واضحة لتهييج المشاعر الدينية، وهو مخالف لآمانة النقل، يترتب عليه يانه خرا، هو الحكم السياسي بتبريرات ضد رصاص المستعمر».

وبلغتى أن طبيعة الشخصيات التي تتحرك في الرواية على قدر كبير من القلق والتوتر العصبي، يجعل أحبابها أحياناً تبدو متဂاورةً للمال والأفراد، وقد يجد فيها القارئ، غير المترصد لها، تجربة قرأتنا عربياً كان بمثابة الرقيقة على صدره قرأتنا عربياً كان بمثابة الرقيقة على صدره قرأتنا عربياً كان بمثابة الرقيقة ضد رصاص المستعمر».

٣ - إهمال الإشارة الى رد فعل الشخصية المقابلة واعتبار كل منها لوثة عقل مختل يصبح من قبيل لاقريراً الصلاة.

على أنه من المعروف - حتى في الكتابة غير الأدبية - أن من يروي الكفر ليس بكافر، والقرآن الكريم مليء بآقوال الملحدين والكافر الواردة في سياق الرد عليه وتفتيدهما ولا ينتظر أن الأفعال الابداعية سرى أمررين.

ـ ان تكون الأقوال ملائمة طبيعية على أنها تشير عن لحظة بعينها وتصبح ضرورية من وجهة الفنية لتصوير الموقف.

ومن هنا فإن مناسبة إلى الرواية من بعض العبارات التي يدور في الظاهر أنها يمكن أن تمس شعور القاريء، غير المدرك لما يظن أنه مساس بالدين أو طعن في القرآن الكريم أو تعريض بحياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فهو من قبيل سوء فهم الفن الرواى وتحريف عبارات، وانتزاعها من سياقها وتجاهل ما يرد في الشخص ذاته من رد عليهما من شخصيات مخالفة، والشاهد المشار إليها على وجه التحديد هي مالي:

أولاً: ماورد في صفحة ١٢٨ - ١٢٩ من الطبيعة المصرية على لسان الشيعي الهاجري «مهيار الباهلى» في صور نقد ادعاء حكومة الرئيس يوم الدين تبرير التأميمات الاشتراكية بأنها من الإسلام، حيث تقول الشخصية المتخلية في حوارها مع الآخرين:

ـ «التأمم ليس الاشتراكية، وهذا الذي يحدث ليس أكثر من ترقيع مزيف لا يمحو الاستلال الجوهري للإنسان، اشتراكية بروح العلم لا بروح الدين هذا ماينبغى ان يكون». الوعي

العبارات يتوقف على مدى شعورهم بالحرج والتحفظ أو الاكتفاء بادانة الشخصية التخيلية في سوء تعبيرها. ولا يمكن ان يلغى مثل هذا النزق التعبيري عشرات العبارات والشاهد الأخرى بروح الاحترام والتقديس للدين، فالحياة مفعمة بالجانبين، وعندما يتضمن الأدب لتقديمها، ويجعلنا نشعر بالتحرّج منها، يكن قد قام بوظيفته في افتتاح وعيانا بالمخالفين لنا وتشكيل خبرتنا بالكتاب والوجود.

لهذا فإن اعادة نشر هذه الرواية لا يمكن ان يعدّ مساساً بالدين ولا يجوز محاكمتها، من منظور غير أديني، وما قبل عنها فيه تجنّ كثیر عليها وتحريف لمواضيعها، وتجاهل لقيمتها الفنية المتميزة.

يواجهه، يقرص انفها، لكن انفك هذا سيغترب مستقبلاً.

- هو من صنع ربي، لماذا تسخر منه،  
- لابد ان ربك ننان فأشل ان.  
ونلاحظ على هذا المشهد ثلاثة امور أولها: انه ياتي على سبيل الدعاية وروج الفكاهة، في لحظة غزلية بعيدة عن الجد، ومن شأن الاب في هذه المواقف ان يتصرف بعبارات غير لائقة تأثر على لسان الشخصيات الملامنة لها.

ثانية: ان الفتاة تحاول التخلص من عيوبها الخلقى في فلطة الانف بنسبيتها الى ربها على الطريقة الجزائرية في العامية الدارجة، وهو يلتقط منها الخطيط لبدين تصورها لرها لا ربه هو ولا الذات الإلهية.

ثالثها: ان موقف القراء من مثل هذه

عليه السلام لا يقصد به الطعن عليه في هذا الموقف، بل يحاول ان يستند إلى حجة دينية في خطابه للحاج الذي يظهر التدين، ولا يمكن عند القراءة الادبية للنص في مجلته ان تستشعر رغبة المساس بشخصية الرسول فهي ترد بوصف المعلم، وإن كانت تبالغ في عدد نسائه، ورد فعل الحاج الغاضب عليها تعديل للمعنى ونسبته إلى الفكر الشيعي لمحاربه.

اما المشهد الثالث فهو غزلي عايش، يدور بين مهدي جواد، المدرس الشيعي، وتلميذته التي تحول إلى عاشقة، ويمضي هكذا:

ـ تجذبني أسيما من شعره فبتلقي بصراما.. انت لي، هاه، عليك ان تفهم ذلك منذ الليلة، ويضحك، انفها الكبير المفلطح



## الشافة الجادة

### لا للتطاول على الله ، والقرآن ، والرسول ﷺ

وما جاء في مقال الأستاذ فاروق جويدة ما يلى :

ليس من الحكمة في شيء أن يحاول البعض إشعال التبران كلما هدأت خاصة أنها جمیعاً دولة ووطناً وشعباً قد دفعنا الثمن غالياً .. وفي السنوات الأخيرة استطاعت مصر أن تتجاوز معنة الإرهاب التي هددت أمننا واستقرارنا وأطاحت بالكثير من أحلامنا في التقدم والرخاء .

ولا أدرى لماذا يحاول البعض الآن الدخول بنا إلى معارك لا مبرر لها وقد تكون خسائرها أكبر بكثير من كل ما فعله الإرهاب بنا .. إنني أتابع منذ فترة بعيدة بعض الكتابات في الصحف والجلالات المصرية التي أدب كتابتها على الهجوم على الإسلام : الدين .. والعقيدة .. والرموز .. والتاريخ .. ولا أدرى ما هو الهدف من هذه الكتابات وما هي الغاية منها .. وإن كنت على يقين أنها لا تخدم مصالح الوطن بأي شكل من الأشكال .

ولا يمكن أن يكون بين الدولة والإسلام عداوة ، ومن الخطأ أن يحاول البعض بأساليب رخيصة إيجاد هذه العداوة .. إن هناك جوانب أساسية تتوضح موقف الدولة التي لا يمكن أن تعادي الإسلام ديها أو تأخذ منه موقفاً .

إن الإسلام ما زال حتى الآن الدين الرسمي للدولة المصرية .. وكل القراءين والتشريعات والمرافق والسياسات تؤكد ذلك لأنها تعبير عن خلال هذا المنظور الواضح الذي لا خلاف ولا جدال حوله . إن رئيس مصر حسني مبارك يعرف تماماً كرجل مسلم قدر دينه وعقيدته ، ويدرك عن وعي عميق أن هناك فرقاً شاسعاً بين الإسلام الدين والإرهاب الظاهر .. وفي أكثر من مناسبة كان الرئيس مبارك يؤكّد هذا الموقف ، وفي رحلاته الخارجية كان الرجل يوضح ذلك أمام الإعلام الغربي ، وكان يدين دائماً هذا الخطأ الشائع في دوائر الغرب والذي يربط بين الإسلام والأرهاب ، لأن الإرهاب ظاهرة عالية لا وطن لها ولا دين .

إن اهتمام الدولة بالأزهر الشريف تراثاً وتارياً وتعليناً ودوراً لا يحتاج إلى تأكيد ولم تخل مصر الدولة يوماً عن مؤسساتها الدينية بالمال والدعم والمساندة .

هذا هو الترجمة الرسمي الواضح والصريح للقيادة السياسية وللدولة تجاه الإسلام .. ولكن بعض المزايدين والمتربصين لا يريدون لهذا الوطن أميناً أو استقراراً . إن بعض هؤلاء يتصور أن الهجوم على الإسلام والاعتداء على المقدسات الدينية يجد صدى لدى أجهزة الدولة في معركتها مع الإرهاب .. وهذا تصور خاطئ

يعكس خللاً في التفكير والفهم .. إن الدولة تقف ضد الإرهاب ونحن معها ولكنها لا يمكن أن تقف ضد دينها .. وأنا لا أتصور أن يفتح هؤلاء بتصرفاتهم الحمقاء معارك وخصومات ومواجهات ليس لها ما يبررها على الإطلاق .. إن المشفق الحقيقي هو الذي يحبب وطنه العثرات فما بالك بنيلقى به إلى دوامات من الصراع والنتائج غير المحسوبة ..

ما هي الحكمة من هذا الهجوم الضارى في بعض الصحف المصرية على رموزنا الإسلامية والسخرية منها .. والتهجم عليها .. وكيف نغفل ذلك أمام شباب يفتقد القدرة في كل شيء .. ولماذا هذا الإصرار المريب على إسقاط هيبة هذه الرموز ومنها نماذج إنسانية رفيعة كانت غاية في السماحة والزهد والعلم وحب الوطن ..

أتصور مثلاً أن تسخر هذه الكتابات من النماذج الرديئة في حياتنا وما أكثرها أو أن تواجه الإرهاب بالفكر المستثير والإبداع الوعى .. أما أن تشمل السخرية كل ما يتعلق برموزنا الإسلامية فهذا عداء سافر للإسلام وهو أمر سيئ لنا جميعاً ..

ما هو الهدف من نشر رواية سورية هي « وليمة لأعشاب البحر » للكاتب السوري حيدر حيدر من ميزانية أجهزتنا الثقافية وكيف تصدر من أموال تخص نوع مصر وقرائها وشبابها المطحون .. إن هذه الأمور خصصتها الدولة لتواجه بها خفافيش الظلام في ريف مصر وقرائها .. ومن الخطأ الجسيم أن تذهب لغير ذلك .. هل يعقل أن نترك كتابات عشرات المبدعين الشباب من المصريين وننفق أموالاً خصصتها الدولة لهم على رواية رديئة للكاتب السوري أثارت جدلاً واسعاً حول قيمتها الفنية !!

وهنا أسأعل .. ما هي الحكمة من نشر أعمال أدبية شاذة لأشخاص مرضى يعانون أمراضاً نفسية وجنسية .. إن مصر كعبة الثقافة العربية وكان صدور رواية أو قصة لكاتب عربي من قاهرة المعز ترتيباً لمسيرته واعترافاً بقيمه ..

ولكننا الآن في مصر نطبع وننشر لكل من هب ودب .. ولم يكن غريباً أن تتسلل نماذج ساقطة كان منها رواية « الخبز الحافي » للكاتب المغربي محمد شكرى وهى تحكي ذكريات رجل شاذ جنسياً وكانت ضمن مناجح التعليم فى الجامعة الأمريكية حيث يدرسها أبناؤنا ويؤدون الامتحانات فيها .. ثم كانت أخيراً « وليمة لأعشاب البحر » وهي كارثة أخرى في سجل الأعمال غير المدروسة التي تنشرها مؤسساتها الثقافية ..

ما هي الحكمة في أن نختار هذه النماذج وأمامنا نماذج إبداعية راقية لعدد كبير من الكتاب العرب تتجسد فيها كل قيم الفن الرفيع منذ احتضنت مصر طوال تاريخها المبدعين العرب الكبار ..

إننا لا يمكن أن نكون ضد حرية الإبداع .. ولكن لا توجد حرية بدون مسئولية .. وهناك فرق كبير بين إبداع جاد ومتزعم ومسئول .. وبين إبداع مبتذل ورخيص ومسنون .

ما هي الحكمة في هذا التشجيع المحموم الذي يقوم به بعض نقادنا لهذه التيارات الدخيلة على ثقافتنا ابتداء بلغة الجسد .. وانتهاء ببنويات الشذوذ ..

إن هذه الكتابات تعتمد تماماً على حديث الغرائز حيث لا أسلوب ولا فكر ولا هدف ولا قيمة .. وهي أبعد ما تكون عن جماليات الفن والإبداع .. هناك فرق كبير بين فنون تؤكد قيم الجمال حتى ولو قدمت غاذج سلوكية قبيحة .. وفنون أخرى تروج القبح وتدعوا إليه .

إن موضات كتابات الجسد .. ورسوم الجسد .. ومسرح الجسد .. وبينما الجسد .. وروايات الجسد .. كل هذه التقاليع لا علاقة لها بالفن الحقيقي لأنها تعكس أمراضًا نفسية يحتاج أصحابها إلى مصحات وليس إلى دور نشر وكتاب ونقاد وقراء مؤسسات ثقافية تملکها دولة .

والأغرب من ذلك أن هذه الكتابات تجدى صدى واسعاً في الدوائر الغربية حيث تترجم كل يوم ويتنقل أصحابها التهانى والورود والدعوات ويشاركون في المؤتمرات ، والسبب في ذلك أن هناك تجارة رابحة في الغرب الآن ويستطيع أي كاتب عديم المروبة أن يقدم نفسه من خلالها إن يكتب في الجنس ولغة الجسد .. أو يهاجم الإسلام .

إن الإبداع الحقيقي لا يمكن أن يكون خصمًا لقدسات الناس وعقائدهم .. كما أنه لا ينبغي أن يكون دعوة للتحلل والتسيب والفساد .. ولا ينبغي أن يكون سلمان رشدي هو النموذج الأمثل لكتاب الرواية لأننا لستنا أمريكا ولستنا إنجلترا برغم أن هذه الدول لا تسمح لأحد بالاعتداء على مقدساتها الدينية .

منذ شهور تلقيت مجموعة قصصية لكاتبة ناشئة وعندما بدأت أقرأ فيها اكتشفت أن الكاتبة غير قادرة على صياغة جملة سلية .. وكانت أفكارها مشوشة .. والقصص جميعها تحصر في تجربة امرأة تقاوم الجنس مع نفسها .. هل هذا هو الإبداع الذي نريده لأنبائنا وبنائنا ؟

نموذج آخر .. لشاغر يحاول أن يسخر من كل شيء في صياغة ركيكة .. ابتداء بالحائل جل جلاله .. وانتهاء بكل الرسل والأنباء .. فهل هذا هو الشعر الذي نريده ؟

لو خرج رجل معجنون إلى الشارع ، ووقف عاريًا في ميدان التحرير فإن الشرطة سوف تلقى القبض عليه ، وبعاقبه القانون .. فماذا عن هؤلاء الذين يمارسون العرى في الكتابة ، ويجدون من ينشر لهم ، ويدافع عنهم ، ويعطيمهم الأموال من جيوب الشعب الغلبان ؟

لو أن شخصاً قرر الآن أن يطبع كتاباً ، ونحن على أبواب الانتخابات البرلمانية ، وأن يثار فيه من الحزب الوطني ويشهوه رموزه .. هل يجد في أجهزة الثقافة من ينشر له هذا الكتاب ؟

وهل يعقل بعد ذلك أن نسمح بكتابات تتجه إلى الله ورسله وأبيائه ونقول : إن هذا يدخل في نطاق حرية الإبداع !! هل الحرية أن نروج فناً للشذوذ الفاضح ؟

إن البعض يتصور أن هذه النماذج الريدية من الكتابة هي دعوة للاستئناف ضد جحافل الإرهاب .. وهذا تفسير خاطئ لمسؤولية الإبداع ودور المبدع .. إننا لا نستطيع أن نواجه الإرهاب بالأعمال الشادة .. ولكننا نواجهه بالفن الحقيقي .. بالقيم الرفيعة .. والقدوة الصالحة .. والسلوك المترفع .. والحوار الجاد ..

إن هؤلاء يتصورون أنهم بذلك يخدمون الدولة في معركتها ضد الإرهاب ، ولا أعتقد أن ذلك صحيح .. إنهم يسيرون للدولة ولهم .. ويسعون لنا .. ويدخلون بنا في سراديب مظلمة من الأخطاء والتجاوزات .. ويعملون الحرب على قيم المجتمع ومقدساته .. ولا أعتقد أن الدولة بكل مؤسساتها في حاجة إلى المزيد من المشاكل فلديها ما يكفيها !!

إن مصر هي أول من أرسى قواعد التوحيد في الكون .. وهي التي احتضنت كل رسالات السماء في التوراة والإنجيل والقرآن .. وهي التي أكملت العائلة المقدسة .. وحفظت للإسلام دوره وتاريخه .. واحتضنت بين ترابها الطاهر آل بيت رسول الله عليه السلام .. كانت مصر دائمًا حصنًا لكل دعوة للتوحيد .. فكيف نسمح لجماعة من الانهاريين وأصحاب المصالح بأن يدخلوا بالدولة وبالشعب وبالدين في معارك لا مبرر لها غير البلبلة والمشاكل والصراعات .. والإساءة لمشاعر الناس .. كيف أصبح في نظرهم كل من أدى الصلاة إرهابيًا .. وكل من دخل المسجد متطرفاً .. وكل من ترك حياته متأملاً .. وكل من دعا إلى الله عدواً للدولة ..

كيف توجه الأجهزة الثقافية أموالها لإصدار أعمال تسخر من مقدساتنا وهناكآلاف من المبدعين الشباب الشرفاء لا يجدون من يطبع إبداعاتهم الراقي فهل انتهت كل قضائيانا ومشاكلنا الفكرية والثقافية والاقتصادية ولم يبق أماناً غير أن تطبع هذه النوعية من الكتب الريدية والكتابات التي تسخر من كل مقدساتنا .

إن كل من يروج هذه النماذج الريدية يهدد أمن مصر واستقرارها .. ويهدد أيضًا دورها ورصيدها وريادتها .. ويهدد قبل ذلك كله أجيالًا لا يبني أبداً أن نقدم لها هذا الزاد المسموم .

في معركة ضد الإرهاب كلنا في خندق واحد .. شعباً وحكومة .

في معركة مشبوهة ضد الإسلام ..

الكل خاسر .

# ماكتبة حيدر حيدر لا علاقة له بحرية الإبداع

## إبراهيم عيسى

والتعبير، ويسعدنى كما يوسعنى أن أصمم أصدقائى بأن ما جاء فى هذه الرواية لا يمت إلى حرية التعبير بصلة تذكر.

حرية التعبير والإبداع فى حق الكاتب فى تثوير الناس، ومواجحة السلطة، والسلطان، والتتصدى للقهر، والقضاء والفساد، والاستبداد، فى لوج عالم الاجتماع، وقراءة النصوص الدينية، وتفسيرها.. التناهى مع سير وقصص الأنبياء، والاستئهام الحر من حياتهم، مسيرتهم.. فى كشف الجمود السياسى والفكري والدينى.. فى تعريب شرخ الطاعة ووعاظ المسلمين، فى تعريب المسلمين.. فى الهجوم السافر على انفاس أبي الحاج الشفى ويزيد بن معاوية، ومنصور السفاغ، فى السعي إلى الديمقرطية، والحرية ونراة الانتخابات، وحق التصويت غير المزيف ولا المزور، فى مجاهدة ومواجحة حملة مبادرات الثناق، وجملة مواخير السياسة.. فى سب ولعن وكشف وفضح الاستبداد والفساد. اذا كانا يريدان نضحك على أنفسنا وعلى الناس وندعى وندعو إلى ان حرية الإبداع هي وصف القرآن بالخرا، او ندعى بالشذوذ او عض اثنى بالتبنة والمحراب، فالحرية بربة من هذه الأكاذير العطلة.

واريد ان اسأل: ما الإضافة الى الحرية والإبداع والضمير الوطنى والعروبة الثقافية والإسلام المستير التي اضافتها فقرات تصف القرآن بالخراء؟ ما هذا الحرمن الذى يستغنى على تقديم الحرية على أنها قد تشمل لصق صفات حقيرة بيني او مقدس ديني منهز في الإسلام او المسيحية او اليهودية؟

ان هامش الحرية في الوطن العربي ضيق ومحدود ويقاد يكن لامرانيا، فبدلا من ان نسائل وننتأضل من أجل اتساع هذا الهاشم والكافح من أجل تصحيح الحرية حقا وحقيقة، نكار شرق في عطن الوطن، وارث الروح، حين نحصر على استئثار جهودنا لجعل هذا الهاشم مخصوصا فقط لحق المدح في ثنت المقاسات بما يحلوه، او حق المدح في تلك قلب القارئ، بذكر الأعضاء الذكورية والأشورية ورجالات البيرة وبيل المني وسب الدين والمللة في قصائد النثر.. لقد تحرك المثقفون من الأدباء المصريين غضبي من حملة جريدة «الشعب» على اصدار مؤسسة في وزارة الثقافة رواية ووليمة لاعشاب البحر، مستندين على الاسباب الآتية:

١- أنها حملة ارهاب فكري وديينى تستهدف قمع حرية الإبداع، وتکفير الأدباء.

٢- ان السكوت على هذه الحملة انتصار لاصحابها وسوف يشجعهم على استسلام بقية البدعين والمثقفين واستنقاطكلمة او سطر او فقرة من رواية او قصيدة وازلال احكام التکفير عليهم.

٣- ان هذه الحملة دعوة الى القتل والتصفية الحسنية للأدباء، خصوصا المشرفين على السلسلة التي اصدرت الرواية.

٤- ان ما كتبه حيدر حيدر يدخل تحت بند حرية الإبداع، وأنه لم يحمل مسائسا بالدين، ولا مقدساته وان الفكرة التي تم ابتسارها وأستثمارها في غير

على قدر ما استاء البعض فتجوس آخرون من المظاهرات التي انتقلت من جامعة الأزهر الأسبوع الماضي متدة برواية «وليمة لاعشاب البحر» (دون حتى أن يتيهنا اسمها) ورافضة لما اعتقدوا وظنهم صحيح.. مساسا بالمقدسات الدينية.

على قدر ماجاهات رواد انفعال متلقينا مستترة ورافضة، على قدر ما رأيت في المظاهرات شيئاً إيجابياً وفعلاً شعرياً وطلابياً محموداً مطلوباً، فالجانب الشرقي في هذه المظاهرات إن لدينا - مازلتنا - طلاباً وشباباً مهتمين بالشئون العامة، وما يحيط بهم في مجتمعهم.. وإن لدينا - مازلتنا - طلاباً وشباباً يستقرهم الأساس - مجرد المس - بمعتقداتهم الدينية، وإن لدينا - مازلتنا - بعضاً من الناس تسرى في عروفهم دماء مستفردة وتقلب متقدة.

اليوم خرجوا - وهذا حقهم كامل غير منقوص لا من أحد، ولا دفعنا من أحد - في مظاهرات من أجل كبرياتهم الدينية، ففي النهاية يخرجون من أجل كبرياتهم الوطنية والسياسية واليوم ينددون بتجاوز اعتقاده في وزارة الثقافة، وغداً ينددون بتجاوزه يعتقدونه في غيرها.

علينا كمحثثين وطبيعين - ان نحتفل ونحتفي بهذه المظاهرات، لا ان نشتكرها ونستنكف منها، حتى ولو كان شعارها ضد رواية او اعمال ادبية او اعمال يدعى أصحابها انها كذلك.

إذا ثار شباب وطلاب وتيار ضد رواية او كتاب او قصيدة، فهو ذلك على انهم مهتمون ومهتمون بقضايا عامة خارج ذراهم، وشخوصهم.. دليل آخر في السياق نفسه على أنه لا تزال الروايات والأعمال الأدبية البداعية قادرة على اثارة مجتمع واستثارة جدل وتحريك مظاهرات، ولعل - مثقبينا - الثنائيين في العرس والجالسين على هامش الحياة السياسية والفكرية يستтикظون يوماً على أهميتها وأهميتها ماركتوبين ويشترون، ويروجهون هذه الأهمية وجهتها الحق، وجهتها الصواب، نحو الحرية الحقيقية ضد القمع والفساد والاستبعاد، وليس ضد حرية كاتب في العيب في الذات الاهية، او قران رب المجد.

قبل أن أتبا إلى ما هو زلق قد نسميه ان هذه المظاهرات خرقت بحسب وتعينة من تيارات، وهذا ما أشك به كثيرا، وهذه التيارات ليست بالقوة التي تحكم وتنظم وتحلخ وتتفند، فقد فُتئت كثيرا في كثير من خطواتها واهدافها، ولم تلحظ في لم أحد ولا جر قدم نحو قضيابا عديدة كانت ملحة عليها، وفاقدة لها.. فأشحسب - حتى لو كانوا هم من نجحوا في الحشد والتعبئة هذه المرّة - فلامهم الموضوع، ولداحمة الحدث «ماجاها» في الرواية، وما استفز الناس.. كل الناس..».

اما حكاية ان الطلاب الذين خرجوا لم يقرأوا الرواية، فلا اظن هذا ينافي او يزيد في الأمر شيئاً.. فالأخشن انهم لم يقرأوا الرواية، فقد تستفزهم أكثر، أما انهم اعتذروا فقرات متقطعة، وسطروا بميسرة في الرواية نشرتها لهم مصحيفة «الشعب»، ففي ظني ان هذه الفقرات والسطور تكتفي جداً لاستثارتهم، ولتحفthem على التظاهر، وان اي سياق ادبي «مزعم» لا يقنى ولا يسمى من جوع في شرح شيء، للناس يقلل من غلوائهم ويهدي من روحهم..

وقد احتاج كثير من المثقفين والأدباء.. بآن ماكتبه حيدر حيدر صاحب الرواية المشئومة « بش الرواية التي كشفت بقى واقعنا الثقافي» ماكتبه يستند الى حرية الإبداع

الامر حمامة من تيار ديني تحت ستار الدين ضد مدع متهم بالاساءة الى المقدسات لاقول مناقشة صحة احاديث من المفسرين، ولا اقول مناقشة صحة احاديث منسوبة الى النبي، ولا اقول خزنبيلات شیوخ الطاعة .. لا.. اقول: الإساءة الى المقدسات!!.. ما السر؟

اعلم ان عشرات من المثقفين المصريين قالوا لى انهم يكرهون رواية حيدر ويرونها عملاً تافياً، وانهم ضد ماذكره، ويررون شيئاً حفيراً، لكن ماذا يفعلون الا مواجهة الهجمة الارهابية؟  
وأقول لهم: ما الذي جعلنا نعتقد ان الحملة ضدنا أساساً؟

وأذا كانت ضد مثقف او اديب او مشرف سلسلة ادبية فعليه ان يوضح ويستوضح.. ومن الجائز جداً ان يشعر انه اخطأ فيعتذر، او يستقيل «بالمناسبة».. ابراهيم اصلان - المشرف على هذه السلسلة - واحد من اثني وارقي واشهى رجال الارض، وشخص اصيل رائع واعتقد ان هذه الحملة لم تكن حتى طرف بخطوله، فمن الجائز ان تكون الرواية قد عبرت عليه دون ان يتخصصها، ومن الجائز ان يكون تقديره قد اخطأه، ولاظن في دينه ولا في اسلام.. واظن انه اصلب عرداً واقوى قليلاً واصد روحًا من ان يبتزه اى واحد فيها، حينما رسمت رسامة صهيونية منذ اعوام خنزيراً وكتب عليه محمد «بنينا المصطفى» لم يقل احد لامتنا ولا حتى عندهم أنها حرية ابداع، وعندما تخرج السينما الامريكية بفيلم يقدم ارهابياً وقاتل مسماً بمصحف شريف نصرخ: إنها اميرالية وصهيونية، ما الذي ننتظره اذن عندما ننسى نحن مقدساتنا؟!

بقيت ثلاثة نقاط، واحدة مكررة واثنتان جديتان، ببدا بالجديد..

١ - قرأت للكاتب محمد عباس، ما يكتبه، وقرأت محاولة اصادبته بالسهم نفسه الذي اضاف به حين استلطوا له بعض الجمل والقرارات في روايته «قصر العيني».. والحقيقة اتنى ارى في محمد عباس كتاباً جريئاً وجسوراً، يكتب مایراً، وما ي يريد ويحصل اللي يصلح.. والحقيقة ان كتاباته فيها خطابة، ومبربة، ووعظية، وحس تظاهري ومنبرية للغاية، لكن ما يضرر هو حجر.. اتفق معه وأختلف، أحبه او اكرمه، لكن هذا سمعت وصفته وكتاباته، ولقد رأيت في مقالات كثيرة له شجاعة ليست في كثير من المثقفين في مواجهة الظلم والاستبداد والفساد وامن الدولة!  
اما ما ذكره من رواية لايسى الى محمد عباس في شيء «يالملفاجة!!».

طبعاً.. لا تزوج رواية في العالم لاتمن الجنس من قريب او بعيد، ولا يوجد ماميغنى او يجعل كاتبها عن الحديث عن الجنس في رواية له، وليس في ذلك مسيسي، على الاطلاق.. ضد الفحش في الجنس، ممكن حتى هذا فيه كلام.. لا احد ضد الاستعارة من القرآن الكريم، والفالطه، ومحمله، ومعانى، لم يقل احد على الأرض شيئاً من هذا قبله ولابعد.

محمد عباس ليس في روايته.. على ما قرأت من فقرات مختارة بعناية، وبترصد وبتربيـن - ما يسيـه له.. الخلاصة عندي.. هل قال محمد عباس - على لسان شخصية من شخصيات روايته - ان القرآن خراء، او ان نبياً شاـراـد، او ان الانجـيل كذا؟! لا.. لم يقل.

ان يكتب مايطر له، واتـمـ مـالـكـمـ. حتى لو كتب ما اراده عند حيدر حيدر تبا للاثنتين ان صبح.

الامر الثاني: انتي قرأت قطعاً رواية «وليمة لاعشاب البحر»، وقررت كل ما كتب عنها من دراسات نقديـة وادبية «كـلهـ عـلـىـ ماـ اـظـلـ»، ويسعدنى ان اسجل رأـيـ لـزمـلـانيـ وـاصـدقـائـيـ جـميـعاـ - مع احترامي للنـقـادـ الـكـبارـ فـيـ الـذـينـ اـمـتـحـنـهـاـ حتـىـ كـدتـ اـظـنـ

هدفـهاـ، وـمنـ ثمـ فالـروـائـيـ لـايـتـنـهاـ.

هذه الاسباب تبدو من الخارج منطقية ومتماسكة، لكن مجرد تأملها تكشف انها عمـراءـ، ان لم تكن عمـباءـ، وـانـ اذاـ اـنـقـ بـعـضـنـاـ عـلـىـ انـ هـذـهـ حـمـلةـ اـسـتـخـدـمـ اـسـالـبـ تـهـيـجـةـ غـوغـائـيـةـ، فـمـنـ قـطـلـهـ الضـمـيرـ انـ نـقـلـ اـنـ مـواجهـةـ الغـوغـائـيـةـ لـاتـكـونـ بالـغـوغـائـيـةـ نـفـسـهـاـ، وـانـ التـهـيـجـ الصـادرـ منـ جـريـدةـ «ـالـشـعـبـ» يـدـعـوـ الىـ كـونـ هـذـاـ الـادـبـ كـافـرـ، وـتـصـدـيـ لهـ تـهـيـجـ يـسـارـيـ يـرـىـ انـ هـذـاـ حـرـيـةـ اـبـدـاعـ، وـانـ هـؤـلـاءـ اـرـهـابـيـونـ، بـلـ وـصـلـ الىـ وـصـفـ اـحـدـهـ بـانـ يـتـطاـلـ عـلـىـ رـمـوزـ الدـرـالةـ!!

وفي ظني ان ما فعلته جريدة «الشعب» حقها الطبيعي الذى لا ينافيها فيها احد، صحيح ان الجريدة بالغت حتى التطرف والشحط فى استعداد الناس على حيدر حيدر، وناشر الرواية، واصحـيـحـ اـنـهاـ أـصـيـبـتـ بـجـنـيـنـ مـلاـحـةـ النـصـوصـ فـيـهاـ شـبـهـ مـاـ حـاكـمـ اـنـهاـ أـصـيـبـتـ بـجـنـيـنـ مـلاـحـةـ النـصـوصـ فـيـهاـ شـبـهـ فـرـصـةـ لـاحـدـ كـيـ يـلـقـطـ نـفـسـاـ، اوـ يـرـفـعـ حـسـاـ.. لـكـنـ هـذـهـ اـسـالـبـ كـلـهاـ يـعـهـودـهـ فـيـ هـذـاـ تـيـارـ، وـجزـءـ اـصـيلـ مـتـسـقـةـ تـامـاـ.. لاـ اـرـىـ جـديـداـ لـكـنـ لـمـ لـمـ فـلـقـيـنـةـ السـيـاسـيـةـ، وـلاـ هـيـ مـسـتـفـرـيـةـ، وـلاـ هـيـ مـسـتـوـحـشـةـ.. بلـ تـسلـمـتـهاـ حـمـلةـ بـسـيـطـةـ رـوـاضـخـةـ تـامـاـ

سؤال: هل من حق أحد ان يصف القرآن بالخراء؟!

أجب.. اجل.. قل الحق.. ومانارة يربض ضميرك..

لن تجد سوى إجابة واحدة.. لا.. ليس من حق احد..

ثم ماعقبه من يقول ان القرآن خراء؟

ان يقتل.. ان تقطع رأسه.. ورجله من خلاف..

لم تقل الحملة ذلك.. طالبت بوضوح.. معاقبة المسلمين الظفيفين.. هذه واحدة.. وطالبت بظاهرة الشعب.. وإعلان غضب المسلمين في مصر من هذه الجريمة.

عداها العيب!!

اذا كانت هذه مطالبتها فقد دعاتها العيب فعلاً.. بل ارى ان من الواجب على المثقفين اسام روأية حيدر حيدر، وما جاء فيها من وصف حقير للقرآن الكريم حتى لو على لسان كل في الرواية، وليس على لسان احد ابطالها.

من الواجب علينا الاعتذار وليس الاستكبار..

نعم.. اجد نفس خجان فعلنا من ان احدا من الكتاب كتب هذه القرارات ونشرها فيه من المثقفين.. وادى ولاجبا عليهم الاعتدار لا الاستكبار..

لakan يقصد، لاكانوا يقصدون.. اسفون للرأي العام.. اسفون للحسن السلم السياسي..

اما الاستكبار والقول باـنـ وصفـناـ القرـانـ بالـخـراءـ، حـرـيـةـ اـبـدـاعـ هـذـاـ اـمـرـ وـالـلـهـ الـعـظـيمـ ثـلـاثـةـ، يـسـىـهـ الىـ حـرـيـةـ التعـبـيرـ، وـالـاـبـدـاعـ، وـرـيـقـلـهـاـ خـراءـ حـقاـ.. وـيـنـفـرـ النـاسـ مـنـ، وـيـدـعـوـ جـاهـيـرـ الـقـرـاءـ وـالـمـوـاطـنـيـنـ الـىـ كـرـاهـيـتـاـ وـيـفـحـصـنـاـ فـيـاـذاـ كـانـ

الـعـالـمـ مـعـسـكـرـ.

معسـكـرـ يـقـيلـ لهـ انهـ ضدـ وـصـفـ القرـانـ بالـخـراءـ، وـمعـسـكـرـ يـقـولـ لهـ انـ تعـبـيرـ «ـالـقـرـانـ خـراءـ» هوـ اـبـدـاعـ جـاءـ علىـ لـسـانـ شـخـصـيـةـ فيـ الرـوـاـيـةـ وـلـيـسـ علىـ لـسـانـ الرـوـائـيـ

شقـلـ الحـوـاةـ!!».

فسـوـفـ اـكـنـ - كـانـ مـوـاطـنـ سـلـيمـ العـقـلـ وـالـوـجـدـانـ - مع المـسـكـرـ الـأـكـنـ فـوـراـ:

حرـيـةـ اـبـدـاعـ اـيـ «ـيـارـوحـ اـمـكـ»؛ اـنـظـرـواـ هـذـاـ الرـدـ..

أعود فأقول: لو انشغل المثقفين المصريين الذين استنفروا ضد حملة الشعب على خراء حيدر حيدر تصف هذا الاستنفار حين تم انتقال الكتاب والمفكرين في السجون، ضد سجن الصحفيين، تلك الجريمة السياسية المكروءة، الفدرا، ضد مصادر كتاب سياسي، او رواية صادرتها مباحث أمن الدولة ضد تزوير انتخابات، ضد قانون الطواريء.. لكن احترمنا حرية الاداع حقاً.

لا افهم سر ان احدا من المثقفين لا يتحرك الا اذا كان في

عيسى الذي طلب أن يقام صوته «المختلف» من خلال أخبار الأدب ونحن نرحب به.

وكما أن الدين لا يهدمه سطر في روایة، فان حرية الإبداع لا يمكن أن يهدّمها مقال ابراهيم عيسى، الذي يستحق التأمل من أكثر من زاوية، فهو:

اولاً: يجزم من السطور الأولى بحق الطلاب في النظاهر ضد الرواية دون ان يقرؤوها . هو الذي تعرض لها في ابداعه وعمله الصحفى . وهو لا يكتفى بهذا بل يقرر دون ان يهرب البعض الى طبعها تحديد المقدّسات.

ثانياً: يرى ابراهيم عيسى . ولا أحد يخالفه . ان مقاومة فقهاء السلطان ووعاظ الطاعة احدي مما اعتبره اهانة للمقدّسات: وسؤالنا اليه: ما الذي اخرج نصر حامد ابو زيد من مصر؟ هل كتب رواية هو الآخر أم ان معركته كانت مع فقهاء الطاعة؟

ثالثاً: من المدهش انه يرى الاساءة في رواية حيدر، بينما لم يجد في رواية محمد عباس اية اساءة بما في ذلك تحريف سورة الاخلاص، فان كان ما شرئناه في العدد السابق للناقد عبد العزيز موافي غير كاف، فانتنا نحيّل الصديق ابراهيم عيسى الى المنشور في هذا العدد انساناً ليرى ما ذكره عباس عن «مريم العذراء ، المقدّسة في الديانتين المسيحية والاسلامية.

انها المثال والنموذج - وهو رأي في جملة واحدة.  
«إنها رواية خراء طازج».

وهذا ليس وصفاً أدبياً ولأنّها أدبية، إنّ مجرد رأي ينظر إلى حرية الرأي والتعبير.

أخيراً.. كان من الممكن أن يضم المرء لسانه في حلقه ويسكت ويعتزل هذه الفتنة وتتحرّقها جميعاً.. إسلاميين على يساريين، فلا أحد منهم مدّينا ولا أفرغ مداد حبره لنجددة كتاب، مصادر ومطارد، انطلقوا سبع صحف له وصادرت مباحثة من الدولة رواية دون أن يهرب البعض الى طبعها تحديد للسلطة او للسلطان.

كان من الممكن أن اصمّت، ولم يكن أحد يرمي رذاذه بعدها في وجه رأيي ابداً، لكن لو كنا من يضمون السنتم في حلقة مكاننا هكذا ولا هذا مكاناً.

مرة أخرى.. حرية الرأي والإبداع والتعبير هي التي توجهها ضد الجمود، والقهر، والكبت والقمع، وفي سبيل الحرية والديمقراطية، والشفافية، والنهوض بامتنا، ومجتمعاتنا.

اما عدا ذلك فهو ليس كذلك، وينجينا رب المالك من المالك.. قل يا رب

#### ولنا تعليق:

تعتبر «أخبار الأدب»، نفسها في معركة دفاعاً عن حرية الإبداع وحق التفكير الذي لا يصح أن ينشر في وجهه سلاح التكفير. ولأن الحرية لا تُنتَزَع، تنشر هنا مقالاً لرئيس تحرير جريدة «الدستور» الموقوفة ابراهيم



## **المصادر والمراجع**

- ١ - أبو نواس الحسن بن هانى ... عباس محمود العقاد - مكتبة الأنجلو - القاهرة (د. ث) .
- ٢ - إحياء علوم الدين ... أبو حامد الغزالى - دار الشعب - القاهرة (د. ث) .
- ٣ - أدب الرسائل في صدر الإسلام ... الدكتور جابر قميحة - الجزء الأول : عصر النبوة - دار الفكر العربي - القاهرة سنة ١٩٨٦ .
- ٤ - الأدب الشيعي ... ماهر نسيم - دار المعرف - القاهرة (د. ث) .
- ٥ - الأدب وفنونه ... الدكتور محمد عنانى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٩٧ .
- ٦ - الأدب وفنونه ... الدكتور عز الدين إسماعيل - دار الفكر العربي - الطبعة الثالثة - القاهرة .
- ٧ - أركان القصة ... أ. م. فورستر . ترجمة كمال عباد - دار الكرنك - القاهرة سنة ١٩٦٠ .
- ٨ - أسباب النزول ... الوحدى أبو الحسن على بن أحمد . تحقيق الدكتور السيد الجميلي . - دار الكتاب العربي - بيروت سنة ١٤١٢ - ١٩٩١ .
- ٩ - الإسلام بين العلماء والحكام ... عبد العزيز البدرى - باكستان سنة ١٣٩٩ .
- ١٠ - الإسلام وأصول الحكم ... على عبد البرازق . نقد وتعليق الدكتور ممدوح حقي - دار مكتبة الحياة - بيروت سنة ١٩٧٨ .
- ١١ - الإسلام والفلسفات المعاصرة ... الدكتور محمد البھي - المكتب الفنى للنشر - القاهرة سنة ١٩٥٩ .
- ١٢ - الأسلوب ... أحمد الشايب - دار النھضة المصرية - القاهرة - الطبعة الثامنة سنة ١٩٨٨ .

- ١٣ - أصول التشريع الإسلامي ... على حسب الله - دار المثقف العربي - الطبيعة السادسة - القاهرة سنة ١٩٨٢ .
- ١٤ - أصول الشريعة ... محمد سعيد العشماوى - مدبولى الصغير - الطبيعة الرابعة - القاهرة سنة ١٩٩٦ .
- ١٥ - أصول الفقه ... محمد زكريا البرديسي - مطبعة دار التأليف - الطبيعة الثانية - القاهرة سنة ١٩٦١ .
- ١٦ - أعشاب وطحالب في حياتنا الثقافية ... الدكتور محمد سليم العوا . دراسة في مجلة وجهات نظر - العدد ١٧ - يومية ٢٠٠٠ .
- ١٧ - الأغانى ... أبو الفرج الأصفهانى . تحقيق إبراهيم الإبيارى - دار الشعب - القاهرة (د. ث) .
- ١٨ - أنساق القيم في الإبداع المصري ... طلعت رضوان . وزارة الثقافة المصرية . سلسلة كتابات نقدية ١٠٣ - مايو ٢٠٠٠ .
- ١٩ - بين الكتب والناس ... عباس العقاد - دار الكتاب العربي - الطبيعة الأولى - بيروت سنة ١٩٦٦ .
- ٢٠ - التاريخ الحديث لهزيمة الحب والثورة ... دراسة لحمد برادة . أخبار الأدب - العدد ٣٥٦ - ٢٠٠٠/٥/٧ .
- ٢١ - تاريخ الخلفاء ... السيوطي - جلال الدين عبد الرحمن . تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد - باكستان (د. ث) .
- ٢٢ - تاريخ الرسل والملوك (المعروف بتاريخ الطبرى) ... محمد بن جرير الطبرى . تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٧ .
- ٢٣ - تحليل السرد الروائى ... الدكتور أحمد صبرة . دراسة بمجلة فصوص . مجلد ١٦ - العدد ٤ - ربىع ١٩٩٨ .
- ٢٤ - التشريع الجنائي الإسلامي ... عبد القادر عودة - دار الكاتب العربي - بيروت (د. ث) .
- ٢٥ - تفسير الجلالين ... جلال الدين محمد بن أحمد المحلى ، وجلال الدين السيوطي - دار المعرفة - بيروت (د. ص) .

- ٢٦ - تفسير القرآن العظيم (المعروف بتفسير ابن كثير) ... إسماعيل بن عمر -  
مكتبة الإيمان - المchorة - مصر سنة ١٩٩٦ .
- ٢٧ - التفسير النفسي للأدب ... الدكتور عز الدين إسماعيل - دار النهضة  
المصرية - القاهرة سنة ١٩٨٦ .
- ٢٨ - التفكير فريضة إسلامية ... عباس محمود العقاد - دار الهلال -  
القاهرة (د. ث) .
- The Element Of Drama : I.L. Styan (Combridg univ - ٢٩  
press 1969 )
- ٣٠ - جامع البيان عن تأويل آى القرآن (المعروف بتفسير الطبرى) ... أبو محمد  
ابن جرير الطبرى . تحقيق صدقى العطار - دار الفكر - بيروت سنة  
١٤١٥ - ١٩٩٥ .
- ٣١ - الجامع لأحكام القرآن (المعروف بتفسير القرطبى) ... أبو عبد الله محمد  
ابن أحمد - دار الشعب - القاهرة (د. ث) .
- ٣٢ - جاهلية القرن العشرين ... محمد قطب - دار الشروق - القاهرة سنة  
١٤٠٩ - ١٩٨٩ .
- ٣٣ - الجمالية الماركسية ... هنرى أورفون . ترجمة جهاد نعمان - دار عويدات -  
بيروت سنة ١٩٧٥ .
- ٣٤ - جوهر الإسلام ... محمد سعيد العشماوى - دار مدبولى الصغير - الطبعة  
الرابعة - القاهرة سنة ١٩٩٦ .
- ٣٥ - الحريات العامة في الفكر والنظام السياسي في الإسلام ... الدكتور  
عبد الحكيم العيلى - دار الفكر العربي - القاهرة سنة ١٩٨٣ .
- ٣٦ - حقائق غائبة في قضية الوليمة ... الدكتور فؤاد زكريا - مجلة المصور .  
العدد ٣٩٤٥ .
- ٣٧ - الحكومة الإسلامية ... الدكتور محمد حسين هيكل - دار المعارف -  
القاهرة سنة ١٩٧٧ .

- ٣٨ - الخراج ... أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم - دار الاعتصام - القاهرة سنة ١٩٨١ .
- ٣٩ - الخلافة الإسلامية ... محمد سعيد العشماوى - دار سينا للنشر - الطبيعة الثانية - القاهرة سنة ١٩٩٢ .
- ٤٠ - ديوان أبي نواس ... أبو نواس الحسن بن هانئ . ضبط وتحقيق ، وشرح أحمد عبد الجيد الغزالى - دار الكتاب العربى - بيروت ( د. ث ) .
- ٤١ - رسالة الغفران ... أبو العلاء المعري . تحقيق وشرح بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن - دار المعارف - القاهرة - الطبيعة السادسة سنة ١٩٧٧ .
- ٤٢ - الرواية في الوطن العربي : نماذج مختارة ... الدكتور على الراوى . دراسة عن رواية حيدر - أخبار الأدب - العدد ٣٥٦ - ٢٠٠٠/٥/٧ .
- ٤٣ - رواية ما بعد الحداثة ... عابد الخازندار - الطبيعة الأولى - جدة سنة ١٩٩٢ .
- ٤٤ - سارتر والوجودية ... الدكتور مصطفى غالب - دار ومكتبة الهلال - بيروت سنة ١٩٨٦ .
- ٤٥ - السيرة النبوية (سيرة ابن هشام) ... حققها وضبطها مصطفى السقا وأخرون - الطبيعة الثانية - مصطفى الحلبي سنة ١٣٧٥ - ١٩٥٥ .
- ٤٦ - السيميولوجيا والأدب ... الدكتور أنطوان جمعة . دراسة في مجلة عالم الفكر (الكويتية) . المجلد ٢٤ - العدد ٣ يناير / مارس سنة ١٩٩٦ .
- ٤٧ - الشخصية العربية في القصة العربية ... الدكتور محمود حميدة . دراسة في مجلة عالم الفكر الكويتية . المجلد ٢٤ - العدد ٣ يناير / مارس سنة ١٩٩٦ .
- ٤٨ - الشروط الاجتماعية للإبداع ... الدكتور مصطفى سويف . دراسة في مجلة فصول : المجلد ١١ - العدد الأول : ربيع ١٩٩٢ .
- ٤٩ - الطب النبوي ... ابن القيم . تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وعبد القادر الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة - الطبيعة الثالثة - بيروت سنة ١٩٨٢ .
- ٥٠ - طائق تحليل السرد الأدبي ... من منشورات اتحاد كتاب المغرب - الطبيعة الأولى - الرباط سنة ١٩٩١ .

- ٥١ - الظاهر الجمالية في الإسلام ... صالح أحمد الشامي - المكتب الإسلامي -  
الطبعة الأولى - بيروت سنة ١٤٠٧ - ١٩٨٦ .
- ٥٢ - غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ... الدكتور يوسف القرضاوي - مكتبة  
وهبة - الطبعة الأولى - القاهرة سنة ١٩٧٧ .
- ٥٣ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ... ابن حجر العسقلاني - دار الريان  
للتراث - القاهرة سنة ١٤٠٧ - ١٩٨٧ .
- ٥٤ - فن القصة ... محمد يوسف نجم - الطبعة الثالثة - بيروت سنة ١٩٥٩ .
- ٥٥ - فن كتابة القصة ... حسين قباني - الدار المصرية - القاهرة (د. ث) .
- ٥٦ - في الشفافة المصرية ... محمود العالم ، وعبد العظيم أنيس - مكتبة النهضة  
المصرية - القاهرة سنة ١٩٨١ .
- ٥٧ - في الشعر الملحمي ... أحمد أبو حاقة - دار الشرق الجديد - الطبعة  
الأولى - بيروت سنة ١٩٦٠ .
- ٥٨ - في ظلال القرآن ... سيد قطب - دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٧٨ .
- ٥٩ - في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ... الدكتور عبد الملك مرتاب -  
العدد ٢٤٠ من سلسلة عالم المعرفة - الكويت سنة ١٩٩٨ .
- ٦٠ - القصة القصيرة ... رشاد رشدي - الطبعة الثالثة - مكتبة الأنجلو - القاهرة  
سنة ١٩٧٠ .
- ٦١ - القصة من خلال تجاري ... عبد الحميد جودة السحار - معهد الدراسات  
العربية - القاهرة سنة ١٩٦٠ .
- ٦٢ - القصة والرواية ... الدكتورة عزيزة مریدن - دار الفكر - دمشق سنة  
١٤٠٠ - ١٩٨٠ .
- ٦٣ - كتاب الصناعتين ... أبو هلال العسكري . تحقيق الدكتور مفيد قميحة -  
بيروت سنة ١٩٨١ .
- ٦٤ - كتاب الأموال ... القاسم بن سلام - دار الفكر - القاهرة سنة ١٩٨١ .
- ٦٥ - لباب النقول في أسباب النزول ... جلال الدين السيوطي - دار إحياء  
العلوم - بيروت - الطبعة الثامنة سنة ١٤١٤ - ١٩٩٤ .

- ٦٦ - لله يازمرى ... كريمان حمزة - دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٩٩ .
- ٦٧ - مبادئ النقد الأدبي ... أ.م. رتشارد . ترجمة الدكتور مصطفى بدوى - مطبعة مصر - القاهرة سنة ١٩٦٣ .
- ٦٨ - مجتمع يثرب ... خليل عبد الكريم - دار سنا - القاهرة سنة ١٩٩٢ .
- ٦٩ - مدخل إلى تحليل النص الأدبي ... الدكتور عبد القادر أبو شريفة ، وحسين لافي - دار الفكر - عمان سنة ١٤١٣ - ١٩٩٣ .
- ٧٠ - المدخل إلى القيم الإسلامية ... الدكتور جابر قميحة - دار الكتاب المصري اللبناني - القاهرة سنة ١٩٨٤ .
- ٧١ - مطالعات في الكتب والحياة ... عباس محمود العقاد - الطبعة الثالثة - بيروت سنة ١٩٦٦ .
- ٧٢ - المعارضة في الإسلام بين النظرية والتطبيق ... الدكتور جابر قميحة - الطبعة الأولى - دار الجلاء - القاهرة سنة ١٩٨٨ .
- ٧٣ - المعارضة في الفقه السياسي الإسلامي ... الدكتورة نيفين عبد الخالق - مكتبة الملك فيصل الإسلامية - القاهرة سنة ١٩٨٥ .
- ٧٤ - معجم مصطلحات الأدب ... الدكتور مجدى وهبة - مكتبة لبنان - بيروت سنة ١٩٧٤ .
- ٧٥ - من فنون الأدب (المسرحية) ... الدكتور عبد القادر القط - دار النهضة العربية - بيروت سنة ١٩٧٨ .
- ٧٦ - منهج العقاد في الترجم الأدبية ... الدكتور جابر قميحة - دار النهضة المصرية - الطبعة الأولى - القاهرة سنة ١٩٨٠ .
- ٧٧ - منهج الفن الإسلامي ... محمد قطب - دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٨٧ .
- ٧٨ - موسوعة السياسة ... عبد الوهاب الكيالي وأخرون - بيروت سنة ١٩٩٠ .
- ٧٩ - الموضح : مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر ... المرزبانى : أبو عبيد محمد بن عمران بن موسى . تحقيق على محمد البجاوى - دار نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٦٥ .

- ٨٠ - نشيد الشورة المجهضة ... محمود أمين العالم . دراسة في مجلة (أخبار الأدب) - العدد ٣٥٦ - ٢٠٠٠/٥/٧ .
- ٨١ - النظريات السياسية الإسلامية ... الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس - دار التراث - الطبعة السادسة - القاهرة سنة ١٩٧٦ .
- ٨٢ - النقد الأدبي : أصوله ومناهجها ... سيد قطب - دار الشروق - الطبعة السابعة - القاهرة سنة ١٤١٣ - ١٩٩٣ .
- ٨٣ - النقد الأدبي الحديث ... الدكتور محمد غنيمي هلال - دار النهضة - القاهرة سنة ١٩٧٣ .
- ٨٤ - هوامش على دفتر التنوير ... الدكتور جابر عصفور - الهيئة العامة لقصور الثقافة - الطبعة الثالثة - القاهرة سنة ٢٠٠٠ .
- ٨٥ - الوفى بالوفيات ... صلاح الدين الصഫى . عنایة س ایدرینغ فیسبادن - القاهرة سنة ١٩٧٢ .
- ٨٦ - الوساطة بين المتنبى وخصومه ... القاضى على بن عبد العزىز الجرجانى - مطبعة صبيح - القاهرة سنة ١٩٤٨ .
- ٨٧ - وليمة لأعشاب البحر ... حيدر حيدر - الهيئة العامة لقصور الثقافة فى مصر - القاهرة سنة ١٩٩٩ .

\* \* \*

## من الدوريات :

- ١ - جريدة آفاق عربية .
- ٢ - مجلة أخبار الأدب .
- ٣ - مجلة أكتوبر .
- ٤ - جريدة الأهرام .
- ٥ - مجلة الأهرام العربي .
- ٦ - جريدة الأيام الجديدة .
- ٧ - مجلة روزاليوسف .
- ٨ - جريدة السياسي المصري .
- ٩ - جريدة الشعب .
- ١٠ - مجلة عالم الفكر (كويتية) .
- ١١ - مجلة فصول .
- ١٢ - جريدة القاهرة .
- ١٣ - مجلة المصور .
- ١٤ - جريدة الميدان .
- ١٥ - مجلة وجهات نظر .

\* \* \*

# الكاتب دكتور جابر قميحة في سطور

- من مواليد مدينة « المترلة » بشمال دلتا النيل بجمهورية مصر العربية سنة

١٩٣٤ م

## حاصل على المؤهلات الآتية :

- ليسانس دار العلوم التربوي من كلية دار العلوم - جامعة القاهرة .
- ليسانس الحقوق - من كلية الحقوق بجامعة القاهرة .
- دبلوم عال في الشريعة الإسلامية - من كلية الحقوق - جامعة القاهرة .
- ماجستير في الأدب العربي الحديث - من جامعة الكويت .
- دكتوراه في الأدب العربي الحديث - من كلية دار العلوم - جامعة القاهرة .

## عمل بالتدريس في الكليات الآتية :

- كلية الألسن - جامعة عين شمس .
- جامعة ( يل ) Yale ، بولاية ( كنكتكت ) بالولايات المتحدة .
- الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد ( باكستان ) .
- جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ( قسم الدراسات الإسلامية والعربية ) -
- الظهران - المملكة العربية السعودية .

## حضر كثيراً من المؤتمرات العالمية .. منها :

- مؤتمر الشباب المسلم العربي بمدينة ( سبرنج فيلد Spring Field ) بالولايات المتحدة .
- مؤتمر شباب الجامعات الإسلامية بإسلام آباد .
- مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي العالمية بأسطنبول - تركيا .

- مؤتمر « ظاهرة ضعف اللغة العربية في التعليم الجامعي » - جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض .
- مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالدار البيضاء بالمغرب .

### عضو في :

- اتحاد الكتاب المصريين .
- رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

### الكتب المطبوعة للمؤلف :

- ١ - « منهج العقاد في التراث الأدبية » .
- ٢ - « أدب الخلفاء الراشدين » .
- ٣ - « أدب الرسائل في صدر الإسلام » .
- ٤ - « التقليدية والدرامية في مقامات الحريري » .
- ٥ - « صوت الإسلام في شعر حافظ إبراهيم » .
- ٦ - الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود .. أو : ملحمة الكلمة والدم .
- ٧ - « التراث الإنساني في شعر أمل دنقل » .
- ٨ - « في صحبة المصطفى عليه السلام » .
- ٩ - « المدخل إلى القيم الإسلامية » .
- ١٠ - « المعارضة في الإسلام بين النظرية والتطبيق » .
- ١١ - « الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجنائية التطرف » .
- ١٢ - « آثار التبشير والاستشراف في الشباب المسلم » .
- ١٣ - « الزحف المدنس » (ديوان شعر) .
- ١٤ - « لجهاد الأفغان أغنى » (ديوان شعر) .
- ١٥ - « حديث عصرى إلى أبي أيوب الأنباري (ديوان شعر) .
- ١٦ - « لله والحق وفلسطين » (ديوان شعر) .
- ١٧ - « أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية » .
- ١٨ - « الإمام الشهيد حسن البنا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل » .

## البحوث المنشورة :

وهي عشرات من البحوث والمقالات نشرت في المجالات الآتية :

- ١ - مجلة الدارة ( سعودية - فصلية - محكمة ) .
  - ٢ - مجلة الدراسات العربية ( مصرية - فصلية - محكمة ) .
  - ٣ - مجلة الدراسات الإسلامية ( فصلية - باكستانية - محكمة ) .
  - ٤ - مجلة الشعر ( مصرية - شهرية ) .
  - ٥ - مجلة الفيصل ( سعودية - شهرية ) .
  - ٦ - مجلة الحرس الوطني ( سعودية - شهرية ) .
  - ٧ - المجلة العربية ( سعودية - شهرية ) .
  - ٨ - مجلة المنهل ( سعودية - شهرية ) .
  - ٩ - مجلة الوعي الإسلامي ( كويتية - شهرية ) .
  - ١٠ - مجلة المجتمع ( كويتية - أسبوعية ) .
  - ١١ - مجلة المنتدى ( تصدر في دبي - شهرية ) .
  - ١٢ - المسلمين ( سعودية - أسبوعية ) .
- والحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

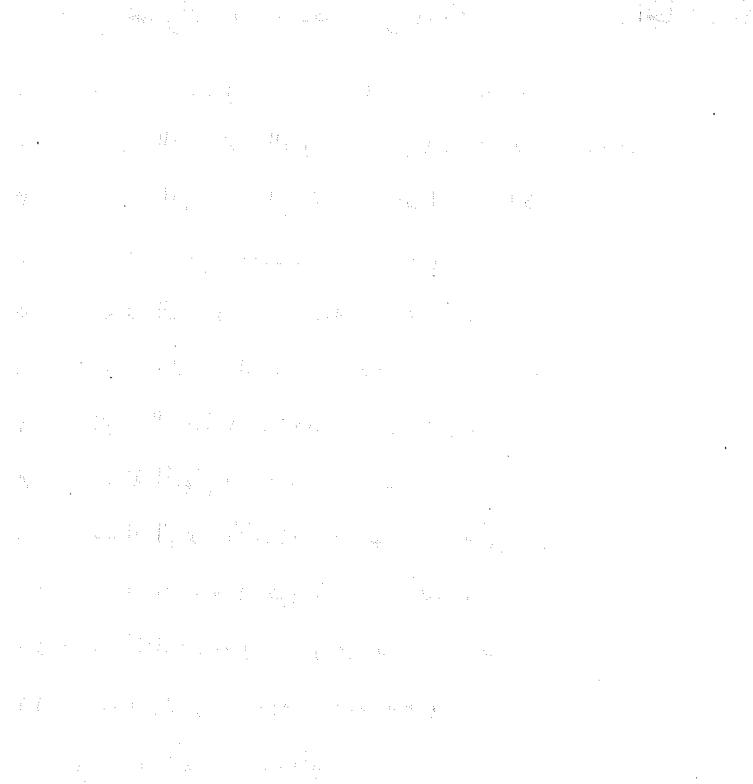


FIG. 10. As in Fig. 9, but for the correlation coefficient between the observed annual mean precipitation and the annual mean precipitation simulated by the GCMs.

the GCMs, the correlation coefficients between the observed annual mean precipitation and the annual mean precipitation simulated by the GCMs are plotted in Figs. 9 and 10.

The results in Figs. 9 and 10 show that the GCMs simulate the observed annual mean precipitation quite well over the Northern Hemisphere land areas, particularly in the tropics and subtropics.

However, the GCMs tend to underestimate the annual mean precipitation over the Northern Hemisphere land areas in the midlatitudes, particularly in the winter months.

For example, in the 1950–90 period, the GCMs tend to underestimate the annual mean precipitation over the Northern Hemisphere land areas in the midlatitudes, particularly in the winter months.

For example, in the 1950–90 period, the GCMs tend to underestimate the annual mean precipitation over the Northern Hemisphere land areas in the midlatitudes, particularly in the winter months.

For example, in the 1950–90 period, the GCMs tend to underestimate the annual mean precipitation over the Northern Hemisphere land areas in the midlatitudes, particularly in the winter months.

For example, in the 1950–90 period, the GCMs tend to underestimate the annual mean precipitation over the Northern Hemisphere land areas in the midlatitudes, particularly in the winter months.

For example, in the 1950–90 period, the GCMs tend to underestimate the annual mean precipitation over the Northern Hemisphere land areas in the midlatitudes, particularly in the winter months.

For example, in the 1950–90 period, the GCMs tend to underestimate the annual mean precipitation over the Northern Hemisphere land areas in the midlatitudes, particularly in the winter months.

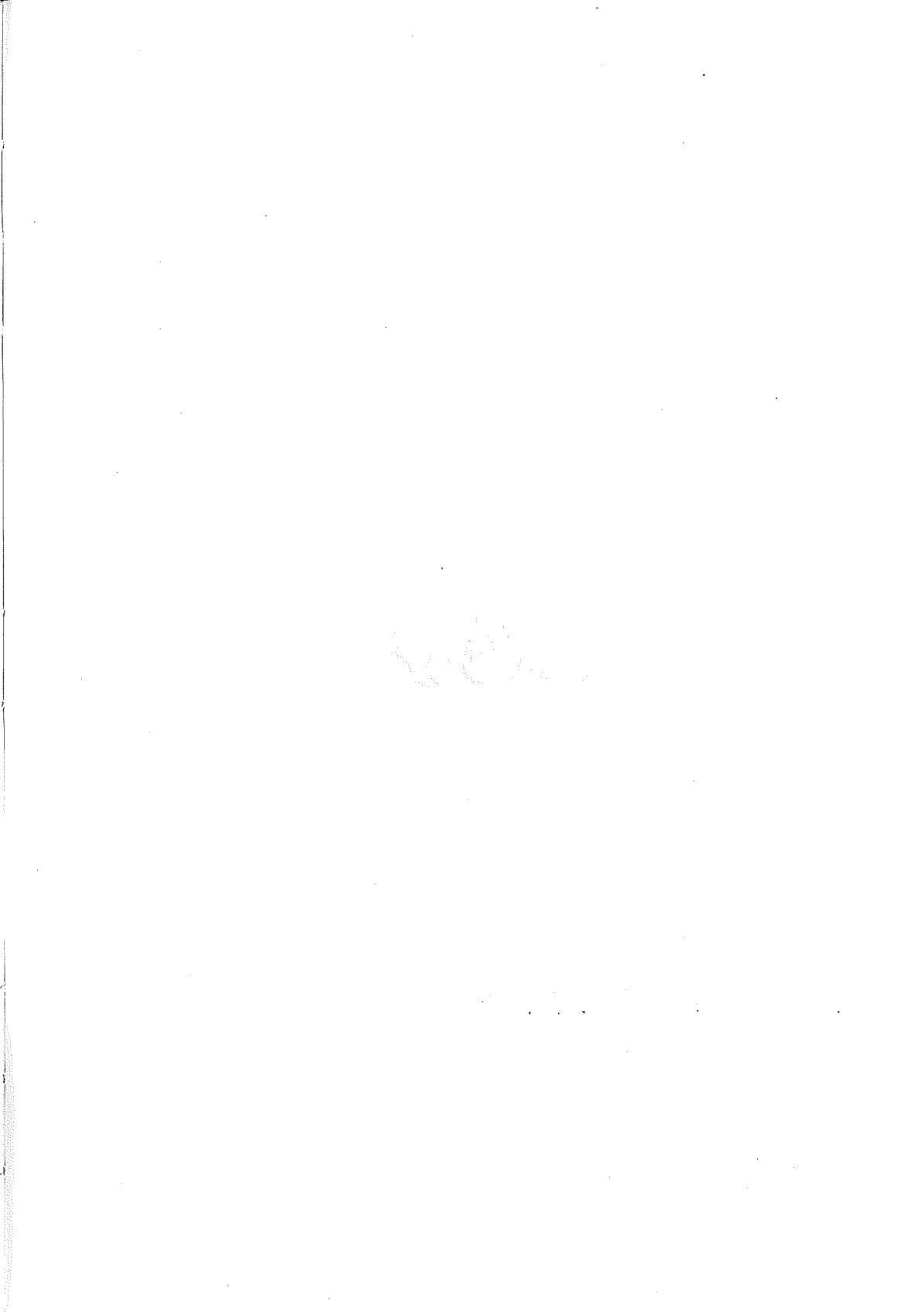
For example, in the 1950–90 period, the GCMs tend to underestimate the annual mean precipitation over the Northern Hemisphere land areas in the midlatitudes, particularly in the winter months.

For example, in the 1950–90 period, the GCMs tend to underestimate the annual mean precipitation over the Northern Hemisphere land areas in the midlatitudes, particularly in the winter months.

For example, in the 1950–90 period, the GCMs tend to underestimate the annual mean precipitation over the Northern Hemisphere land areas in the midlatitudes, particularly in the winter months.

For example, in the 1950–90 period, the GCMs tend to underestimate the annual mean precipitation over the Northern Hemisphere land areas in the midlatitudes, particularly in the winter months.

# فهرس الكتاب



- | الصفحة | الموضوع                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             |
|--------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٣٠ - ٥ | مدخل وتوطئة                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |
|        | ● قصورنا في مواجهة المشكلات ، والاستهانة بالصغار حتى يستفحلا<br>خطر ، وتحول إلى كبار ماحقة                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |
|        | ● من مظاهر العدوان على الإسلام والقرآن والأنبياء والصحابة :<br>كتابات سعيد العشماوى - تدريس روایة دعارة في الجامعة<br>الأمريكية - تشویه الحضارة الإسلامية - تشویه طبیعة الفتح<br>الإسلامی - نوال السعداوي والشذوذ الفكري - الهجوم على تشريع<br>الميراث - دعوة أحمد عبد المعطى حجازى إلى « التعرى » من أجل<br>الفن - السقوط الإعلامي ، وخصوصاً في التليفزيون - توالي إصدارات<br>وزارة الثقافة التي تحارب الإسلام والخلق والفكر السوي |
|        | ● تهمة التطرف الدينى تهمة ساقطة                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |
|        | ● لماذا لا يتكلمون عن النطرف اللامدينى ؟                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            |
|        | ● حقيقة محمد عباس .. أو المشجب الذى علقوا عليه الأحداث                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |
|        | ● من مناهج دفاعهم عن حيدر حيدر وروايته                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |

## القسم الأول

### مع الرواية ديناً وأدبًا

- |    |                                                                       |
|----|-----------------------------------------------------------------------|
| ٣٣ | ● عرض الرواية : عرض موجز للرواية من بدايتها إلى نهايتها               |
| ٣٧ | ● البناء الفنى وعناصره : رواية سياسية ماركسيّة مصابة بالتضخم<br>الخيث |
|    | ● أولًا : بيئة الرواية : المساحة المكانية : العراق - والجزائر - البحر |

## الموضوع

## الصفحة

والأهوار - المزج بين المكان والشذوذ والجنس الساقط - تكرار المشاهد بصورة مملة . زمان الرواية : الزمان التاريخي : إغراق في التفصيلات الطويلة - التركيز على عرض الأيديولوجية الشيوعية . الزمن النفسي : وتوظيف الصيغة الفعلية الثلاث : الماضي والحاضر (المضارع) والمستقبل - التداخل الزمني - التحرر من التتابع الحدثي ..... ٤٩ - ٤٠

ثانياً : الحدث : أهمية الحدث في العمل الروائي بصفة عامة - في رواية الوليمة أحداث تاريخية ، وأخرى متخيصة - الأحداث التاريخية : ضحخت الرواية ، وأضفت الطابع الدرامي ، واهتمت بالدعائية للماركسية ، ولم يطوعها حيدر للستنق الروائي - صلة هذه الأحداث بالاسترجاع واليوميات - تارikhias المجتمع الجزائري : تشويه وسقوط - الأحداث المتخيصة : اتسمت بالبطء والتسطيح ، والطروحت الخنسية الشاذة - بصمات الوجودية في هذه الأحداث ..... ٥٧ - ٥٥

ثالثاً : الشخصيات : مفهوم الشخصية وأبعادها في العمل الفنى بصفة عامة - العلاقة بين شخصية الكاتب ، وشخصيات روايته - سيطرة الجنس الساقط على أغلب شخصيات رواية الوليمة - أهم شخصيتين : مهدي ومهيار مسكونان بالأيديولوجية الشيوعية - أغلب الشخصيات تتسم بالاستهتار والجرأة على الله والدين - تشويه الدين في شخصية «الشيخ محمد» - الجنس الداعر هو «بطل» رواية الوليمة ..... ٦٩ - ٥٨

رابعاً : الحوار : أهمية الحوار ووظيفته في العمل الروائي بصفة عامة - المفهوم الصحيح لواقعية الحوار - الفرق بين لغة السرد ولغة الحوار - حوار الوليمة فيه ثرثرة وتمطيط - عدم توافق مستوى اللغو مع طبيعة الشخصية - تعدد مستوياته أحياناً في نطاق الشخصية الواحدة - وأحياناً يزد في صياغة علمية جافة - في الحوار جرأة على الله والخلق - الحوار الداخلي ومكانه في الرواية ..... ٨٠ - ٧٠

## الصفحة

## الموضوع

خامسًا : السرد : مفهوم السرد - طريقة السرد الذاتي وطريقة السرد الغيبي - الفرق بين السرد والوصف - نصوص مختارة من رواية الوليمة

من آليات السرد في الوليمة :

١ - الاسترجاع الفني Flash Back

٢ - اليوميات Diaries

الاسترجاع وارتباطه بالأيديولوجية الشيوعية في الرواية - أنواع اليوميات : الخاصة الخالصة - الخاصة العامة - العامة الخالصة .

رومانسية أسلوبها - أغلبها جاء ختاماً لمحاقف ومشاهد ، لا ختاماً لفصول ..... ٧٨ - ٨١

سادساً : اللغة ومعجم الهبوط :

١ - قطرات عذبة في بحر الظلمات :

نصوص قليلة جدًا ذات معانٍ طيبة عامّة ..... ٩٦ - ٩٢

٢ - كلمات وتركيب شعوبية :

ورودها في الحوار والسرد - فيها اتهام خسيس للعرب والعروبة ، وتعصب شعوبي شنيع - بصمات الأدب الصهيوني في أدب الوليمة

٣ - بلا خلق في مستنقع الجنس :

كثرة هذه العبارات في السرد والحوار - ورودها في الحوار مزيجًا من العامية والفصحي ، مما ترتب عليه الخلل الفني كذلك - لا يمكن الاحتجاج بالواقعية لتبرير هذا السقوط - دلالة هذه العبارات على

أبعاد شخصية حيدر كاتب الرواية ..... ١٠٣ - ٩٧

٤ - عبارات العداون على الله ، والدین ، والرسول ﷺ ، والقرآن

الكريم :

كثرة هذه الألفاظ والتراكيب بشكل فاحش - إنها تُمثل عدواية صريحة على ذات الله والرسول ﷺ والقرآن والقيم . كثير من هذه العبارات ينطوي بالكفر البواح - فيها دليل على أن « حيدر » فقير جداً

الموضوع	الصفحة
في الثقافة الإسلامية وأدابها .. وخصوصاً القرآن والحديث - هذه اللغة العدوانية تعكس شخصية كاتبها .. فالأسلوب هو الكاتب - كما يقول النقاد . والكاتب هو الذي يختار شخصياته وحواره ، وسرده يوعى كامل ، ولا يشفع له أن يدفع عنه المسؤولية بقوله : إنه حوار جاء على ألسنة شخصيات خالية مخترعة ..... ١٠٤	١٠٤

\* \* \*

## القسم الثاني

### الرواية بين التحدى والتصدى

- ١] تقرير اللجنة القطبية : ذلك العزف المنفرد :
- تشكيل اللجنة لاعدالة فيه - التقرير مجرد تفصيل لرأي وزارة الثقافة ورؤيه حيدر حيدر - مظاهرات طلاب الأزهر وطالباته عمل تلقائي مشروع ، وظاهرة صحيحة ، وأتى بنتائج طيبة رغم الضحايا .
- مضمون تقرير اللجنة ومناقشته :
- تحديد التقرير لوظيفة الرواية ومناقشته - دعوة التقرير إلى ما يسمى بالقراءة الأدبية بعيداً عن الدين . (تفنيد هذه الدعوة) - اتهام القراء بسوء فهم الرواية والتعامل معها بفهم سطحي (نقض هذه التهمة) - تبريرات اللجنة لسقوطات الرواية ، و موقفنا من هذه التبريرات الغربية .
  - مسائل ثلاث من التوالي : تبرير عدوان الرواية على شخصية الرسول ﷺ . ونقض هذا التبرير - الدفاع عن حيدر بقاعدة « راوي الكفر ليس بكافر » (نقض هذا الدفاع) . إصرار القط على تبرير الحوار الحيدري الساقط وردنا عليه ..... ١٢١-١٣٧

\* \* \*

## الموضوع

## الصفحة

١٣٨-١٦٥

[٢] ويدافع حيدر عن نفسه . عرض وتفنيد :

(أ) حيدر يعلن أنه مؤمن بالله ، وأنه ينفع الإسلام أكثر من هاجموه

(لن نناقش إيمان الرجل .. وحسابه على الله )

(ب) يدعى أن « النص المقدس » حمّال أوجه القرآن نصه مفتوح لأى مسلم أن يجتهد فيه . والاجتهاد نشأ أيام المعتزلة أرباب الحرية خطوه في عبارة « النص المقدس » حمّال أوجه - الاجتهاد بدأ في عهد النبوة لا عهد المعتزلة - لا اجتهاد لمن لا يملك عدّة العلمية والعلمية والفقهية ، وحيدر لا يملك من ذلك شيئاً - المعتزلة خاصموا حرية الرأي .. وعلى أيدي المعتزلة كانت محنّة أحمد بن حنبل وغيره في مسألة خلق القرآن )

(ج) روایته - كما يقول - تعبير عن الواقع العربي المأزوم

(الرواية دعاية للأيديولوجية الشيوعية في المقام الأول )

(د) ليس في الرواية ما يسعى إلى الإسلام .. بل هي تمجد الإسلام ، وترفع من شأن الجهاد والمجاهدين

(عرضنا ما في الرواية من إجرام ضد العرب والذوق والدين والخلق ، وقد لجأ حيدر إلى تزوير نصوصه في الدفاع عن نفسه )

(هـ) من هاجمو الرواية أصحابون من أجل مكاسب مادية وسياسية ، وضرب التنويريين ، والتيار التنويري

(لم يثبت حتى في التحقيقات القانونية ما يدل على صحة ادعاء حيدر فيما اتهم به من هاجمو الرواية )

(و) لا مسؤولية عليه فيما جاء بالحوار لأن الشخصيات خيالية

(الكاتب الروائي - كما قلنا مراواً - يكتب روایته بوعي كامل ، وهو مسئول عن كل ما فيها شكلاً ومضموناً حواراً ، وسرداً ، ووصفاً )

(ز) الكلمة « خراء » ليست وصفاً للقرآن .. لأن قبلها نقطة .. وقد

## الموضوع

## الصفحة

رد مهدى جواد على ذلك

( فدنا ذلك من قبل أكثر من مرة )

(ح) يدعى أنه مجد الجهاد الجزائري .. فلا حق لمن قال : إنه شوهه ،  
وأساء إليه

( في الرواية إساعة .. بل إساءات متكررة إلى الجهاد الجزائري ..  
ومثل طيب واحد لا يلغى عشرات التشويهات التي أصقتها الرواية  
بالمجاهدين الجزائريين ، وخصوصاً على لسان « فلة بوعناب » )

### [ ٣ ] وبالقرآن يدافعون عنه :

- ادعاء التنشيريين بأن من حق حيدر أن يضمن حواره ما شاء من  
معان خارجة على الدين والخلق ما دام ذلك متفقاً مع طبيعة  
الشخصيات .. وذلك قياساً - في زعمهم - على ما جاء في القرآن  
على ألسنة الكفار واليهود والمنافقين من كفريات

( تفنيد هذا الرأي ، وتقديم شواهد متعددة من القرآن الكريم )  
الرغم بحق حيدر في تقديم مشاهد جنسية ، وتوظيف الفاظ جنسية .

قياساً على القرآن في زعمهم

( نقض هذه المقوله ، والاستشهاد بالنماذج القرانية )  
الدفاع عن حيدر بمقدمة وجود كتب تراثية تناولت الجنس بجرأة  
وصراحة

( نقد هذه المقوله وما فيها من تهويل ومخالفات وهشاشة )

### [ ٤ ] حرية الإبداع أم حرية العداون :

ادعاء التنشيريين أن حكم الإسلام هو حكم الظلم والغشومة  
والاضطهاد ، والرعايا يعيشون للعبودية والاستسلام

نقض هذا الافتراض : الإسلام هو دين الحرية بأوسع معانيها - تكريم  
الإسلام للإنسان ، ودعوته إلى إعمال العقل واحترام الفكر - حرية  
العقيدة في الإسلام - حرية التعبير في الإسلام - فعل الأمر **﴿ قُل ﴾**  
هو أكثر الأفعال استعمالاً في القرآن ، ودلالة ذلك : نماذج ميدانية من

٢١٢-١٨٥

## الموضوع

## الصفحة

حرية التعبير في عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم - الحرية في الإسلام حرية حقيقة شاملة .. ولكنها منضبطة لا تعرف الغلو والإسراف - التنويريون والبكاء بين يدي حمراء اليمامة - الحرية التي يريدون - موقف التنويريين جدًا من محنـة مصطفى أمين - التنويريون والماركسيون ومحنة الكاتب السوفيتى باسترناك - بين « دكتور زيفاجو » و « وليمة لأعشاب البحر » - موازنة بالنظر تعود إلى مفارقة مذهبـة : لجنة بل لجان تهاجـم عمـلاً روائـياً إنسـانياً راقـياً .. ولجنة تدافع عن عمل روائـي شعـوبـي ساقـط

\* \* \*

## خاتمة المطاف

حـكـمنـا النـهـائـى عـلـى الرـوـاـيـة مـن وجـهـات النـظـر الإـسـلامـيـة وـالـعـقـلـيـة وـالـنـقـدـيـة - هل أـخـطـأـنا إـذ تـصـدـيـنا لـهـذـه الرـوـاـيـة الجـهـولـة ؟ ضـرـورة تـدارـكـ الـخـطـرـ قـبـلـ اـسـفـحـالـه - التـصـدـى يـنـطـلـقـ مـنـ قـاعـدـةـ الـأـمـرـ بـالـمـعـرـفـ وـالـنـهـيـ عـنـ الـمـنـكـرـ - مـعـرـكـةـ الرـوـاـيـةـ أـبـانـتـ عـنـ «ـ مـعـدـنـ »ـ وـزـيـرـ ثـقـافـتـناـ وـوـحـقـيقـتـهـ - رـعـاـةـ الشـقـافـةـ يـحـتـاجـونـ إـلـىـ «ـ تـشـقـيفـ مـكـثـفـ »ـ - وـزـيـرـ ثـقـافـتـناـ وـنـظـريـتـهـ فـيـ نـسـبـيـةـ الـأـحـلـاقـ - التـنـوـيـرـيـوـنـ يـصـنـفـوـنـ النـاسـ - وـقـوـعـهـمـ فـيـ الـخـلـلـ وـالـنـاقـضـ - التـنـوـيـرـيـوـنـ جـدـاًـ وـتـلـمـيـعـ حـيـدرـ - الـحجـ إـلـىـ بـيـتـ حـيـدرـ . خـلـاصـةـ حـكـمنـا عـلـىـ الرـوـاـيـةـ ..... ٢١٣-٢٢٠.....

- |           |               |
|-----------|---------------|
| ٢٢١ ..... | ملحق : وثائق  |
| ٢٤١ ..... | المراجع       |
| ٢٤٩ ..... | تعريف بالكاتب |
| ٢٥٣ ..... | الفهرس        |

\* \* \*

the first time, the author has been able to make a complete analysis of the species of the genus *Leptothrix* occurring in the United States. This paper is based upon a study of the material in the herbarium of the New York Botanical Garden, and the author wishes to thank Dr. J. Kunkel Knobell for his permission to do so. The author also wishes to thank Dr. W. E. Rauschert for his assistance in the preparation of the figures.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٠/١٣١٥٠

دار النصر للطباعة الإسلامية  
٩ - شارع نشاطي شبرا القناطر  
الرقم البريدي - ١١٢٣١

**دار النصر للطباعة الإسلامية**  
٤ - شارع نشاط شبرا القصيمية  
الرقم البريدي - ١١٢٣١

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٠/١٣١٥٠